جامعة الازهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
القاهـــرة

فن المقال صدق وإبداع

دكتورة / نادية أحمد مسعد محمد
أستاذ الأدب والنقـــد

مكتب النعام للطباعة والتجارة
ميـــدان النعـام
ت : ٢٤٦٥٥٧٢

إهداء

إلـــى :-

نبض فؤادى وغرس وجدانـــى

زهـور حياتـــى ومنـــى أحلامـى

ضياء روحـــى وثمـــرة آمالـــى

ترنيمة حبـى وأنشودة وجدانى

إلى : بنات الأزهر شمس حياتى

دكتورة / نادية أحمد مسعد محمد

تصديـــــر

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرســـلين ســـيدنا محمد هادى الأمة وكاشف الغمة النذير البشير المبعوث رحمة للعالميـــن وعلى آلـــه وصحبـــه أجمعين .

وبعـــــد

فإن كتابة المقالات من الفنون الأدبية التى تحتـــاج إلـــى حـــس مرهـــف ، وشعور متدفق حى ، وفكر متجدد يتجاوب مع الأحداث والمواقف ، ومرجع ذلك أن المقالات - بما لها من خصائص ، وقيم وأنواع تميزها عن الأجناس الأدبية - تعـــد مصدرا من مصادر الوعى الثقافى ، والاجتماعى ، والسياســـى والنفســـى لأبنـــاء المجتمع حيث ينطلق كتابه استجابـــة للاحتياجات البيئية المتنوعه فتتجسد انفعالاتـــهم فى مقالاتهم الذاتية ، والوصفية ، والانطباعية والموضوعية ، والادبية ، والنقديـــة ، والاجتماعية ، الفلسفية والتأملية ، والعلميـــة ، والإذاعيـــة ، والصحفيـــة ولمـــا للمقالات من آثار إيجابية تتركز فى البناء الإنسانـــى المتكامل غرسته لجنة تخطيـــط المناهج الجامعية فى برنامجها التعليمى والتربوى بقصد تدريســـه لطـــلاب اللغـــة العربية والصحافة والإعلام وذلك لأن الطلاب من القسمين بإذن الله - ســـيحملون ، أمانة الدعوة الواعية لبناء مجتمعهم وتغذيته وتجديده مما يترتب عليه تصفيته مـــن الشوائب وبث بذور الصحوة فى عروقة ليقف على ساحة المعاصرة وما فيها مـــن تيارات ونزعات تنتشر فى الأجواء العالمية وخاصـــة الآن حيـــث جعلـــت شـــبكة الاتصالات الدولية [Enter Net] استدعاء المعلومات والمعارف والأحداث التاريخيـــة والسياسية والاجتماعيـــة من الأمور الميسرة ولهذا فدراسة فن كتابة المقـــال مـــن المواد الدراسية الحية فى الألفية الثالثـــة للعالم لانـــها بمثابـــة المؤشـــر الاتزانـــى الحساس للتطور لما تقدمه من تحقيق وتوثيق للأراء والاتجاهات ولما تقوم به مـــن توعية شاملة تتناسب وروح العصـــر عن طريق أنواع المقال المختلفة .

ولأهميـــة هذه المادة الدراسية يجب على من يقوم بتدريسهـــا أن يكشـــف لطلابه أهميتها ودورها الحى الفعال وتدريبهم على كتابة المقـــالات المختلفـــة وأن يعلن لهم درجـــة حمل أمانتها ومنبعها الحفاظ على كيانهم ووجودهم أعزة بين أبنـــاء العالم كما يجب على الطلاب الاطلاع المستمـــر الواعى واستقبال ما يعرض مـــن مقالات مختلفة والوقوف على مغزاها وأبعادها ومناقشة أفكارها ومنهج عرضها.

ويقتضى تدريس هذه المادة بالجامعة الإحاطة بنشـــأة فن المقـــال وتطـــوره ورواده ثم دراسة نصيه وتحليلـــة ونقدية لبعض أعلامه ولهذا رأيت - بـــإذن الله - أن تكون خطة المنهج كما يلى :-

المقدمـة :- وتتعرض لأهمية دراسة فن المقال بالجامعات .

الفصل الأول :- يتناول نشأة المقال وتطوره الشكلى والموضوعى فى القديم وعـرض نماذج .

نصية لبلغاء وفصحاء العرب ثم عرض نماذج لرائديـــن مـــن رواد الأدب العربى يتمثل فى عبد الحميد بن يحيى والجاحظ .

الفصل الثاني :- يتناول عناصر المقال وأنواعه منها الذاتـــى والدينى والاجتمـــاعى والنقدى والوصفـــى . والموضوعى . الخ ثم الحديث عن شبكة الاتصـــالات واثرها فى نشر الفكر الأدبى العربى المتمثل فى الأجناس الأدبيـــة ومنـــها فن المقال .

الفصل الثالث :- ويعرض فى مبحثين الأول ملامح من عناوين صحيفـــة صـــوت الأزهر ثم الإشارة إلى الصدى الجماهيرى لها والثانى ذكر لبعض أســـماء الصحف الصادرة بجمهورية مصر العربيـــة .

الفصل الرابع :- فى مبحثين الاول : يتناول دراسة تحليلية ونقدية لمقـــال الاشـــراق الالهى وفلسفة الاسلام للرافعى وبيان ما يتمتع به من صدق شعورى أثمـــر

الإبداع الفنى الذى تجسد فى الهيكل البنائى للمقال وفى انســــجام ملامحـــه اللغويه والصوتيه والتعبيريه إلى جانب تحقق عناصر الجذب للقارئ مثـــل الاثارة والتشويق والاعتبارية الدراميــة والنقل والإحلال والتفاعل التخيلـــى والرمزى أما المبحث الثانى فيتعـــرض للأصـــول الفنيــــة التـــى تشـــكل نجاح المقال .

الفصل الأول

فن المقال وتطـوره

الشكلي والموضوعـي

فن المقال وتطوره الشكلي والموضوعي

يعد المقال من الفنون الأدبية النثريـــة الذى يتسم بطابع يميزه عن غيره من الفنون الأخرى فهو قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معيـــن أو حول جزء منه ويكتب المقال بطريقة لغويـــة سريعة خالية مـــن الكلفـــة والرهـــق وشرطة الأول أن يكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكـــاتب [١] والمقـــال يتنـــاول بالعرض المختصر والتحليل السريع القضايا المتنوعه ويحاول مناقشتها بفكر يقـــظ عميق مكتوب يكشف عن قدرة الكاتب العقلية والوجدانية والفنية ممـــا يـــدل علـــى صدق تفاعله مع الفكرة وبهذا فالمقال تجربة حية أثر فى كاتبه فعالج فكرته بخطـوط إنفعالية مكتوبة عبر تصوير تعبيرى واضح الملامح سهل العرض يهدى آخره إلـــى مضمونه كما يكشف عن رؤية صاحبة بجلاء ووضوح وتركيز تجاه مانـــاقش مـــن فكرة اجتماعية ، أو أدبية أو تأملية أو تاريخية ... الخ ومناقشة كاتب المقال لفكرتـــه منبعها ايمانه بضرورة نقلها إلى أبناء مجتمعه لما لها من أثار حميده ايجابية ولعـــل ايمانه بفكرته المقالية تضفى عليهـــا ملامح من المهارة الإبداعيـــة فتخـــرج علـــى سطور الصحف أو المجلات ناطقة دقيقة تصل إلى المشاعر والأحاسيس مما يحـدث التجاوب والإحلال الفنى من الكاتب إلى القراء . ومن الجديـــر بـــالذكر ان بلغـــاء وفصحاء العرب عرفوا ملامح المقال بصورة بسيطـــة ولكنها تكشف عـــن بـــذور الحاسة المقالية عندهم وخاصة أنهم أهل البيان الرفيع والتعبير الملهم عن وجودهـــم الإنسانى ومن ذلك كتاب النعمان بين المنذر إلى كسرى فقد روى صـــاحب العقـــد الفريد أن النعمان بن المنذر قدم على كسرى وعنده وفود الروم والهند ، والصيـــن فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب وفضائلهم على جميع الأمـــم ،

---

[١] فن المقال د . محمد نجم – بيروت صفحات متفرقة (٩٠-٩٥) .

لا يستثنى فارس ولاغيرها ، فأنبرى كسرى يعدد مأثر الأمم ومفاخرها ، ثم تنقص العرب وهجن أمرهم وامتهنهم ، فرد عليه النعمان مفندا قوله ، مباهيا بمناقب العرب ومحاسنها .

فلما رجع إلى الحيرة ، وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى بعث إلى بعض وجوه العرب ، فاقتص عليهم مقالات كسرى وما رد عليه وقال لهم الرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسري ، فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه ثم جهزهم وكتب معهم كتابا وهو :-

" أما بعد ، فإن الملك ألقى الى من أمر العرب ما قد علم ، وأجبته بما قد فهم ، مما أحببت أن يكون منه على علم ، ولا يتلجلج فى نفسه أن من الأمم التى احتجزت دونه ، بمملكتها ، وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها فى شئ من الأمور التى يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت أيها الملك رهطا من العرب ، لهم فضل أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وليغمض عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليكرمنى بأكرامهم وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم فى أسفل كتابى هذا الى عشائرهم " [1] . والمتأمل لكتاب النعمان بن المنذر يدرك انه لا يتسم بالخصائص الفنية لفن المقال فى العصر الحديث وإنما يحمل بذوره من حيث الفكرة التى تعرض بسرعة متقنة واضحة الغرض مركزة بعيدة عن الإطناب يدل آخرها على موضوعها بصورة إجمالية وعلى سبيل المثال فالعبارة (وقد نسبتهم فى أسفل كتابى هذا الى عشائرهم) ترتبط ارتباطا وثيقا واضحا ببداية قول النعمان بن المنذر ومن الجديد بالذكر ان لفظة (مقالات) الواردة قبل النص (فاقتص عليم مقالات كسرى وما ورد عليه وقال لهم) .

---

[1] راجع : جمهرة رسائل العرب الطبعة الاولى ١٩٣٧ م أحمد زكى صفوت جـ١ص١٣، ١٤ ، العقد الفريد - ابن عبد ربه - ج١ ص ١٠٣ .

فالمقصود بها الألوان المختلفة من المعارف وكلمة مقال مصدرهـــا القـــول حيـــث وردت فى أثار الأجداد منـــذ العصـــر الجـــاهلى بمعنـــى الحديـــث والمحـــاورات والمراسلات وما يحمل كل معانى التوضيح للمواقف والاحداث سواء بالاستحســـان او النهى .

ويستمر مفهوم المقال بصورته السابقة فى العصر الإسلامى ويتبين ذلك من مكاتبات ومراسلات الرسول صلى الله عليه وسلم ومنـــه مـــا كتبـــه إلـــى المنـــذر بن ابن ساوى ملك البحرين من قبل الفرس .

"بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى" :

سلم " أنت ، فإنى أحمد إليك الله لا إله الا هو ، أما بعد : فإن مـــن صلـــى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا وأكل ذبحتنا ، فذلك المسلم ، له ذمة الله وذمة رسوله فمـــن أحب ذلك من المجوس ، فإنه آمن ومن أبى فعليه الجزيـــة " .

<u>فرد المنذر على كتابه صلى الله عليه وسلم قائلا</u> :-

" أما بعد يا رسول الله : فإنى قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم مـــن أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضى مجوس ، ويـــهود ، فأحدث لى فى ذلك أمرك " .

<u>فرد الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم قائلا</u> :-

" بسم الله الرحمن الرحيم : من " محمد " رسول الله الى المنذر بن ســـاوى سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله الا هو وأشهد أن لا إلـــه إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد ، فإنى أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنمـــا ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ، ومن نصـــح لـــهم فقد نصح لى ، وان رسلى قد أثنوا عليك خيرا ، وإنى قد شـــفعتك فـــى قومـــك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منـــهم ، وإنـــك

مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية " (١)

فكتاب رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عرض موجز لفكرة محددة ثم الحكم المباشر على نتيجة المكاتبة والمراسلة ويدرك المتلقى لمكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم أنها تدل على نموذج حى بليغ لنمط رفيع من القول الذى يجمع بين المقدمة التى تعتمد على الافتتاح الإسلامى المنير يعقبه العرض المركز الواضح للفكرة ثم الخاتمة التي تسلط الضوء على النتيجة بأسلوب جلى لا يترك مجالا للشك أو الاستفسار .

ولهذا فالمراسلات والمكاتبات التي تولى أمرها رسولنا صلى الله عليه وسلم هي نماذج بليغة مركزه واضحة يرتبط أولها بآخرها وكأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أتباعه والعرب بأصول المقال وضرورة احتواء ما يتصل به من المعاني بصورة طبيعية بلاغتها تنطلق من جلاء ألفاظها ودقة معانيها وارتباطها ترابط النسيج الواحد ولهذا يجد القارئ الكريم فى جمهرة رسائل العرب أن الكتاب والبلغاء بعد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم التزموا بالمنهج اللغوى والتعبيرى والبلاغى للمراسلات والمكاتبات فتكونت ملكة رفيعة من التصوير المقالى الجيد البسيط الذى مهد لفن المقال بخصائصه وقيمة فى العصر الحديث .

ويستمرنمو بذور المراسلات والمكاتبات فى الأدب العربى مع استمرار نمو ملامح المقال فقد كتب البلغاء والفصحاء قضايا فى الأدب ، والنقد ، والاجتماع والاقتصاد حملت الرسائل الإخوانية والسمات الأولية لفن المقال وخاصة أنها

---

(١)جمهرة رسائل العرب جـ١ الطبعة الاولى ١٩٣٧ م ص ٤١ : ٤٢ .
تأليف أحمد زكى صفوت .

تشبعت بالعواطف الجياشة والوجدانيات النبيلة النابعة من أواصر إجتماعية عالية وقد كتبت بأسلوب فصيح يعكس الأفكار الواعية بصاحبها التحليل الموضوعى فى مختلف الأمور الحياتية ومن كتاب الأدب العربى الذين تميزت موضوعاتهم الكتابية بملامح المقال الحسن البصرى (٢١-١١٠هـ) فقد سطر رسائل دينية واعية تمثل سلامة العقيدة وصدق الورع وآيات الدعوة الخالصة لله وردت فى البيان والتبين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة والعقد الفريد لابن عبد ربه وقد لعبت رسائله الوعظية دورا إيجابيا فى الترغيب والترهيب اعتمد فى بناء صياغتها على مخاطبة الوجدان ونداء القلب وتقسيم العبارات كما ركز فى الايحاء الصوتى على السجع والترادف مع الاهتمام بالاقتباس ومن رسائله الجيدة رسالة كتبها إلى عمر بن عبد العزيز قال فيها :- [١]أما بعد ، اعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن [٢] وليست بدار إقامة ، وإنما أهبط إليها آدم من الجنة عقوبة ، وقد يحسب من لا يدرى ماثواب الله أنها ثواب ، ومن لم يدر ما عقاب الله أنها عقاب ، ولها فى كل حين صرعة وليست صرعة كصرعة هى تهين من أكرمها ، وتذل من أعزها ، وتصرع من أثرها ، ولها فى كل حين قتلى فهى كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه. ، فالزاد تركها ، والغنى فيها فقرها ، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه : يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء ويحتمى قليلا ، مخافة ما يكره طويلا ، فإن أهل الفضائل كانوا منطقهم فيها بالصواب ، ومشيهم بالتواضع ، ومطعمهم الطيب من الرزق مغمضى أبصارهم عن المحارم فخوفهم فى البر كخوفهم فى البحر ودعاؤهم فى السراء كدعائهم فى الضراء لولا الآجال التى كتبت لهم ما تفاوت أرواحهم فى أجسادهم خوفا من العقاب ، وشوقا إلى الثواب ، عظم الخالق فى نفوسهم ، فصغر المخلوقون فى أعينهم .

---

(٢)جمهرة رسائل العرب - أحمد - أحمد زكى صفوت - جـ ٢ ص ٣٨١ .

[٢] ارتحال .

واعلم يا أمير المؤمنين أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل بـــه وان النـــدم على الشر يدعو إلى تركة وليس ما يفنى وإن كان كثيرا بأهل أن يؤثر على ما يبقى وإن كان طلبه عزيزا ، واحتمال المؤنة المنقطعة التى تعقب الراحة الطويلـــة خـــير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مئونة باقيـــة ، وندامة طويلة ، فاحذر هـــذه الدنيـــا الصارعة الخاذلة القاتلة التى قد تزينت بخدعها ، وفتكـــت بغرورهـــا ، وخدعـــت بأمالها ، فاصبحت كالعروس المجلوة ، فالعيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهـــة ، والنفوس لها عاشقة ، وهى لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقى بالمـــاضى معتـــبر ولا الاخر لما رأى من أثرها على الأول مزدجر ، ولا العارف بالله المصدق له حيـــن أخبره عنها مدكر ، وقد أبت القلوب لها إلاحبا ، وأبت النفوس لها إلا عشقا ، ومـــن عشق شيئا لم يلهم غيره ، ولم يعقل سواه مات فى طلبه ، وكان أثر الأشياء عنـــده ، فهما عاشقان طالبان مجتهدان ، فعاشق قد ظفر منها بحاجته فأغنته وطغى ونســـى ولها ، فغفل عن مبتدإ خلقه ، وضيع ما إليـــه معاودة ، فقل فى الدنيا لبثـــه حتـــى زالت عنه قدمه ، وجاءته منيته على أسر ما كان منها حالا ، وأطول ما كان فيـــها أملا ، فعظم ندمه ، وكثرت حسرته مع ما عالج من سكرته ، فاجتمعت عليه ســـكرة الموت بكربته ، وحسرة الفوت بغصته ، فغير موصوف ما نزل به ، وآخـــر مـــات من قبل ان يظفر منها بحاجته ، فمات بغمه وكمده ، ولم يدرك فيها ما طلب ، ولـــم يدع نفسه من التعب والنصب ، فخارجا جميعا بغير زاد ، وقدما على غير مـــهاد ، فاحذرها يا أمير المؤمنين الحذر كله ، فإنما مثلها كمثل الحية ، لين مســـها ، تقتـــل بسمها . فأعرض عما يعجبك فيها ، لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك هموم‍ـــها ، لما قد أيقنت من فراقها ، واجعل شدة ما اشتد منها رجاء ما ترجو بعدها ، وكـــن - عند أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها ، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلـــى سرور ، صحبته من سرورها بما يسوءه ، وكلما ظفر منها بما يحب انقلبت عليـــه بما يكره ، فالسار منها لأهلها غار،والنافع منها غدا ضار ، وقد وصل الرخاء فيـــها

بالبلاء ، وجعل البقاء فيها مؤديا الى الفناء ، فسرورها بالحزن مشـــوب ، والنـــاعم فيها مسلوب .

فأنظر يا أمير المؤمنين إليها نظر الزاهد المفارق ، ولا تنظر نظر المبتلـــى العاشق ، واعلم انها تزيل الثأوى [1] الساكن ، وتفجع المـــترف فيـــها الآمـــن ، ولا ترجع ما تولى وأدبر ، ولابد ما هو آت منها ينتظر ، ولا يتبع ماصفا منها إلا كـــدر ، فاحذرها فإن أمانيها كاذبة ، وأمالها باطلة ، وعيشها نكد وصفوها كـــدر ، وأنـــت منها على خطر ،إما نعمة زائلة وإما بلية نازلة،وإما مصيبة فادحة،وإما منية قاضيـــة، فلقد كدرت المعيشة لمن عقل ، فهو من نعيمها على خطر ، ومن بليتها على حذر ، ومن المنيـــة على يقين ، فلو كان الخالق تبارك وتعالى لم يخبر عنها بخـــير ولـــم يضرب لها مثلا ، ولم يأمر فيها بزهد لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ، ونبهت الغـــافل ، فكيف وقد جاء عن الله عز وجل منها زاجر ، وفيها واعظ ، فمالها عنده قـــدر ، ولا وزن من الصغر ، فلهى عنده أصغر من حصاة فى الحصى ، ومن مقدار نـــواة فى النوى ، ما خلق عز وجل فيما بلغنا أبغض إلى الله تعالى منها ، ما نظر إليـــها منذ خلقها ، ولقد عرضت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنـــها لا ينقصه ذلك عند الله جناح يعوضه ، فأبى أن يقبلها ، وما منعه من القبول لـــها - مع مالا ينقصه الله شيئا مما عنده كما وعده - إلا أنه علم أن الله عزو وجل أبغـــض شيئا فأبغضه ، وصغر شيئا فصغره ، ولو قبلها كان الدليل على محبته قبوله إياهـــا ولكنه كره أن يخالف أمره،أويحب ماأبغضه خالقه أويرفع ما وضعه مليكه[2]ورسـالة الحسن البصرى السابقة تدور حول فكر دينى يناقش علاقة الانسان بالدنيـــا وأثـــر فهمه لوجوده فيها فالفكرة واضحة السمة الدينية عالجها الحسن البصـــــرى علاجـــا منطقيا استند فيه لنتائج سلوك المؤمن الحذر والمسلم الذى يأمن الدنيا وقد ربط بيـــن

---

[1] الثأوى : المقيم

[2] جمهرة رسائل العرب - أحمد صفوت ص ٣٨١ : ٣٨٤ .

السلوك والنتائج بإسلوب جيد واضح يستوعبه الخاص والعام وقد نوع فى أساليب رسالته بين الاسميه والفعلية ليشير إلى ثبوت رؤيته واستمرار نتائجها فقد بدأ المقدمة بقوله (اعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن ، وليست بدار اقامة " وعقب بالاستدلال العقلى النابع من الدين فأشار الى هبوط آدم ، وطول البلاء ، والرزق الطيب ، والخوف من الله وبين أن الجهاد فيها يتجسد فى الحذر منها لانها زائلة منقطعة واستدل على ذلك بموقف سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد رفضها محبة لله خالصة وخطوط الرسالة قريبة من خطوط المقال البنائية فهى تضم مقدمة وعرض ونتيجة توحى بالمراد المعنوى للموضوع فقد قال فى الخاتمة (ولكنه كره أن يخالف أمره ، أو يحب ما أبغض خالقه ، أو يرفع ما وضع مليكه). ولهذا لو نشرت رسالة الحسن البصرى فى صحيفة من الصحف تندرج تحت المقال الدينى المتكامل الأركان إلى جانب ما يتمتع به من تشويق حى وتميز للفكرة . ومن كتابنا الذين تمتعت كتاباتهم بملامح المقال عبد الحميد بن يحيى (١) الكاتب (١٣٢هـ - ٧٥٠م) ورسائله متنوعه بين السياسية ، والأدب والاقتصاد . والاجتماعيات ومن رسائله التى تحمل سمات المقال ، رسالة فى وصف الإخاء ،

---

(١) عبد الحميد بن يحيى كاتب بليغ مشهور وبه يضرب المثل فى البلاغة حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد وكان فى الكتابة وفى كل فن من العلم والأدب إماما وهو من أهل الشام وكان أولا معلم صبيان ينتقل فى البلدان وعنه أخذ المترسلون وهو الذى سهل سبيل البلاغه فى الترسل ومجموع رسائله مقدار الف ورقة وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات .

(٢) وفيات الاعيان – دار صادر بيروت – احسان عباس .
جـ ٣ ص ٢٣٨ .

وفى الشطرنج ، وفى الصيد ، ورسالة إلى الكتاب وله مكاتبات فى التحميد ومنه فى تحميد فتح :–

" الحمد الله العلى مكانه ، المنير برهانه ، العزيز سلطانه الثابته كلماته الشافية أياته ، النافذة قضاؤه ، الصادق وعده ، الذى قدر على خلقه بملكه وعز فى سماواته بعظمته ، ودبر الأمور بعلمه ، وقدرها بحكمه على ما يشاء من عزمه ، مبتدعا لها بإنشائه إياها ، وقدرته عليها ، واستصغاره عظيمها ، نافذا إرادته فيها ، لاتجرى على تقديره ، ولا تنتهى إلا الى تأجيله ، ولا تقع الا على سبق من حتمه ، كل ذلك بلطفه وقدرته وتصريف وحيه ، لا معدل لها عنه ، ولا سبيل لها غيره ، ولا يعلم أحد بخفاياها ، ومعادها إلا هو ، فإنه يقول فى كتابه الصادق "وعنده مفاتح الغيب ولا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين [١] ومن تحميده البديع الجيد .

" أما بعد ، فالحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه وارتضاه دينا لملائكته ، وأهل طاعته من عباده ، وجعله رحمة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى به خلقه ، وأكرمهم وفضلهم وجعلهم بما أنعم عليهم منه أولياءه المقربين ، وحزبة الغالبين ، وجنده المنصورين ، وتوكل لهم بالظهور والفلج ، وقضى لهم بالعلو والتمكين ، وجعل من خالفه وعزب عنه ، وابتغى سبيل غيره ، أعداءه الا قلين ، وأولياء الشيطان الأخرين ، وأهل الضلاله الأسفلين . مع ما عليهم فى دينهاهم من الذل والصغار فأعجل لهم فيها من الخذلان والانتقام ، إلى ما أعد لهم فى آخرتهم من

---

(١)جمهرة رسائل العرب – أحمد زكى صفوت . طبعة ١٩٣٧م ، جـ٢ ص ٥٥١ .

(٢) عزب . بعد .

الخزى والهوان المقيم والعذاب الأليم ، إنه عزيز ذو انتقام [١] .

والباحث الكريم يجد أن فى التحميد ملامح للمقال الموضوعى الذى يحمل السمات الدينية النبيلة فالمقدمة التى أشرقت بالعبارة (الحمد الله العلى مكانه) والعرض الذى تفجر بعمق الثناء على الحق تبارك وتعالى والخاتمه التى جمعت فى رحابها الحمد والثناء والاعتراف بشمول علم الله وطلاقه قدرته يدل على الترابط التعبيرى والتسلسل الفكرى إلى جانب تقسيم الفقرات بإسلوب يجذب السامع مع تميزه بالواضح والانسيابية . ولعبد الحميد بين يحيى رسالة جيدة فى الكتاب تتمتع ايضا بروح المقال الأدبى والنقدى بمفهومه الحديث قال فيها " أما بعد ، حفظكم الله يأهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم ، فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين ، ومن بعد الملوك المكرمين ، أصنافا ، وإن كانوا فى الحقيقة سواء ، وصرفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات إلى أسباب معايشهم ، وأبواب أرزاقهم ، فجعلكم معشر الكتاب فى أشرف الجهات ، أهل الادب والمرؤة والعلم والرواية ، بكم تنتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر بلادهم ، لا يستغنى الملك عنكم ، ولا يوجد كاف إلا منكم ، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون ، وأبصارهم التى بها يبصرون ، وألسنتهم التى بها ينطقون ، وأيديهم التى بها يبطشون ، فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ، ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم .

وليس أحد من أهل الصناعات كلها ، أحوج إلى أجتماع خلال الخير المحمودة ، وخصال الفضل المذكورة المعدودة ، منكم أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم ، فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه

---

[١] جمهرة رسائل العرب - أحمد زكى صفوت الطبعة الاولى - ١٩٣٧ ص ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

الذى يثق به فى مهمات أموره . أن يكون حليما فى موضع الحلـــم ، فـــهيما فـــى موضع الحكم ، مقداما فى موضع الإقدام ، محجاما فى موضع الإحجـــام ، مؤثـــرا للعفاف ، والعدل والانصاف ، كتوما للأسرار ، وفيا عند الشدائد ، عالما بما يـــأتى من النوازل ، يضع الامور مواضعها ، والطوارق أماكنها ، قد نظر فى كل فن مـــن فنون العلم فأحكمه ، فإن لم يحكمه أخذمنه بمقدار ما يكتفى به ، يعـــرف بغريـــزة عقله ، وحسن أدبه ، وفضل تجربته ، ما يرد عليه قبل وروده ، وعاقبه ما يصـــدر عنه قبل صدوره ، فيعد لكل أمر عدته وعتاده ، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته .

فتنافسوا يا معشر الكتاب ، فى صنـــوف الأداب ، وتفقـــهوا فـــى الديـــن : وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية فانها ثقاب ألســـنتكم ، ثـــم أجيدوا الخط ، فإنه حليلة كتبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبـــها ومعانيـــها ، وأيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها ، فان ذلك معين لكم على ما تســـمو إليـــه هممكم ، ولا تضيعوا النظر فى الحساب ، فإنه قوام كتـــاب الخـــراج ، وارغبـــوا بأنفسكم عن المطامع : سنيها ودينها ، وسفساف الأمور ومحاقرهـــا ، فإنـــها مذلـــة للرقاب ، مفسدة للكتاب ، ونزهوا صناعتكم عن الدناءات ، واربئوا بأنفســـكم عـــن السعاية والنميمة ، وما فيه أهل الجهالات ، واياكم والكبر والصلف والعظمة ، فانـــها عداوة مجتلبة من غير إحنة ، وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم ، وتواصـــوا عليها بالذى هو أليق بأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم .

وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه ، حتى يرجع إليه حالـــه ، ويثوب إليه أمره ، وإن اقعد أحدكم الكبر عن مكســـبه ولقـــاء اخوانـــه ، فـــزوروه وعظموه ، وشاوروه ، واستظهروا بفضل تجربته وقدم معرفته وليكن الرجل منكـــم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه ، أحفظ منه على ولدة وأخيه ، فإن

عرضت فى الشغل محمدة فلا يضيفها إلا إلـــى صاحبــة ، وإن عرضــت مذمــة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلــة ، والملل عند تغــير الحــال ، فــإن العيب إليكم معشر الكتاب ، أسرع منه إلى الفراء ، وهم لكم أفسد منه لها .

فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صحبه الرجل يبذل له من نفسه ما يجب لـــه عليه من حقه ، فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره ، واحتمالـــه وصـــبره ، ونصيحته ، وكتمان سره ، وتدبير أمره ، ما هو جزاء لحقه ، ويصدق ذلك بفعالـــه عند الحاجة إليه ، والاضطرار إلى ما لديه .

فاستشعروا ذلكم - وفقكم الله - من أنفسكم فـــى حالـــة الرخـــاء والشـــدة ، والحرمان والمواساة وإلاحسان ، والسراء والضراء ، فنعمت الشيمة هذه لمن وســـم بها ، من أهل هذه الصناعة الشريفة ، فإذا ولى الرجل منكم ، او صير اليه من أمـــو خلق الله وعياله أمر ، فليراقب الله عز وجل ، وليؤثر طاعته وليكن على الضعيـــف رفيقا ، وللمظلوم منصفا ، فإن الخلق عيال الله ، وأحبهم اليه ارفقهم بعيالـــه ، ثـــم ليكن بالعدل حاكما ، وللاشراف مكرما ، وللفئ موفرا ، وللبلاد عامرا ، وللرعيـــة متالفا ، وعن ايذائهم متخلفا ، وليكن فى مجلسه متواضعا حليما،وفىسجلات خراجـه واستقضاء حقوقه رفيقا ، وإذا صحب أحد كم رجلا فيختبر خلائقه ، فـــإذا عـــرف حسنها وقبيحها ، أعانه على ما وافقه من الحسن ، وأحتال لصرفه عما يهواه مـــن القبيح ، بألطف حيلة وأجمل وسيلة ، وقد علمتم أن سائس البهيمة اذا كان بصـــيرا بسياستها ، التمس معرفة اخلاقها ، فان كانت رموحا لم يهجـــها اذا ركبـــها ، وإن كانت شبوبا اتقاها من قبل يديها ، وإن خلاف منها شرودا توقاها من ناحيـــة رأســها ، وإن كانت حرونا قمع برفق هواها فى طريقها ، فان استمرت عطفـــها يســـيرا ، فيسلس له قيادها ، وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملـــهم ، وجربهم وداخلهم .

والكاتب بفضل أدبه ، وشريف صنعته ، ولطيف حيلتـــه ومعاملتـــه لمـــن يحاوره من الناس ويناظره ، ويفهم عنه أو يخاف سطوته ، أولى بالرفق بصاحبـــه ، ومداراته وتقويم أوده ، من سائس البهيمة التى لا تحير جوابا ، ولا تعرف صوابـــا ، ولا تفهم خطابا ، الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها . الراكب عليها ، ألا فـــامعنوا - رحمكم الله - فى النظر ، وأعملوا فيه ما أمكنكم من الروية ولافكر ، تأمنوا بـــإذن الله ممن صحبتموه النبوة ، والاستثقال والجفوة ، وتصـــيروا منـــه إلـــى المؤاخـــاة والشفقة ، إن شاء الله تعالى .

ولا يجاوزن الرجل منكم - فى هيئة مجلسة ، وملبسة . ومركبه ، ومطعمـــه ومشربه ، وبنائه ، وخدمه ، وغير ذلك من فنون أمره - قدر حقه ، فانكم مـــع مـــا فضلكم الله به من شرف صنعتكم - خدمة .لا تحملون فى خدمتكم على التقصـــير ، وحفظه لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير ، واستعينوا على عفافكم بالقصد فـــى كل ما ذكرته لكم ، وقصصته عليكم ، واحذروا متالف الســـرف ، وســـوء عاقبـــة الترف فإنهما يعقبان الفقر ، ويذلان الرقاب ، ويفضحان اهلهما ، ولاســـيما الكتـــاب وأرباب الأدب ، وللأمور أشباه ، وبعضها دليل على بعض ، فاستدلوا على مؤتنـــف أعمالكم ، بما سبقت إليه تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجـــة ، وأصدقها حجة ، وأحمدها عاقبة .

وأعلموا أن للتدبير آفة متلفة ، وهى الوصف الشاغل لصاحبه عـــن إنفـــاذ عمله ورؤيته ، فليقصد الرجل منكم فى مجلسة قصد الكافى من منطقة ، وليوجـــز فى ابتدائه وجوابـــه ، وليأخذ بمجامع حججه ، فإن ذلك مصلحة لفعلـــه ، ومدفعـــة للتشاغل عن إكثاره ، وليضرع إلى الله فى صلة توفيقه ، وامداده بتسديده ، مخافـــة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه ، فإنه إن ظن منكـــم ظـــان ، او قـــال قائل " إن الذى برز من جميل صنعته ، وقوة حركته ، إنما هو بفضـــل حيلتـــه ،

وحسن تدبيره ، فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عز وجل إلـــى نفســـه ، فيصير منها إلى غير كاف ، وذلك على من تأمله غير خاف .

ولا يقل أحكم منكم انه أبصر بالأمور ، وأحمل لعب التدبير من مرافقة فـــى صناعته ، ومصاحبة فى خدمته ، فأن أعقل الرجلين عند ذوى الألباب ، من رمـــى بالعجب وراء ظهره ، ورأى أن صاحبة أعقل منه وأحمد فى طريقته ، وعلى كـــل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه ، من غير اغترار برأيـــه ، ولا تزكية لنفسه ، ولا تكاثر على أخيه او نظيره ، وصاحبـــه وعشـــيره ، وحمـــد الله واجب على الجميع ، وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل لعزته ، والتحدث بنعمته .

وأنا أقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل :" من يلزم النصيحه يلزمه العمـــل وهو جوهر هذا الكتاب ، وغرة كلامه ، بعد الذى فيه من ذكـــر الله عـــز وجـــل ، فلذلك جعلته آخرة ، وتممته به ، تولانا الله واياكم ما معشر الطلبة والكتبـــة ، بمـــا يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده ، والســـلام عليكـــم ورحمة الله وبركاته) . [1] يجد المتلقى أن صياغة الرسالة دقيقة تتمتـــع بـــالتحليل التركيزى وقد كتبت لفئة خاصة من أهل الثقافـــة والعلم والذوق وهى فئـــة الكتـــاب وقد بين صاحبها أن الكتابة فى المقدمة الفكرة الاسياسية لرسالته فذكر أنها تخـــص أهل صناعـــة الكتابة من أهل الأدب الذين يتمتعون بحس مرهف وصياغة لغويـــة وتعبيرية صحيحة وتنظيم موسيقى يشع من بين مقاطع المعانى الجزئية والكلية ممـــا يدل على تمتع الرسالة بالانسجام والترابط والوحدة الموضوعية الفكرية .

أما عرض عبد الحميد للرسالة فقد ذكر بذكاء أدبى ولغوى أهمية تزود أهـــل صناعة الكتاب بالعلوم والمعارف وعلل لذلك بأنهم أسباب رقى الخلافـــه واســـتقامة

---

[1] جمهرة رسائل العرب – أحمد صفوت ص ٥٣٤ : ٥٤٠ .

أمورها فهم أبصار وألسن الخطاب مما لديـــهم مـــن الحجـــة القاطعـــة والبرهـــان والساطع والعبارة (فموقعكم من الملوك موقع أســـماعهم التـــى بـــها يســـمعون و أبصارهم التى بها يبصر) إشارة بمنزلة الكتاب وارتفـــاع شـــأن العلـــم والعلمـــاء وتستمر الرسالة فى عرضها فتبيـــن فضل أهل الكتابة من أهـــل الأدب ويســـتعين الكاتب بالأفعال المضارعة (تنظم ، تســـتقيم ، يســـمعون يبصـــرون ، ينطقـــون ، يبطشون) إلى جانب تكراره لحرف الجر (الباء) الذى يعطى معنـــى الالصـــاق ، والاستعانة والمصاحبة[1](بكم تنتظم ، بنصائحكم ، بها ينطقون ، بها يبطشون بمـــا خصكم وما سبق من تزاحم تعبيرى وشكلى ومعنوى فى الفقرة الأولى فقط مما يـــدل على اعتماد عبد الحميد فيما كتب علي التحليل المكثف .

ثم بين أثناء العرض ضرورة تمتع الكتاب بالصفات النبيله مما يـــدل علـــى الترابط المعنوى والشكلى بين المعانى ، انهم أهل صلاح وأهل تأثير عميـــق علـــى الحكام .

ولا يجوز هذا التأثير ولا يستمر إلا إذا كان أصحاب خلال محمودة . وقـــد أشار الكاتب إلى أبرز هذه الصفات مثل ، العدل والانصاف ، والأمانـــة والحلـــم ، والعفاف ، والشجاعة وينتقل كاتبنا بعد هذه المعانى الجزئية إلى الثناء على الكتـــاب وحثهم على التنافس وذلك بغزارة المعارف والثقافات عـــن طريـــق طلـــب العلـــم والانصراف هم صغائر الأمور فقد حثهم على معرفة الألفاظ ومعاينها ومعرفة أيـــام العرب والعجم ورواية الأشعار وفى هذا المضمون استخدم الأمـــر والنـــهى لانـــه الهيكل المعبر عن رغبة الكاتب (تنافسوا ، تفقهوا ، ابدؤا اجيـــدوا ، لا تضيعـــوا ، ارغبوا ، اربئوا) كما استخدم أسلوب التحذير فحدث التناسق التعبيرى بين هدف

---

(١)الجنى الدانى – المرادى – دار الكتب العلميـــة بيروت ص ٣٩ – ٤٠ ، ٤١ .

الكاتب وبين النسيج اللغوى وقد تفاعل ابن الحميد فى رسالته ومعها حتى وصل إلى ثمرتها التى ترتبط بالمقدمة وتهدى إلى ما جاء فى العرض من المعانى الجزئية والكلية بالدعاء لمعشر الطلبة والكتبة حيث يلاحظ المتلقى انه به أ فى المقدمه بقوله (حفظكم الله يأهل الصناعة) وختم بقوله (تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبه والكتبة) .

والرسالة بشكلها وترابطها ووحدتها تختلف عما فى العصر الإسلامى فقد ظهر فيها عنصر العرض التحليلى الدقيق من استخدام التعبير التركيزى الذى يشمل المعانى الجزئية ويعتمد على الموضوع فى إحداث التفاعل النفسى بين الكاتب ومن يكتب لهم ولعبد الحميد رسالة فى الإخاء تتمتع أيضا بسمات المقال من حيث العناصر الأساسية البنائية من مقدمة وعرض وخاتمة قال فيها :-

(" فإن أولى ما اعتزم عليه ذوو الإخاء ، وتواصل عليه أهل المودات ، ما دعا أسبابه صدق التقوى ، وبنيت دعائمه على أساس البر ، ثم أنهد البناء حريز التواصل وشيده مستعذب العشرة ، فادعم قويا ، وصفا مونقا وأخلصته المقة ، منعطفة ، وسكنت به القلوب أنيسة ، وسمت من مواصلته الهمم مستعلية عن كل زائغ معتاق ، ومخوف عارض ، يخترم مسكة الإخاء ، ويجتز مربوب ، المقة ، ضنا بما استعذبوا من محمود وثائقه ، وازديادا فيما تمطقوا به من حلاوة جناه ، فإذا استحكم لهم مذخور الصفاء بثبات أو اخيه ، وظهور أعلامه ، ومحصول مختبره ، وثقة مواده ، كان سرورهم باعتلاقه ، وأبتهاجهم بوجدانه ، وانماؤهم صلته ، وبذلهم رعايته ، وحياطتهم محموده ، بحيث نالوا من معرفة حظوته ، واستولوا عليه من مزية كرمه ، وتعرفوا من ذخيرة عائدته ، ومأمون حفاظه ، وكشف لهم عن نفسه ، مظهرا أعلامه ، مبديا دفينته ، طارحا قناع سره ، معلنا مكنون ضميره ، فى نأى الدار ، وجدان المجتمع ، بإظهار ما استتر من المحاسن ،

وبث فى الحقب من المكارم ، قياما لهم بالنصرة ، وحياطا للمودة ، وترغيبـــا فـــى العشرة ، فكان أكهف لجأ ، وأحرز حصن ، وأحصف جنة وأعون ظهير ، وأبقـــى ذخيـــرة ، وأعظم فائدة ، وأشرف كنز ، وأفخـــر صنيعة ، وآنق منظر ، وأينـــع زهرة ، أكثر الأشياء ريعا وأنماها وصلا ، وأمدها سببا ، وأقواها أيـــدا ، وأحلاهـــا ذوقا ، وأدعمها ثباتا ، وأرساها ركنا ، لا يدخل مستحقها سآمة مـــلال ، ولا كـــلال مهنة ، ولا تثبيط ونية ، ولا ضعف خور ، لنزول بائقة ، أو طروق طارقة ، مـــن عوارض الأقدار ، وحوادث الزمان ، بل مواسيا فى ازمـــها ، متورطـــا غمـــرات قحمها ، متدرعا هائل بوائقها ، مستلحما نواظر مقاطعها ، حتى تضير به الأقـــدار إلى تناهيها ، ويبلغ به القضاء مقداره ، غير منان بـــالنصرة ، ولا بـــرم بـــالتعب ، يرى تعبه غنما ، ونصبه دعة ، وكلفه فائدة ، وعمله مقصرا ، وســـعيه مفرطـــا ، واجتهاده مضيعا ، عدل الولد فى بره ، والوالد فى شفقته ، والأخ فـــى نصرتـــه ، والجار فى حفظه ، والذخر فى ملكه ، فأين المعدل عن مثله ؟ أو كيـــف الإصابـــة لشبهة ؟ أو أنى عوض من فقده ؟ جعنا الله وإياك على طاعته ، والفنـــا بمحابـــة ، وجعل أخوتنا فى ذاته .

قد حددت لك أى أخى الإخاء متشعبا ، ووصفته لك مخلصا ، وانتهيت بـــك إلى غاية أهل العقل منه ، وما تواصل أهل الرأى عليه ، ودعا إليه الإخاء من نفســه منتطقا به ، ضامنا له ما فرط فى ذلك تقصير من أهله ، وداخله تضييع من حملتـــه ، أو حاطه إحكام وكنفه حفاظ من رعاته .

وافانى كتابك بما سألت من ذلك ، وعقلى محصور ، ورأيى منقسم وذهنـــى فيما يتأهب به الأمير لقتال عدو الله من خرز الترك ، واختلاف رسلة إلـــى جبـــال اللان والطبران وما ولاهما ، بنوافذ أمره ، ومخارج رأيه . فانا مصيـــخ ، السـمع للفظه ، عقل العقل عن سوى أمره ، محتضر الذهن فى تدبيرهم ، ذهل القلب عـــن

تفنين القول وتشعيب الكلام فى تصنيف طبقات الرجال ، ومن أين دخل عليهم نقص الإخاء ، وكيف خانهم مونق الصفاء ، وقد صرحت لك عن رأى ذوى الصفاء ، وكشفت لك خباء الإخاء ، وجمعت لك إلف مودة أهل الحجا ، فتلق ما وصفت لك بقلب فهم عقول ذى ميزه يقظان ، وذهن جامع حافظ ذى ثقافة راع ، أحضرك الله عصمه التوفيق ، وسددك الله لإصابة الرشد ، ومكن لك صدق العزيمة ، والسلام "). ورسالة وصف الإخاء تتصف بالسمة الاجتماعية التى تعالج استمرار أسبابه بوصف تحليلى مترابط المعانى يهدى أوله الى آخره حيث تعرض للأصول الاجتماعية والوجدانية مبينا أن البر والتقوى هما أساس لب الإخاء النبيل .

وتتمتع الرسالة بصفات المقال الاجتماعى الذى يجمع بين الموضوعيه والاجتماعية . مع تميزها بدقة التناول وتسلسل الأفكار التى انبثقت من فكرة واحدة (الإخاء) .

والقارئ الكريم لجمهرة رسائل العرب يجد فيها رسائل اجتماعية وسياسية ودينية ... الخ تنم عن بذور الشكل الجيد للمقال .

وتستمر الحياة الأدبية فى موكبها الحى المتميز بالفكر والعطاء

والصحوة الادبية وللغوية والبلاغية مما دفع إلى رقى الذوق وتشعب مطالب الحياة فطالعنا الجاحظ [1]الذى يعد من الرواد الذين غرسوا بذور فن المقال حيث

(١) هو : ابو عثمان عمرو بن محبوب لايدانيه كاتب فى سعة ثقافته ورشاقة أسلوبه كثير الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتز له مولده ووفاته فى البصرة ، فلج فى آخر عمره وكان مشوه الخلقه مات والكتاب على صدره قتلته مجلدات من الكتب

مهد بإسلوبه الخصب وأفكاره الحية وصوره الناطقه لجنس من الأجناس الأدبية فقد كانت آثاره من النماذج الأدبية الهادفة التى تعالج قضايا الفرد والجماعة من واقع الظروف البيئية المختلفة الاجتماعية ، والسياسية ، والأدبية ، والدينيه ومن رسائله التى تميزت بروح المقال رسالته فى النساء وقد قسمها إلى فصول .

فصل منه

والمرأة أيضا أرفع حالا من الرجل فى أمور . منها :
أنها التى تخطب وتراد ، وتعشق وتطلب ، وهى التى تفدى وتحمى قال عنبسه بن سعيد [٢] للحجاج من يوسف : أيفدى الأمير أهله ؟ قال : والله إن تعدونني إلا شيطانا ، والله لربما رأيتنى أقبل رجل إحداهن !!

فصل منه

وإنما يملك المولى من عبده بدنه ، فأما قلبه فليس له عليه سلطان ، والسلطان نفسه وإن ملك رقاب الأمة ، فالناس يختلفون فى جهة الطاعة ، فمنهم من يطيع بالرغبة ، ومنهم من يطيع بالرهبة ، ومنهم من يطيع بالمحبة ، ومنهم من يطيع بالديانة .

وهذه الأصناف ، وإن كان أفضلها طاعة الديانة فإن تلك المحبة ما لم يمازجها هوى لم تقو على صاحبها قوة العشق ، وفى الأثر المستفيض والمثل السائر : " إن الهوى يعمى ويصم " فالعشق يقتل .

وقعت عليه له تصانيف كثيرة منها ، الحيوان ، وسحر البيان ، التاج ، الأضداد ، تنبيه الملوك ، البيان والتبين ، البخلاء .

الأعلام – الزركلى – طبعة بيروت جـ٥ ص ٧٤ .

[٢] من جلساء الحجاج

فصل منه

وما يستدل به على تعظيم شأن النساء أن الرجل يستحلف بالله الذى لا شـــئ أعظم منه ، وبالمشى إلى بيت الله ، وبصدقه ماله ، وعتق رفيقه ، فيسهل ذلك عليـه ولا يأنف منه ، فإن استحلف بطلاق امرأته تربد وجهه ، وطار الغضب فى دماغــه ، ويمتنع ويعصى ويغضب ويأبـــى ، وإن كان المحلف سلطانا مهيبا ولو لـــم يكـــن يحبها ولا يستكثر منها ، وكانت نفسها قبيحة المنظـــر ، دقيقـــة الحســـب ، خفيفـــة الصداق ، قليلة النسب ليس ذلك إلا لما قد عظم الله من شأن الزوجات فى صـــــدور الأزواج .

فصل منه

وباب آخر : وهو أن الله تعالى خلق من المرأة ولدا من غير ذكر ولم يخلـق من الرجل ولدا من غير أنثى فخص بالأيـــة العجيبة والبرهان المنير المـــــرأة دون الرجل ، كما خلق المسيح فى بطن مريم من غير ذكر .

فصل منه

ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل : إن النساء فوق الرجـــــال أو دونـــهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر ولكنا ، رأينا ناسا يزرون عليهن أشد الزراية ، ويحتقـــر ونهن أشد الاحتقار ، ويبخسونهن أكثر حقوقهن .

وإن من العجز ان يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الأباء ، والأعمـــــام إلا بأن ينكر حقوق الأمهات والأخوال فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن .

ولولا أن ناسا يفخرون بالجلد وقوة المنة ، وانصراف النفـــس عـــن حـــب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لامته وزوجته وولده دليلا على الضعف ، وبابـــا

من الخور ، لما تكلفنا كثيرا مما شرطناه فى هذا الكتاب) [1] والمتلقـــــى لرســائل الجاحظ يجد فيها فصاحـــة تعبيرية وقدرة لغوية يستطيع بها مناقشة الفكرة بذكــــاء موضوعى حيث يعتمد فى عرضه على الاستدلال الدينى والاجتماعى ورسالته فـــى النساء تتمتع بالوضوح والتسلسل فى العرض ولعل تقسيمه لرســالته إلــى فصـــول يرمى إلى الانتقال من مناقشة وجدانية ثم اجتماعية ثم دينية ... الخ . ليعود فـــيربط بين السمات جميعها والفكرة الأساسية الوارد فى الرسالـــة هـــى منزلـــة النســاء . ورسالـــة الجاحظ فى النساء بها لمحات المقال الموضوعـــى المطبـــوع بالسمـــة الفقهيـــة كما انها تحمل بعض خصائص أدب الجاحظ وفنيتـــــه مثـــل الاســتدلال والاستطراد والاستنباط ورسائـــل الجاحظ تعلن عن شخصيـــة صاحبها ممـــا يـــدل على بصمته المتميـــزه فى عالم الفن الأدبى . ومن الجدير بالذكر أن القارئ يشـــعر أنه أمام عرض جديد الفنيـــة فى الشكل الموضوعـــى للعمـــل الأدبـــى ففصـــــول ورسائل الحسن البصرى ، وعبد الحميد الكاتب ، وعبدالله بن المقفع ، والجـــاحظ ، وابن قتيبة وإخوان الصفا بذرة طيبة فى ساحات المقال الادبى الذى اكتملت صورتـه فى العصر الحديث حيث يجد القارئ تمتع الرسائل والفصول بالعنـــاصر الأوليـــة

---

(١) رسائل الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – الطبعة الاولى ١٩٧٩ م . مكتبـــة الخانجى بمصر .

من ص ١٣٩ : ١٥٩ جــ ٣ .

تضم رسائل الجاحظ مجموعة من المقالات الأدبية والاجتماعيـــة والنقدية منها :– الحاسد والمحسود ، رسالة فى المعلمين ، التربيع والتدوير مدح النبيذ ، النساء ، مناقب الترك ، حجج النبوة ، خلق القرآن ، المعاد والمعاش ، الجد والهزل ، الوكلاء ، الأوطان والبلدان ، المودة والخلطة ، استنجاز الوعد الشارب والمشروب .... الـــخ .

للمقال من مقدمة وعرض تحليلى وخاتمة ترتبط بالمقدمـــة مـــع تحقـــق الوضـــوح والسهولة الأسلوبيـــة .

الفصل الثانى

عناصر المقال
وأنواعه

عناصر المقال

وأنواعه

المقال هو فن الحياة حيث تتفجر ينابيعه المتدفقـــة بالمعــــانى الحيـــة المتنوعة وهو اللسان الناطق المعبر عن ظروف البيئة تنطلق ومضاته مـــــن وحيها فتنتشر فى سماء المجتمع لتبدد ظلمات الجــــهل الفكــرى والوجدانـــى وتشحن العواطف وتشحذ الهمم وذلك لتناولها بــــالعرض والتحليــل المقنــع القضايا الدينية ، والأدبية والاجتماعية والسياسية والنقدية .... الخ وهو بـــهذا يشكل نظرة المجتمع تجاه الأحداث ويدفعه إلى حرية الرأى التى تثمر بدورها نهضة تقدمية فى كافة المجالات الحياتية طالما نبعت من قلم حر صادق مبدع فى العرض والتحليل والنتيجة ولا تتحقق هذه الثمرة إلا بنتشار القطاع التعليمى والاهتمام بالثقافه الإعلاميـــة .

والمقال كما سبق قطعة نثرية انشائيـــة نابعة من تجربـــــة شـــعورية واضحه الملامح ونشاط عقلى محدد الهدف مترابط الأجزاء متلاحم العبـارات كأنه قصيدة متكاملة تم نثرها تتحقق فيه الوحدة بأكمل معاينها بيــــن أجــزاء العمل وبين الكاتب والمتلقى ويتركز بناء المقال فى العناصر الأتية :-

المقدمة :- تمثل المقدمة الشعاع الهادى الذى ينير للفكرة ويمهد السبيل لـــــها فهى المحرك الأول لمشاعر القراء والمنبه الفعال لعقولهم ولهذا يجـب أن تتوافق مع موضوعها من حيث عدد الأسطر والمعانى الجزئية كما يجب أن تكتب بإسلوب مثير موجز لتنشيــــــط الحاســة الاســتقبالية لدى المتلقى .

العرض :– وهو أساس المقال ولبه يتصل بالمقدمة اتصال النبض بالفؤاد وفيه يقوم الكاتب بتحليل الفكرة أو الأفكار المتصلة بالموضوع بإسلوب مقنع سهل واضح الملامح دقيق الاستنباط ويعتمد العرض على التسلسل المنطقى والتركيز المثير لإشباع حاجة القراء من الجمال الفكرى والإبداع التصويرى وذلك حين يتتبعون مع الكاتب خيوط فكرته عندما تمتد وتلتف لتصل إلى الخاتمة .

الخاتمه :– وهى ثمرة المطاف وسكون للحركة الفكرية والوجدانية التى عاشها الكاتب والقراء وفيها تتجلى مهارتة الإبداعية والتى من منطلقها يتحقق التأثير الذى يولد الإقناع الذهنى والعاطفى ونجاحها يكون فى ضمها للأفكار فى كلمات موجزة وبسيطة ومثيرة وواضحة فهى الصدى الانفعالى الصادق بين الكاتب والقراء وبعد فالمقال قطعة نثرية انشائية متجانسة مترابطة تنبع من المقدمة وتتفجر وتجرى فى العرض لتصب فى الخاتمة .

وقد عالج أحمد الشايب فى كتابه الجيد (الإسلوب) عناصر المقال وخطته قائلا :–

(أما خطة المقالة فهى أسلوبها المعنوى من حيث تقسيمه ، وترتيبه ، لتكون قضاياه متواصله ، بحيث تكون كل قضية نتيجة لما قبلها مقدمة لما بعدها حتى تنتهى جميعا إلى الغاية المقصودة . وهذه الخطة تقوم على المقدمة والعرض والختام ، فالمقدمة تتألف من معارف مسلم بها لدى القراء ، قصيرة متصلة بالموضوع معينة على بما تعد النفس له ، وما تثير فيها من معارف تتصل به والعرض أو

صلب الموضوع هو النقط الرئيسية أو الطريقة التى يؤديـــها الكـــاتب سواء انتهت إلى نتيجة واحدة أم إلى عدة نتائج هى فى الواقع متصلـــة معا ، وخاضعة لفكرة رئيسيـــة واحـــدة ويكـــون العـــرض منطقيـــا مقدما الأهم على المهم ، مؤيدا بالبراهيـــــن ، قصـــير القصـــص أو الوصف أو الاقتباس ، متجها إلى الخاتمة لانها منارة الذى يقصـــــده ، والخاتمة ثمرة المقالة وعندها يكون السكوت ، فلابد أن تكون نتيجـــة طبيعية للمقدمـــة والعرض ، واضحة صريحه ، ملخصـــة للعناصـــر الرئيسية المراد إثباتها ، حازمة تدل على اقناع ويقين ، لا تحتاج إلـــى شئ آخر لم يرد فى المقالة) .

وبهذا فالمقال من الفنون الأدبية النثريـــة التى تحتاج لذوق متفتح وفكر متجدد قادر على مناقشة رؤيتـــه بذكاء ساحر وانفعال صادق وايمـــان عميق بالفكرة التى يعالجها فى المقال أو الأفكار الجزئيـــة المتصلـــة بالفكرة العامة وعلى سبيل المثال لا الحصر مقـــال (الأداب العامـــة للمنفلوطى [١] جاء فيه :-

يتحدث كثير من الناس عن فئة من الشبان المصريين المتعلميـــن قد ظهروا فى هذه الأيام واتخذوا لأنفسهم فى حياتهم العامـــة طريقـــا غـــير الطريق اللائقة بهم وبكرامتهم وبمنزلة العلم الذى يزاولونه فأصبحوا مبتذليـــن

---

(١)مصطفى لطفى المنفلوطى نابغة فى الإنشاء والأدب انفرد بإسلوب نقى فى مقالاته وكتبه لـــه شعر جيد فيه رقة وعذوبة ولد فى منفلوط مدن الوجه القبلى بمصر تعلم فى الأزهر واتصـــل بالشيخ محمد عبده ابتدأت شهرته بما كان ينشر فى جريدة المؤيد من المقـــالات الأسبوعيه تحت عنوان النظرات ، له من الكتب فى سبيل التاج ، ومجدولين ، النظرات .
الاعلام - بيروت - دار العلم للملايين - جـ ٧ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

فى شهواتهم ، مستهترين فى ميولهم وأهوائهم ، ينتهكون حرمات الأعـراض ما شاءوا وشاعت لهم نزعاتهم ويعبثون بها فى كل مكان عبث الفاتك الجـرئ الذى لا يخاف مغبة ، ولا يخشى عارا ، وأهول ما يتحدثون به عنهم فى هـذا الشأن انهم يغرون الطالبات الصغيرات اللواتى لا يزلن يختلفن إلى مدارسـهن او اللواتى انقطعن عنها منذ عهد قريب إلى منازلهن ، وينصبون لهن صنوف الحبائل ، وأنواع الأشراك لاصطيادهن واسقاطن فى هوة الإثم والعار ، وهذا ما أريد أن أتكلم عنه قليـلا ، أصحيح ما يقولون عنكم أيها الفتيان التعسـون أنكم تتخذون صلة العلم التى هى أشرف الصلات وأكرمها صلـة فساد بينكم وبين أولئك الفتيات الضعيفات وأن الحبالـة التى تنصبونها لهن لاصطيـادهن إنما هى حبالة القلم الذى هو أفضل أداة للخير ، وأعظم وسـيلة للفضيلـة ، وخير واسطة للأدب والكمال ؟ .

أصحيح ما يقولون عنكم إنكم تكتبون إليهن ليكتبن إليكم وتهدون إليهن صوركم ليهدين إليكم مثلها ، فإذا امتـلات حقـائبكم وجيوبكـم بصورهـن ورسائلهن أخذتم تنتشرونها فى كل مكان وتعرضونها فى كل معرض ، وأخذ بعضكم يفاخر بعضا بكثرة ما يملك منها أو بجماله ورونقه ، كما يفخر المرء بأفضل المزايا وأشرف الخصال ؟

أصحيح أنكم تقفون لهن بكل طريق ، وتأخذون عليـهن كـل سـبيل وتضايقوهن فى مغداهن ومراحهن وحيث ذهبن إلى عمل ، أو خرجن لزيارة ، أو برزن فى مجتمع ، فإذا عجزتم عنهن فى الطريق أرسلتم وراءهن الرسل فى منازلهن يخادعنهن ويخاتلنهن ، وربما توسلتم إليـهن بـأخواتكم وبنـات أعمامكم ليسفرن بينكم ويداخلهن مداخلة الأصدقاء حتى يجتذبهن إلى منازلكم؟

أصحيح أنكم تقضون اكثر لياليكم مكبين على كتابة رسائل الغـــرام ، واكثر أيامكم حائمين حول المنازل تنتظرون خدامــها الذيــن اصطنعتموهــم ليحملوا رسائلكم إلى ساكنيها وربما جلستم علـــى أبوابــها بجــانب البوابيــن والحوذيين ترقبون نوافذها وكواها علها تنفرج لكم عمن تحبون ؟

أصحيح أنكم أصبحتم لا تقنعون فى أمر أولئـــك الفتيـــات البائســـات اللواتى يقعن فى مخالبكم بإفساد أخلاقهن حتى تسجلوا عليـــهن ذلـــك الفســـاد تسجيلا موقعا عليه بتوقيعاتهن مستشهدا عليه بصورهن وخطوطهن لتملكـــوا عليهن أمرهن بعد ذلك ، وتحولوا بينهن وبين التفلت من أيديكم والحياة بعيـــدا عنكم فى جو غير جوكم وجوار غير جواركم عذارى او متزوجـــات ؟

أصحيح أنكم لا تكتفون بإفساد نفوسهن وضمائرهن حتى تفسدوا عليهن عقولهن وصحتهن ، لتشركوهن معكم فى شرب الخمر وتنـــاول المخـــدرات سائلها وجامدها فلا تلبث أن تنتهى حياتهن بما تنتهى به حياة النساء الساقطات اللواتى يلفظن أنفاسهن الأخيرة فى أقبية الحانات بين جدران المواخير ؟ .

أصحيح أنكم فقدتم فى تلك السبيـــل التى تســـلكونها خلـــق الرجولـــة والشهامـــة ، فأصبحتم تتجملون للنساء بأخلاق النساء وتزدلفون إليهن بمثـــل صفاتهن وشمائلهن ، وأصبح الرجل منكم لاهم له فى حياته إلا أن يتجمل فـــى ملبسه ، ويتكسر فى مشيته ، ويدقق من صوته ، ويلون ابتســـامته ونظراتـــه بألوان التضعضع والقشور ويقضى الساعات الطوال أمام مرآته متعهداً شعره بالترجيل وبشرته بالتنضير ، وثناياه بالصقل والجلاء ، حتى صار ذلك عـــادة

من عاداتكم التى لا تنفك عنكم وحتى سرى التأنيث من أجسامكم إلى نفوسكم ، فلم يبق فيكم من صفات الرجولة وأخلاقها غير الأسماء والألقاب .

إن كان حقا ما يقولون كله أو بعضه فرحمة الله عليكم أيها الفتيان المساكين ، وسلام على الفضيلة والشرف سلام من لا يرجو عودة ، ولا ينتظر إيابا .

إن هذه الفتاة التى تحتقرونها اليوم وتزدرونها ، وتعبثون ما شئتم بنفسها وضميرها ، إنما هى فى الغد أم أولأدكم ، وعماد منازلكم ومستودع أعراضكم ومروأتكم ، فانظروا كيف يكون شأنكم معها إذا ، وكيف يكون مستقبل أولادكم وأنفسكم على يدها . اين تجدون الزوجات الصالحات فى مستقبل حياتكم إن انتم افسدتم الفتيات اليوم ، وفى أى جو يعيش أولادكم ويستنشقون نسمات الحياة الطاهرة إن أنتم لوثتم الأجواء جميعها وملائتموها سموما وأكدارا ؟

لا تتكون أخلاق الفتاة فى عهد طفولتها أو عهد شيخوختها ؟ بل فى عهد شبابها ، فإذا سلم لها ذلك العهد فقد سلم لها كل عهد بعد ذلك ، فدعوها تجتز هذه المرحلة الوحيدة من مراحل حياتها شريفة طاهرة تجدوا فيها بعد قليل من الزمن خير زوجة للزوج ، وخير أم للولد ، وخير سيدة للمنزل .

لا تعجلوا عليها وانتظروا بها قليلا لتستطيعوا أن تجدوها غدا زوجة طاهرة شريفة فى منازلكم ، بدلا من أن تجدوها فتاة ساقطة مزدراه مطرحة على أعتاب المواخير والحانات لا تزعموا بعد اليوم أنكم عاجزن عن العثور بزوجات صالحات شريفات يحفظن لكم أعراضكم ، ويحرسن سعادتكم وسعادة

منازلكم ، فتلك جناية أنفسكم عليكم ، وثمرة ما غرست أيديكم ولو أنكم حفظتم لهن ما ضيهن لحفظن لكم حاضركم ومستقبلكم ، ولكنكم أفسدتموهن ، وقتلتم نفوسهن وفقدتموهن عند حاجتكم إليهن .

إننى لا أفزع فى أمركم إلى القانون ، فالقانون فى هذا البلد مدنى لا أدبى ، ولا إلى الحكومة ، فالحكومة مشغولة بشأن نفسها عن شأن غيرها ، ولا ألى الدين ، فقد ضعف شأنه فى نفوسكم حتى هان أمره عليكم ، ولا إلى أبائكم وأولياء أموركم ، فقد عجزوا عنكم ، وأصبحوا يبكون مع الباكين عليكم ، بل أفزع فى أمركم إلى ضمائركم التى هى الأمل الباقى لنا بعد فقد جميع أمالنا فيكم ، فاصغوا إلى صوتها ساعة تسمعوا منها هذا الرجاء الذى ترفعه إليكم ، وصوت الضمير أقوى من كل صوت فى العالم . أصغوا إليه تسمعوه يقول لكم : إن هولاء الفتيات اللواتى لا تستحيون أن تمدوا إليهن أعينكم ، وأيديكم إنما هن أخواتكم الحميمات يجمعكم وإياهن أب واحد وهو النيل وأم واحدة وهى البلد ، وشرف الإخوة هو الملجأ الأمين لأعراض الأخوات وشرفهن .

يجب أن لا يفتح قلب فتاة لآحد من الناس قبل أن يفتح لزوجها لتستطيع أن تعيش معه سعيدة هانئة لا ينغصها ذكرى الماضى ، ولا تختلط فى مخيلتها الصور والألوان ، ولا أعرف فتاة فى هذا البلد بدأت حياتها بغرام قط فاستطاعت أن تتمتع بعده بحب شريف .

ولا أزال أذكر حتى اليوم حادثة ذلك الفتى الذى اهدت إليه حبيبته - رسمهاموقعاعليه بتوقيعها، فلما تزوجت وكان لايحب ذلك منها

أراد الانتقام منها فقطع رأس الصورة ووضعها على جسم عار بتلك الطريقة الفنية المعروفة ، ثم أرسلها مع كتاب وشاية إلى زوجها ليلة عرسها ، فما لبثت أن خسرت فى لحظة واحدة سمعتها وسعادتها وحدثنى من أثق به ان كثيرا من الفتيات الفاسدات لا يتزوجن الإ بعد ان يأخذن على أنفسهن عهدا أمام أخلائهن أن يكن لهم بعد الزواج ، أى بعد أن يصبحن مطلقات من قيود العذرة وروابطها ، وقلما تتزوج فتاة ذات صلات فاسدة من رجل إلا وردت عليه ليلة البناء بها أو فى صبيحتها كتب الوشاية بها من الأشخاص الذين اتصلت بهم وأخلصت إليهم ، فانتهى أمرها فى حياتها الجديده بالشقاء والعار نحن فى حاجة الى أن نعلم بناتنا ، لآننا لا نريد أن يعشن جاهلات متأخرات ، فتنحوا عن طريقهن أيها الغواة المفسدون ، ليستطعن ان يختلفن إلى مدارسهن أمنات مطمئنات على نفوسهن وأعراضهن ، ولا تزعجوهن بفضولكم وإسقاطكم ، فإننا لم نبعث بهن فى تلك السبيل ليفسدن شرفهن وعفتهن ، بل ليضفن إلى فضيلة الأدب والكمال فضيلة العلم والمعرفه .

أفسحوا الطريق لهن وأفسحوه للعاملة الخارجة فى طلب رزقها ، والأرمل المسترزقة لبنيها ، والفقيرة العاجزة على قضاء حاجتها الإ بنفسها ، والذاهبة لصلة رحمها ، والسائرة لزيارة قبر فقيدها ، ولا تكونوا حجر عثرة فى سبيل حرية المرأة فى ذهابها وجيئتها واضطرابها فى مذاهب الأرض سعيا وراء رزقها ، وقضاء مصالحها ، فإن أبيتم عليها ذلك فاعترفوا أنكم اعداؤها القساة المتوحشون ، لانكم تأبون عليها إلا أحدى الخطتين القاتلين ، إما الجهل الدائم ، أو السقوط العظيم . الفضيلة الفضيلة أيها القوم فهى العزاء الوحيد لهذه الأمة المسكينة عن جميع الآمها ومصائبها

، والأمل الباقى لها إن ضاعت لا قدر الله جميع أمالها وأمانيها ، والشـــرف الشرف فربما جاء يوم ندير فيه أعيننا من حولنا فــلا نجــد مــاتملك أيدينــا شيئا سواه[1]) .

يرمى العرض للنص السابق إلى دراسة تطبيقية على ترابط عنــاصر المقال بعضها البعض وعناصر المقال كما سبق هى (المقدمـــة) والعــرض والخاتمة ، وهى العناصر الشكلية الأدبية فى محورها الفنـــى وترتبـط بــها العناصر الوجدانية والانفعالية والتى تقوم بدروها بشحن الإسلوب التعبـــيرى وتفريغه فى العرض ثم إغلاقه فى الخاتمه بعد إشباع الكـــاتب لرؤيتــه مــن الناحيتن العاطفية والفكرية والمتأمل لمقال (الأداب العامة) يجد أن العنوان قد نبه الأذهان إلى نوعية المقال والمغزى الاجتماعى الذى من أجلــه سـطره الكاتب وبهذا .

العنوان :- هو الومضـــة الآولى والشعاع الذى يجذب الأذهـــان .

المقدمة :- (يتحدث كثير من الناس عن فئة من الشبان المصريين المتعلمين قد ظهروا هذه الأيام .

واتخذوا لانفسهم فى حياتهم العامة طريقا غير اللائقة بهم . وبكرامتهم وبمنزلة العلم الذى يزاولونه) .

فجرت المقدمة الأفكار التى سيعالجها الكاتب وحصرها فى :-

(١) الشبان .

(٢) المصريون

(٣) المتعلمون من الشبان .

---

[1] مختارات من نثر المنفلوطى – محمد زكى ص ١٣٣ : ١٤١ .

(٤) الكرامة ومنزلة العلم .

وفى هذا الحصر إثارة للغيرة والحمية وحث على الالتزام فقد فجـــر المنفلوطى فى مقدمته :-

قضية اجتماعية تمس السلوك اعتمد فيها على ذكر الشباب لأنهم عـدة الأمـة ومستقبلها والحماة لشرفها وعرضها فإذا كانوا هم الذين يعبثون بكيانها فكيف بالمترصد لها وكأنه يقول انتم تهدمون أمتكم وتيسرون للعدو المهمة .

وعقب بالمصريين : من باب العتاب وإثارة الغيرة فقد عـــرف عـن المصريين خلق الشهامة والكرم والحميـة الإسلاميـة فماذا حدث الان؟

ثم اشتد انفعال المنفلوطى ورغبته فى التحذير .

فقال :-

المتعلمين ليكشف هول القضيـة والتى تهدد بانهيار المجتمع المصرى .

ثم انطلق الكاتب إلى العرض بالتحليل وبيان الجرم الذى يرتكب فـى حق المجتمع فالشباب المتعلم المصرى :-

= **ينتهكون حرمات الأعراض .**
= **يعبثون بالشـــرف .**
= **يغرون الطالبات الصغيـرات .**
= **ينصبون صنوف الحبائـل .**

ويتنفس الكاتب الصعداء :-

ليشير إلى أهمية العلم فى ترقية النفس والسلوك بإسلوب عتابى هامس باكى والمتلقى يجد أن الكاتب تناول الأفكار المتصلة بالمقدمة ثم ركز علـــى العلم ووصفه بأنه أشرف الصفات فلا يجوز استخدامه فيما يشـــينه فمعرفـــة الكتابة والقراءة تدفع إلى الرقى لا إلى استخدام القلم وسيلة للعبث القلم الـــذى خلقه الحق وذكره فى القرآن الكريم تشريفا لقيمته لابد أن يكون وسيلة لغايـــة نبيلـــة لا لهدم الأخلاقيات وإفسادهـــا .

ويلاحظ القارئ انه ربط بين العلم والقلم وجعل كل فكرة مدعاه لمـــا بعدهـــا .

وبدأ عن طريق الاستفهام الإنكارى ذكر الســـلوكيات المشـــينة التـــى يرتكبها الشباب المتعلم المصرى .

واعتمد على تكرار (أصحيح) كأنها صيحة رفض مدوية فى ســـماء الدعوة للخلق والفضيلة .

ويستمر التحليل المثير فيشير المنفلوطى إلى أن فتاة اليوم هى زوجـــة الغد وكأنه بهذا يشعل الغيرة فى نفوس الشبان ويحرك رجولتـــهم وشـــهامتهم لإدراكه طبيعة الرجل المصرى ويتصاعد التحليل فيصف للرجال ضـــرورة الحفاظ على عرض الفتاة التى هى زوجة المستقبل فيستخدم **الألفاظ** :-
طاهرة - شريفة - صالحات - طاهرات - شريفات - ففى تكرار هذه الألفـــاظ دلالة على تصاعد الانفعال النفسى الذى أراد نشر شعاعة فى نفوس القراء .

- وقد نبه الشباب الى أن (الفتاة التى لا تعبث معها يعبث معها غـــيرك) وبهذا تصبح جميع الفتيات أمام الرجال غير جديرات بالزواج فكيـــف يكـــون حال المجتمع المصرى ؟ .

ويتسلسل الكاتب فى تطور العرض المقـــالى فينفـــى قـــدرة القـــانون والحكومة والدين وأولياء الأمور على الشباب فكل هذه السلطات ضعيفـــة فى نفوسهم وأعلن أن صوت الضمير هو الرادع لسلوكهم الفاسد ثم ركز الضـــوء على استقرار الأسرة مشيرا إلى أن التزام الخلق هو أصـــل صـــلاح الحيـــاة الاجتماعية للأسرة المصرية .

الخاتمـــة وتبرز من (الشرف الشرف فربما جاء يوم ندير فيه أعيننا من حولنا فلا نجد مما تملك أيدينا شيئا سواه) .

وفى هذه الكلمات يبدأ الاشتعال العاطفى فى الهدوء الذى تجلـــى فـــى النصيحة بالتمسك بشرف السلوك وشرف الخلق والخاتمة ارتبطت بالمقدمـــة وأصبح العرض بينهما . كالبحر ... بين الشاطئين تمـــوج أمواجـــه وترتـــطم بالصخور ثم تذوب .. وتتلاشى فى الخاتمـــه .

وهكذا يجب ان يصور المقال بصدق أفكاره فـــى عـــرض متسلســـل منسجم مترابط يهدى بعضه إلى بعض مثل المقال السابق (الأداب العامـــة) التى كان خاتمته النهائية (شيئا سواه).فارتفعت الصيحـــة كأنـــها صرخـــة المربى الفاضل ليحدث بعدها السكون الذى تتهد فيه الكاتب (ســـواه) تلـــك اللفظة التى دلت بصوتها الخافت على انتهاء المقال .

أنواع المقال

المقال رغبة حية للكاتب ورؤية صادقة لفكره ومشاعره حيث يسجل فيه أحاسيسة الدفينة وملاحظاته الموضوعية باسلوب معنوى تتناسق فيه المعارف والمعلومات من خلال الأفكار الواضحة والعرض السريع الموجز المنطقى النثرى فالمقال دنياه الأفكار والأراء وعالمه الانطباع الشعورى والعواطف الإنسانية وهو بذلك يثمر الثمار التى تعبر عن الذات وبعكس التجارب الإنسانية لما فيها من عادات وتقاليد وعقائد وأحداث تاريخية ونظرات فلسفيه وتأملات وانطباعات ورسم لمظاهر الحياة الطبيعية من خلال وصف تصويرى لسمات الكون وما فيه من جمال ساكن وسحر متحرك ومن منطلق الرؤية السابقة لأنواع المقال .

نبدأ الحديث - بأذن الله - عن المقال الذاتى

المقال الذاتى :-

هو حديث النفس وهمسات الوجدان ونشوة الفؤاد وأنينه وهو رضا الإحساس وجروحه .

ومن الجدير بالذكر أن المقال الذاتى بدورة يحمل لمحات اجتماعية فالنشوة والألم لهما بصمات فيه باعتبارهما من عناصر التكوين الاجتماعى الإنسانى وعلى سبيل المثال (الأيام) للدكتور طه حسين [1].

---

[1] طه حسين بن على بن سلامة الدكتور فى الأدب من كبار المحاضرين جدد مناهج ، وأحداث ضجة فى عالم الأدب بدأ حياته فى الازهر ثم عين محاضرا فى كلية الأداب بجامعة القاهرة من كتبه فى الادب الجاهلى ، على هامش السيرة ، الايام حديث الأربعاء ، .

الاعلام - دار العلم للملايين بيروت جـ ٣ ص ٢٣١ .

(ولكن الشهر مضى ، ورجع الازهرى إلى القاهرة ، وظل صاحبنا حيث هو كما هو ، لم يسافر إلى الأزهر ، ولم يتخذ العمة ، ولم يدخل فى جبة أو قفطان .

كان لا يزال صغيرا ، ولم يكن من اليسير إرساله إلى القاهرة ، ولم يكن أخوه يحب أن يحتمله ، فأشار بأن يبقى حيث هو سنة أخرى ، فبقى ولم يحفل أحد برضاه أو غضبه .

على أن حياته تغيرت بعض الشئ ، فقد أشار أخوه الأزهرى بأن يقضى هذه السنة فى الاستعداد للأزهر ، ودفع إليه كتابين يحفظ أحدهما جملة ، ويستظهر من الأخر صحفا مختلفة .

فأما الكتاب الذى لم يكن بد من حفظه كله فالفية ابن مالك وأما الكتاب الأخر فمجموع المتون ، وأوصى الأزهرى قبل سفره بأن يبدأ بحفظ الألفية ، حتى إذا فرغ منها وأتقنها اتقانا ، حفظ من الكتاب الأخر أشياء غريبة ، بعضها يسمى الجوهرة ، وبعضها يسمى الخريدة ، وبعضها يسمى السراجية ، وبعضها يسمى الرحبية ، وبعضها يسمى لامية الأفعال . وكانت هذه الأسماء تقع من نفس الصبى مواقع تيه وإعجاب ، لانه لا يفهم لها معنى ، ولانه يقدر أنها تدل على العلم ، ولانه يعلم أن أخاه الأزهرى قد حفظها وفهمها فأصبح عالما وظفر بهذه المكانة الممتازة فى نفس أبوية وإخوته وأهل القرية جميعاً . ألم يكونوا جميعا يتحدثون بعودته قبل أن يعود بشهر ، حتى إذا جاء أقبلوا إليه فرحين مبتهجين متلطفين ؟ ألم يكن الشيخ يشرب كلامه شربا ، وبعيده على الناس فى إعجاب وفخار ؟ ألم يكن أهل القرية يتوسلون إليه أن يقرأ لهم درسا فى التوحيد أو الفقه ؟ وماذا عسى أن يكون التوحيد ؟ وماذا عسى أن يكون الفقه ؟ ثم ألم يكن الشيخ يتوسل إليه،

ملحا مستعطفا مسرفا فى الوعد ، باذلا ما استطاع وما لم يستطع من الأمانى ، ليلقى على الناس خطبة الجمعة ؟ ثم هذا اليوم المشهود يوم مولد النبى . ماذا لقى الأزهرى من إكرام وحفاوة ، ومن تجلة وإكبار ؟ كانوا قد اشتروا له قفطانا جديدا ، وجبة جديدة وطربوشا جديدا ، و"مركوبا" جديدا . وكانوا يتحدثون بهذا اليوم وما سيكون منه قبل أن يظلهم بأيام . حتى إذا أقبل هذا اليوم وانتصف ، أسرعت الأسرة إلى طعامها فلم تصب منه إلا قليلا ، ولبس الفتى الأزهرى ثيابه الجديدة ، واتخذ فى هذا اليوم عمامة خضراء ، وألقى على كتفيه شالا من الكشمير ، وأمه تدعو وتتلو التعاويذ ، وأبوه يخرج ويدخل جذلان مضطربا . حتى إذا تم للفتى من زيه وهيئته ما كان يريد ، خرج فإذا فرس ينتظره بالباب ، وإذا رجال يحملونه فيضعونه على السراج ، واذا قوم يكتنفونه من يمين ومن الشمال واخرون يسعون بين يديه ، وأخوون يمشون من خلفه ، وإذا البنادق تطلق فى الفضاء ، واذا النساء يزغردون من كل ناحية ، واذا الجو يتأرج بعرف البخور ، وإذا الأصوات ترتفع متغنية بمدح النبى ، وإذا هذا الحفل كله يتحرك فى بطء وكأنما تتحرك معه الأرض وما عليها من دور . كل ذلك لان هذا الفتى الأزهرى قد اتخذ فى هذا اليوم خليفة ، فهو يطاف به فى المدينة وما حولها من القرى فى هذا المهرجان الباهر ، وما باله اتخذ خليفة دون غيره من الشبان ؟ لأنه أزهرى قد قرأ العلم وحفظ الألفية والجوهرة والخريدة !!.

فلم لا يبتهج الصبى حين يرى أن سيقرأ من العلم ما قرأ أخوه ، وأن سيمتاز من رفاقه وأترابه بحفظ الألفية والجوهرة والخريدة ؟

وكم كان فرحا مختالا حين غدا إلى الكتاب يوم السبت ، وفـــي يـــده نسخه من " **الألفية** " لقد رفعته هذه النسخه درجات ، وإن كانت هذه النســـخة ضئيلة قذرة سيئة الجلد ، ولكنها على ضألتها وقذارتها ، كانت تعـــدل عنـــده خمسين مصحفا من هذه المصاحف التى كان يحملها أترابـــه .

المصحف ! لقد حفظ ما فيه فما أفاد من حفظه شيئا . وكثيـــــر مـــن الشبان يحفظونه فلا يحفل بهم أحد ، ولا ينتخبون خلفاء يوم المولد النبوى .

ولكن **الألفيـــة** ... وما أدراك ما الألفيـــة ؟ وحسبنا أن سيدنا لا يحفـظ منها حرفا . وحسبك أن العريف لا يحسن أن يقرأ الأبيات الأولـــــى منـــها . والألفية شعر ، وليس فى المصحف شعر .

الحق أنه ابتهج بهذا البيت :–

قال محمد هو ابن مالك أحمد ربى الله خير مالك [1].

ابتهاجا لم يشعر بشئ مثله أمام أى سورة من سور القـــــرآن .

فالصفحات السابقة من الأيام كانت فى الأصل مقالات نشرت فى مجلة الهلال ١٩٢٦م تحدث فيها طه حسين عن حياتـــه وعـــن بعـــض العـــادات المصرية منذ طفولته وقد طبع مركز الأهرام للترجمة والنشر هذه المقـــالات فى مجلد واحد الطبعة الأولى ١٩٩٢م تحت اشراف محمد حسن الزيات.

---

(٢)الايام – طه حسين – الاهـــرام للترجمـــة . والنشـــر ص . ٦ : ٦٣ .

والأيام مقالات ذاتية تحمل السمة الاجتماعية والطابع القصصى ومــن يطلع على كلمـــة المؤلف يستنبط خصائصها حيث قال : (ولست أدرى لماذا رجعت ذات يوم إلى ذكريات الصبا ، أتحدث بها إلى نفســـى لآنســـى بـــهذا الحديث أثقال الشباب ثم لم اكتف بالتحدث إلى نفسي بينـــى وبينـــها ، وإنمـــا تحدثت إليها حديثا مسموعا فأمليت هذا الكلام على صاحبى فى رحلـــة مـن رحلات الصيـــف ثم القيته جانبا ونسيته أو كدت أنساه ثم طلبت إلـــى مجلـــة الهلال فى عهدها الماضى طائفـــة من الأحاديث وألحت فى الطلب حتى لـــم أجد بدا إلى أجابتها ولم أكن أملك الوقت الذى يتيح لى أن أكتب إليها الأحاديث التى أرادتنى عليها فعرضت هذا الكلام على بعض الصديق ليقرأه ويشير على فيه أيصلح للنشر أم لا يصلح فقرأه الصديق وأشار على بالا ألقى إليه بـــالا ، فاعتذرت إلى (الهلال) ولكنها أبت إلا الإلحاح فدفعت إليها هذا الكلام علـــى كره مني وقد نشـــرته فرضـــى عنـــه بعـــض النـــاس ثـــم جمعـــه بعـــض الأصدقاء فى سفر واحد .... وليس أحب إلى نفسي ولأحسن موقعا فى قلبى ، من أن يقدم هذا الكتاب إلى زملائى وأصدقائى فى هذه المحنـــــــة ، ولا أرى فيها قسوة أو شيئا يشبه القسوة ، وإنما هى أفة من الآفات الكثيرة التى تعرض لبعض الناس فى حياتهم فتؤثـــر فيها تأثيرا قويا أو ضعيفا والذين يقرأون هذا الحديث من المكفوفين سيرون فى حياة صديق لهم فى أيام الصبا تأثر بمحنتهم هذه قليـــلا قليلا حين عرفها ، وهو لم يعرفها إلا شيئا فشيئا حين لاحظ مـــا بينه وبين أخوته من فرق فى تصور الأشياء وممارستها وقد تأثر بهذه المحنة تأثـــر عميقا قاسيا ، لا لشئ ، إلا لأنـــه أحس من أهله رحمة لـــه وإشـــفاقا عليـــه ولو قد كان الناس من رقى الحضارة وفهم الأشياء على حقائقها بحيث لا يسخرون من الذين تعتريهم بعض الأفات ، لا يرثون لهم ولا يظهرون لهم

معاملة خاصة يتكلفونها تكلفا ، لو قد كان من هذا كله ، لعرف ذلك الصبي وأمثاله محنتهم فى رفق ولاستقامت حياتهم بريئة من التعقيد ، كما تستقيم لكثير غير من الناس) [١] ؟

والقارئ لمقدمة المقالات يجد فيها تصريحا بالذاتية في عبارات (اتحدث بها إلى نفسى لأنسى) ، (ثم لم اكتف بالتحدث إلى نفسي فيما بيني وبينها) ، (وقد تأثرت بهذه المحنة) ، (ولقد قد كان الناس من رقي الحضارة) . والعبارة الأخيرة تحمل الدلالة الاجتماعية حيث كشفت عن الأسلوب الحضارى الإنسانى فى معاملة الحالات المماثلة لحالة الكاتب .

كما أن العبارة تدل على ملاحظات واقعية لعادات وتقاليد بيئته الخاصة.

أما بالنسبة لفقرات الأيام والتى تحكى قصة الأديب منذ طفولته فقد تجلت فيها الذاتية الاجتماعية القصصة حيث فاضت بمشاعر وأحاسيس ومشكلات وملاحظات اجتماعية من خلال العرض القصصى المثير وقد تمتع العرض بمقدمة جذابة وعرض متسلسل وخاتمة تبث فى القارئ لهفة الانتظار لما سيحدث فى المقالة التالية .

المقال الاجتماعى :-

يتناول هذا النوع عرض تشريحى لفكرة اجتماعية تمس العادات والتقاليد بما فى ذلك :-

---

[١] مقدمة الأيام – ص ٧ : ٩ .

من ملاحظات الكاتب ورؤيته تجاه المواقف والأحداث مع محاولاته الإيجابية لغرس قيم فاضلة أو تجنب سلبيات تفتت في عضد المجتمع وتثير فيه الروح الإنهزامية ويقضى على كيانه فيتناول الكاتب فكرته التى حركت غيرته الاجتماعية أو قبوله ليصور أبعادها بفكر يقظ وقلم صادق ومن هذا النوع مقال (احترام المرآه)[1] لمصطفى لطفى المنفولطى (نهضة المرأة المصرية) ٤ .

ومن مقال (احترام المرأة) :-

(نعم إن الرجال قوامون على النساء كما يقول الله تعالى فى كتابه العزيز ولكن المرأة عماد الرجل ، وملاك أمره ، وسر حياته ، من صرخة الوضع ، إلى أنه النزع .

لا يستطيع الأدب ان يحمل جانحتيه لطفله عواطف الأم ، فهى التى تحوطه بعنايتها ورعايتها ، وتبسط عليه جناح رحمتها ورأفتها ، وتسكب قلبها فى قلبه حتى يستحيلا إلى قلب واحد ، يخفق خفوقا واحدا ، ويشعر بشعور واحد ، وهى التى تسهر عليه ليلها ، وتكلؤه نهارها ، وتحتمل جميع الآم الحياة وأرزائها فى سبيله ، غير شاكية ولا متبرمة بل تزداد شغفا به ، وإيثارا له ، وضنا بحياته ، بمقدار ما تبذل من الجهود فى سبيل تربيته ، ولو شئت

---

(١)المختار من نثر المنفلوطى – محمد زكى الدين-المكتبة التجارية بمصرص١٢١– ١٢٦ .

(٢)عباس محمود العقاد إمام فى الأدب مصرى من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الإبداع أصله من دمياط ومن كتبه ، العبقريات ، الفصول ، مراجعات ، ساعات بين الكتب ، سارة ، المرأة والقرآن ، هنلر كان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة (دمشق ، والقاهرة ، وبغداد) الاعلام – دار العلم بيروت – جـ٣ ص ٢٦٦ .

(٣)الفصول – عباس العقاد – دار المعارف ص ١٢٩ : ١٣٤ .

أن أقول لقلت إن سر الحياة الإنسانية وينبوع وجودها ، وكوكبها الأعلى الذى تنبعث منه جميع أشعتها ، ينحصر فى كلمة واحدة (قلب الأم) .

لا يستطيع الرجل أن يكون رجلا حتى يجد إلى جانبه زوجة تبعث فى نفسه روح الشجاعة والهمة ، وتغرس فى قلبه كبرياء التبعة وعظمتها ، وحسب المرء أن يعلم أنه سيد وأن له رعية كبيرة أو صغيرة تضع ثقتها فيه ، وتستظل بظل حمايته ورعايته ، وتعتمد فى شئون حياتها عليه ، حتى يشعر بحاجته إلى استكمال جميع صفات السيد ومزاياه فى نفسه فلا يزال يعالج ذلك من نفسه ويأخذها به أخذا حتى يتم له ما يريد ، وما نصح الرجل بالجد فى عمله ، والاستقامة فى شئون حياته ، وسلوك الجادة فى سيره ، ولاهداه إلى التدبير ومزاياه ، والاقتصاد وفوائده ، والسعى وثمراته ولا دفع به فى طريق المغامرة والمخاطرة ، والدأب والمثابرة ، مثل دموع الزوجة المنهلة ، ويدها الضارعة المبسوطة .

ولا يستطيع الشيخ الفانى أن يجد فى أخريات أيامه فى قلب ولده الفتى من الحنان والعطف ، والحب والإيثار ، ما يجد فى قلب ابنته الفتاة ، فهى التى تمنحه يدها عكازا لشيخوخته ، وقلبها مستودعا لأسراره ، وهواجس نفسه ، وهى التى تسهر بجانب سرير مرضه ليلها كله تتسمع أنفاسه ، وتصغى إلى أناته ، وتحرص الحرص كله على أن تفهم من حركات يديه ونظرات عينيه ، حاجاته وأغراضه ، فإذا نزل به قضاء الله كانت هى من دون ورثته جميعا الوارثة الوحيدة التى تعد موته نكبة عظمى لا يهونها عليها ، ولا يخفف من لوعتها فى نفسها ، أنه قد ترك من بعده ميراثا عظيما ، وكثيرا ما سمع السامعون فى بيت الميت قبل ان يجف تراب قبره أصوات

ولاده يتجادلون ويشتجرون فى الساعة التى يجتمع فيها بناته ونساؤه فى حجراتهن فائحات باكيات .

وجملة القول أن الحياة مسرات وأحزان ، أما مسراتها فنحن مدينون بها للمرأة ، لأنها مصدرها وينبوعها الذى تتدفق منه ، وأما أحزانها فالمرأة هى التى تتولى تحويلها إلى مسرات ، أو ترويحها عن نفوس أصحابها على الأقل ، فكأننا مدينون للمرأة بحياتنا كلها .

واستطيع أن أقول وأنا على ثقة مما أقول إن الأطفال الذين استطاعوا فى هذا العالم أن يعيشوا سعداء معنيا بهم وبتربيتهم وتخريجهم على أيدى أمهاتهم بعد موت آبائهم أضعاف الذين نالوا هذا الحظ على أيدى أبائهم بعد فقد أمهاتهم ، وللرحمة الأموية الفضل العظيم فى ذلك .

فليت شعرى هل شكرنا للمرأة تلك النعمة التى أسدتها إلينا وجازيناها بها خيرا ؟ .

لالا ، لأننا إن منحناها شيئا من عواطف قلوبنا ، وخوالج نفوسنا ، فاننا لا نمنحها أكثر من عواطف الحب والود ونضن عليها كل الضن بعاطفة الاحترام والإجلال وهى إلى نهلة واحدة من نهلات الإجلال والإعظام أحوج منها إلى شؤبوب متدفق من الحب والغرام .

قد تحنو عليها وترحمها ولكنها رحمة السيد بالعبد ، لا رحمة الصديق بالصديق ، وقد نصفها بالعفة والطهارة ، ومعنى ذلك عندنا أنها عفة الخدر والحياء ، لا عفة النفس والضمير وقد نهتم بتعليمها ، وتخرجيها ولكن

لا باعتبارها أنها إنسان كامل لها الحق فى الوصول إلى ذروة الإنسانية التـــى تريدها والتمتع بجميع صفاتها وخصائصها ، بل لنعهد إليها بوظيفة المربية أو الخادم أو الممرضة ، أو لنتخذ منها ملهاة لأنفسنا ونديمـــا لسـمرنا ، ومؤنـــا لوحشتنا ، أى إننا ننظر إليها بالعين التى ننظر بها إلى حيواناتنـــا المنزليـــة المستأنسة ، لا نسدى إليها من النعم ، ولا نخلع عليها ومن الحلل ، إلا مــــا ينعكس منظره على مرآة نفوسنا فيملؤهـــا غبطـــة وسروراً إنها لا تزيـد ، من ذلك ، إنها لا تريد ان تكون سرية الرجل ولا حظيته ، ولا أداة لهوة ولعبة ، بل صديقته وشريكة حياتــه .

أنها تفهم معنى الحياة كما يفهمها الرجل ، فيجب أن يكــون حظهــــا منها مثل حظه .

إنها لم تخلق من أجل الرجل ، بل من أجل نفسها ، فيجب أن يحترمها الرجل لذاتها لا لنفســــه .

يجب أن ينفس عنها قليلا من ضائقة سجنها لتفهم أن لها كيانا مستقلا ، وحياة ذاتية ، وإنها مسئولة عن ذنوبها وآثامهـــا أمام نفسها وضميرهــــا ، لا أمام الرجل .

يجب أن تعيش فى جو الحريـــة الفسيح ، وتستروح رائحتـــه الأريجة ، ليستيقظ ضميرها الذى أخمده السجن والاعتقال من رقدته ، ويتولى بنفســـه محاسبتها على جميع أعمالهـــا ومراقبة حركاتهـــا وسكناتها ، فــــهو أعظـــم سلطانا ، وأقوى يدا من جميع الوازعيـــن والمسيطريـــن .

يجب أن نحترمها لتتعود احترام نفسها ومن احترم نفسه كـــان أبعـد الناس عن الزلات والسقطات لا يمكن أن تكون العبودية مصدراً للفضيلـــة ، ولا مدرسة لتربية النفوس على الأخلاق الفاضلــة والصفــات الكريمة إلا إذا صح أن يكون الظلام مصدرا للنور .

والموت علة الحياة ، والعدم سلما إلى الوجود .

كما لا أريد أن تتخلع المرأة وتستهتر ، وتـــهيم علـــى وجهـــها فـــى مجتمعات الرجال وأنديتهم ، وتمزق حجاب الصيانة والعفــة المسبل عليــها ، كذلك لا أحب أن تكون جارية مستعبدة للرجل ، يملك عليها كل مادة من مواد حياتها ، ويأخذ عليها كل طريق حتى طريق النظر والتفكيــر .

وبعد فاما أن تكون المرأة مساوية للرجل فى عقله وإدراكـــه أو اقـــل منه فإن كانت الأولى فيلعاشرها معاشـــرة الصديق ، للصديق والنظير للنظير ، وان كانت الأخرى فليكن شأنه معها شأن المعلم مع تلميذه والوالد مع والـــده أى إنه يعلمها ويدربها ، ويأخذ بيدها حتى يرفعها إلى مستواه الذى هو فيـــه ، ليستطيع أن يجد منها الصديق الوفى والعشير الكريم ، والمعلـــم لا يســـتعبد تلميذه ولا يستذله، والأب لا يحتقر ابنه ولا يزدريه (١)

ومقال احترام المرأة يتناول قضية اجتماعية حية صورها الكاتب مـــن منظور اجتماعى إنسانى نفســـى بين فيه منزلة المرأة من الزوايا الآتيـــــة:-

* الأم .

---

(١)المختار من نثر المنفلوطى - محمد زكى الدين - المكتبـــة التجارية بمصر - ص ١٢١ -١٢٦ .

- الأبنـــة
- الزوجـــة

وقد صور هذا المقال الاجتماعى العلاقات التى تجمـــع بيـــن الرجـــل والمرأة من المنطلق العاطفى ذاكر العطاء الذى تقدمه لزوجـــها وأولادهـــــا بحب ورضا كما بين ما تتمتع به من ايثار نبيل يجعلها مثلا أعلـــى للرجـــال ولهذا كله حث على تقديرها واحترامها ومنحها الحرية التى تحيى فيها الإرادة وتغرس الوعى الحضارى القائم على القيم وبهذا يدرك القـــارئ أن المقـــال الإجتماعى يعالج قضية من قضايا المجتمع ويناقشها من خلال العرض مناقشة ايجابية نابعة من حياة المجتمع ونظرته ومن الجديد بالذكر ان هذا النوع مـــن المقالات تتجلى فيه رؤية الكاتب الخاصة وطبيعـــة فكره ودرجة تجاوبة مـــع مجتمعـــــه .

ومن المقالات الاجتماعية الحية مقال نهضـــة المرأة المصرية للعقاد:-

(قبل عامين أو نحو ذلك ، كنا نعمل فى مكتبنا الصحفى كالعـــــادة إذ طرق مسامعنا من وراء زجاج النافذة هتاف رخيم ولكنه عال ، ضعيف ولكنه صريع متدراك لا ينى ولا يهدأ . فعرفت أنه هتاف الأوانـــس الصغـــيرات . لأننى عهدتهن فى مواكبهن من قبل لا يتمـــهلن فـــى دعائـــهن ولا يحرمـــن حناجرهن وأصواتهن - يردن أن يحيا الوطن ، ويحيا الوطن ، ويحيا مـــوات الدنيا قاطبة - فى نفس واحد وفى لمحة واحدة .. ولا أظلم الجنس اللطيف اذا قلت أنه اذا طلب لم يصبر على التريث فى الإجابـــة ، حتى فى الطلب مـــن الأقدار !!

إلقينا الأقلام وأطللنا ننظر هذا الموكب الجميل ،.وما هو بالموكب الذى تمر به لحظة وتطوى هتافه نسمة هواء ، ولا هو بالموكب الذى يعصى عليه سمع الدهر فما ظنك بسمع الإنسان ، ولا هو بالموكب الذى تمهده ساعة وتطمس آثاره ساعة . إنه موكب أنصتت مصر مئات السنين لتسمع أولى بشائره فلما سمعتها سمعتها الدنيا كلها معها وتلفت الزمن ونودى فى عالم التاريخ بميلاد عصر جديد . إنه موكب لا يعلم إلا الله كم جيل دأب على تنظيمه فى ظلام الماضى ، ولا يعلم إلا الله كم جيل سوف يثب وثبة النصر والسعادة على توقيع هتافه فى أضواء المستقبل ، وإن الذين سيمرحون فى سعادة مصر بعد عشرات الأعوام ومئاتها قلما يعلمون أننا رمقنا مجدهم كله يتتابع أمامنا فوجا بعد فوج فى هذه الطليعة .

أطللنا فرأينا ما ينقله إلى السمع ذلك اللجاج المحبوب وتلك اللهفة الطاهرة ، رأينا وجوهاً تشرق من الحماسة بما لا يقوى على نقله النداء والدعاء ، رأينا مركبة الأوانس الغاضبات تتقاطر منها الدعوات لمصر كلما يتقاطر التغريد من الدرجة الباسقة فى نور الصباح الباكر ، وإن الشبه لقريب ، فما كنا نرى إذ رأينا إلا عصافير الحرية قد انتبهت تحيى فجر مستقبل موموق .

قال أديب كان معنا : لن تضام أمة هؤلاء بناتها ، والحق أقول أننى أردت أن نتعجل الفوز فنفقده . فقلت لصاحبى : أو ليس الأولى أن يقال "هؤلاء أمهاتها " ؟؟ .

وأتت بعد ذلك أيام مفعمة بالحوادث المنسيات ، والخطوب المذهلات فنسيت كثيراً وذهلت عن كثير.ولكنى لم أنس تلك اللحظة ولم أر من شبيهاتها

الا ما يذكرنى بها ، ففى هاتين السنتين توالت دلائل نهضة المرأة المصريــــة وشجعت بوادرها أشد الناس حذرا من تصديق الأمل وأكثرهم توجســـاً مـــن ظواهر الأمور ، وأصبحت أجد من نفسى طرباً صادقاً لأعلى تهليلات الرجاء بعد أن كنت أتردد فى الإصغاء إلى أضعف همساته ، ولم أر داعيا لانتظـــار اليوم الذى يكون فيه أوانسنا الصغار أمهات لجيل جديد فإنهم منذ اليوم خليقات أن يؤتمن على مجد مصر ، وأنهن منذ اليوم ينشئن لمصر مستقبلها العظيـم ، ولا ريب أن من أبصر الغاية فقد أخذ فى إدراكها ، ومن عرف الصعوبة فقد شرع فى تذليلها .

أين هو الرجل الذى يفهم الحرية وهو يسكن إلى شريكة فـــى الحيـــاة مستعبدة ؟ وأين هو الرجل الذى ينعم بثمرة الحرية وهو وليد أم مقيدة ؟ وأيـن هو الرجل الذى تحيا نفسه وقد مات فيها الجانب الذى خلقت المرأة لتحييـــه ؟ إنه العنقاء التى يتحدثون عنها فى أساطير الأولين .

ولم يودع الله فى نفس الإنسان بعد حب ذاته غريزة هى أقـــوى مـــن الحب ولا أشد منها تغلغلا فى أطواء نفسه وابتغائا لكوامن استعداده وخفايــــا مواهبة ولا أغلب منها سلطانا على مجامع هواه وبواطن خوالجـــه وقـــواه . فالرجل الذى تستولى على قلبه هذه الغريزة النبيلة يريك من العجـــائب مــالا تراه من غير أولئك الجابرة الذين تستولى عليهم الآلهة ، أو المسحورين الذين يستخرج منهم الاستهواء [1] قوى لاعلم لهم ولا للناس بها ، وهل الحـــب إلا ضرب من التنويم المغناطيسى ؟؟ هل هو إلا تنويم تتغلب به إرادة نوع مـــن إرادة فرد ؟ فبهذا التنويم العجيب ينقل النوع إلى الفرد إرادته وزكانته وجملـة

(١)التنويم المغناطيســى

إحساسه ، وبهذا التنويم يتسلط الأحياء على المادة الصماء ، فترى العاشق فى قبضته أكبر من فرد بشجاعته وأصراره وشفوف نفسه وتوقد جنانه ، وأقل من حجر بطاعته وانقيادة لما يراد به وعماه على أوضح الشبه وأظهر الظنون - يمده النوع بوحيه فيحس من القوة والجمال فى نفسه مالا يكون لفرد أن يحسه ، ويجعله فى تقيظ الحس كالنائم المستهوى الذى يبصر بأعصاب بشرته مالا يبصره المفيقون إلا بالعيون . ثم هو يدفع الى بغيته كما يدفع النائم المستسلم . يأمره فيطيع ويزين له المحال فيصدقه ويريه الحلو مرا والمر حلوا فلا يشك فيما يخيله إليه ، بل يقول له ألق نفسك فى الهلاك فيلقى بها لا محجما ولا وجلاً ، وعنده أنه يعمل على لذة قلبه وراحة خاطره .

كذلك خلقت غريزة الحب النوعى . فهى تستحث فى نفس أسيرها كل ما فيها من استعداد وكل ما تتسع له من شعور ، بحيث لا يخطئ من يقول إن العاشق يولد مرة أخرى وإن من لم يعشق فقد حرم هذا الميلاد ومات بعض الموت وهو فى قيد الحياة .

هذه هى القوة الغلابة التى يلغيها من ميدان العمل جهل المرأة ، وهذا هو الينبوع الزاخر الذى خلقت المرأة لتفجره فى قلب الرجل ، والذى يجففه فى قلبه حرمانه من شريكة مهذبة عارفة بكرامتها وكرامته تبادله العطف وتشاطره الحب وتعطيه مثل الذى تأخذ منه من إحساس وشغف ونورانية ، فإذا أنكرت على المجتمع ضلالاً فى الأذواق وفتورا فى العزائم ونكوصاً على التسابق إلى الأمثلة العليا والمراتب الفاضلة وكساداً فى العقول وجموداً فى العشور وصبراً على الهوان وخللاً فى العرف والاداب ، فلا تعجب ولا تذهب بعيداً فى البحث عن السبب ، إذ أى نقص لا يحدثه فى الأمة خلوها من تلك

العوامل البعيده الغور وأى قحط لا يسلطه على النفس فراغـــها مـــن نتـــائج الغريزة المخصبة ؟؟ .

لم تضام أمة عرف نساؤها الحرية . أجل فهذه قولة حق لا شك فيها ، ولكن كم من الشك فى قوله من يزعم أن عرفان الرجال بالحرية هو حســـب الأمة ضمانا لها من الضيم ؟؟ فإن حرية لا يعرفها غير الرجـــال أحـــرى أن تكون حرية شوهاء ، لأنها كالتربة الشحيحة التى يسرى غذاؤها الى كل فـروع من فروع أشجارها . فلا نباتها كله بمزوى ولا المروى منه بسابغ فيه الرواء على جميع أجزائه . والمرأة فى أمثال هذه الأمم فرع يلبس لا خير فيه . وقد يكون الرجل أندى منها حالاً ، ولكنها حال لا تنفعه إلا كما ينتفع بالفرع تمشى فيه الخضرة واليبوسة فلا هو للإثمار ولا هو للوقود ، وليس هذا شأن الأمـــم التى يظفر نساؤهـــا بقسطهن من الحرية فإنها أمم تستقى الحيـــاة مـــن أبعـــد أطرافها وترسلها إلى أبعد أطرافها . فهى شجرة يانعـــة لاحطبة لينة .

وعلى أننا كثيرا ما عرفنا رجالاً خطبوا الحرية ثم خانوها ونذروا لـــها أعمالهم ثم كفروا بها ولم يؤدوا حقوقها . وربما استحبوا النفاق لضما ئرهم أو اضطروا إليه اضطرارا يخجلون منه ويلتمسون له المعـــاذير مـــن مضـــائق العيش وتناقضات الأيام . أما المرأة فما الذى يمنعها أن تؤدى ما عليها للحرية من حقوق ؟؟ لا يمنعها عنها إلا من يمنع اللبن أن يسيل من ثديها سائغا إلـــى ثغر رضيعها ، وإلا من يمنع المعهد أن يهتز على أشجى ترانيـــم الوطنيـــة والفضيلة ، وإلا من يمنعها فى كسر بيتها أن تربى صغارها التربيـــة التـــى تختارهـــا وأن تناغيهم باللغة التى تحبها . وليس على الأرض قوة تمنعها من شئ من هذا إذا أرادته . وان أمرأة تريد هذا ولا يمنعها مانع منه لهى معقـــل

للحرية لا تزعزعه الطوارئ ولا يخشى عليه من " مضائق العيش ومتناقضات الأيام " .

من البديهى أن للمرأة خصائص لا يشاركها فيها الرجال جعلتها أصلح منه لأداء كثير من الواجبات المدنية فضلاً عن واجباتها الطبيعية : فهى على الجملة ألطف منه شعوراً وأدق حسا وأصدق زكانة فى العلاقات الجنسية وأحرص على تقاليد الدين وأحكام العرف وأشد احتفاظاً بما يصون هناءة البيت ، وغير ذلك من الخصائص التى تنفرد بها أو ترجح على الرجال فيها. وسنرى اليوم الذى تظهر فيه آثار هذه الخصائص البارزة فى المجتمع المصرى ويتبارى فيه كل من الجنسين فى تنويل مصر أنفس ما يملك من مزايا جسمه وعقله وروحه . وهى فى حاجة إلى جهد أصغر صغير من أبنائها وبناتها . وربما سبقتنا بعض الأمم إلى تقسيم الفروض الاجتماعية بين الرجل والمرأة على قدر معلوم وبقانون مرسوم ، وربما سمعنا فى هذا البا ب من الغرائب مالا يخطر الآن على البال . ففى السويد مثلا كاتبة كبيرة تدعى " ألن كى " تقترح أن يفرض التجنيد على الفتيات كما يفرض على الفتيان فتقضى كل فتاة تبلغ الثامنة عشر من عمرها مدة سنتين فى الخدمة العمومية. وفيم تقضى هذه المدة ؟؟ لا فى حمل السلاح طبعاً ولا فى التدريب على إطلاق المدافع وحفر الخنادق ولا فى شن الغارات وتدويخ المستعمرات . وإنما تقضيها فى التدريب على وظائف الأمومة بين مدارس الأطفال وملاجئ المرضى ومستشفيات الولادة ومعاهد الفنون الجميلة وما هو من هذا القبيل...

ولا يبعد أن ينفذ هذا الاقتراح وأغرب منه فى أمم الشمال ولكننا هنا لا ننتظر حتى يعلم نساؤنا واجباتهن من القوانين الموضوعة والأوامر المشروعة ، فإن المرأة المصرية فى وسعها أن تتدرج على أشق أعباء الأمومة وأن تؤدى أشرف الفرائض القومية دون أن تضطر إلى المبيت فى التكنات والارتداء بالكسوة العسكرية ولو فى جيش مسالم !!

وسيغضب علىّ أنصار القديم . لا لأنى قلت شططاً فى ابتهاجى بنهضة المرأة المصرية ، ولكن لأمر صغير بسيط : وهو أننى قرنت بين كلمة الحرية وكلمة المرأة وهم يكرهون جد الكره أن تقترن هاتان الكلمتان فى وقت من الأوقات . لا فى العصر الحاضر ولا فى مستقبل قريب أو بعيد .

ولو سألتهم هل تحبون الحرية لأنفسكم ؟؟ لقالوا نعم نحبها . ولأبنائكم؟؟ نعم ولأبنائنا . ولأمهات أبنائكم ؟؟ هنا يسكتون .

فهم يتمنون لأنفسهم العلم والحرية والجاه والسيادة والحول والطول ولايجودون على نسائهم من هذه الدنيا الفسيحة بغير الحلى والثياب ، وحتى هذه ماكانوا ليجودوا بها عليهن لو لم يكن لهم فيها حظ كبير .

يريدون أن يكونوا ملوكاً مستبدين ولكنهم يأبون لأمهات ولاة عهودهم أن يكن ملكات ، فسبحان الله !! هذا ليس من العدل ، هذا مخالف على الأقل لأحكام القصص المرعية وأصول الخرافات المدونة ، فإننا نعلم أن الملوك فى تلك القصص يهبطون من سماء عليائهم ليحبوا الراعيات الفقيرات ويتزوجوا منهن ، ولكننا نعلم كذلك أن الطقوس المسطورة لاتنتهى هنا . إن الحب الملكى يرفع أولئك الراعيات إلى مرتبة ملكات فيجلسن على العروش ويلبسن

التيجان ويتعلمن الأمر والنهى كما يتعلمن السمع والطاعة وهذه سنة الخرافات وهى عندكم لها المنزلة فوق كل منزلـــة ، فإذا نظرا اليوم راعياتنا بـــالأمس يمددن أيديهن إلى التاج فيلبسنه ويتقدمن إلى العرش فيرتقينه ، فمن مظـــاهر الأبهة إن لم تقل من قواعد الإنصاف أن نحييهن ونصفق لهن ، لئــلا نكــون ملوكا بغير ملكات ، أو لئلا يكن ملكات على رغم أنف الملوك .

ولكن مالنا ولأنصار القديم نسود بهم بياض الصحيفة ، لقــد خرجــت نهضة المرآة المصرية وانتقل لواؤها من صفوفهم ، فليتقدم فى أبدى رافعاتــه ورافعيه على بركة الله إلى قبلته المنشودة . قبلة النجاح والرفعة إن شاء الله).

والقارئ لمقال العقاد يدرك بحسه أنه يدور حول فكرة الصحوة الحيــة لنساء مصر وحماس الكاتب لهذا الوعى الذى تولد استجابة لتطورات العصــو وما به من تيارات ونزعات وخاصة الفكر السائد حول قيمة الحرية وأثرهـــا فى ترقية العلاقات الأسرية ثم أثرها فى بناء الأمـــة .

والمتلقى للمعانى الواردة فى المقال يجد أنه يعالج قضية اجتماعية من الطراز الأول جمعت بين عناصرها محورى الحرية الرجل والمرأة والمفاهيم العامة والعادات السائدة فى المجتمع .

ومن يتصفح الكتب التى سطرت المقالات فى العصر الحديــث يقــف على غزارة الحديث عن المرأة فقد كتب أحمد أميــن [١] فى فيض الخــــاطر مقالا عن رسالة المرأة العربية قال فيه .

---

[١] أحمد أمين (١٨٧٨ – ١٩٥٤م) عالم بالأدب غزير الإطلاع على التاريخ من كبار الكتاب مولده ووفاته بالقاهرة قرأ مدة قصيرة فى الأزهر ومن أعماله إشرافه على لجنة التأليف والترجمة . والنشر وبلغت مقالاته فى المجلات والصحف ولاسيما جملتى الرسالة والثقافه عشرة مجلدات فى كتابة فيض الخاطر وله فجر الإسلام ، وضحى الإسلام ، والنقد الأدبى ... الخ .

لا شك أن رسالة المرأة العربية جليلة الخطر ، فلا تصلح نهضة لأمة مالم تعتمد فى أساسها على المرأة ، لالأنها تكون نصف الأمة فقط ولكن لأنها هى التى تربى الأمة كلها .

وإذا كانت النساء تكثر فى مؤتمراتها ودعواتها مـــن ذكـــر حقوقـــها والمطالبة بها فليسمحن لنا أن نكثر من ذكر واجباتهن فخير ما يمـــهد لـــهن كسب حقوقهن عنايتهن بأداء واجبهن .

وواجب المرأة العربية ورسالتها أشق وأصعب من واجب مثيلاتها فى المالك الأوروبيـــة المتمدنة ، إذ عدد المتعلمات المثقفات فى بلاد العرب قليل جداً إذا قيس بعددهن عامة ، ولا تنظروا إلى عدد قليل مثقف فـــى المـــدن ، فهؤلاء لا يمثلن المرأة،إنما الذى يمثلها النساء الفلاحات فى القرى والأرياف .

إن المرأة العربية التى تقدمت هى المرأة التى دخلت المدارس وتعلمت تعليما ثانوياً أو عاليا ولكن كم عدد هؤلاء بجانب السواد الأعظم من النســـاء اللآتى لازلن على حالهن منذ القرون الوسطى بل منذ التاريخ القديم .

إن الذى يمثل مصر - مثلا - ليس خريجات الجامعات ولكن نســـاء - دهشور وبوصير ونجع حمادى وشلشمون ، وليس الذى يمثل مصر شـــوارع الأهرام " بفللها " الجميلة ولكن أكواخ الفلاحين بجاموسها وبقرهـــا . والـــذى يمثل المرأة حقاً ليست ملابسها الجملية خارج البيت ومظاهرها الأنيقـــة فـــى المجتمعات ولكن الذى يمثلها حقاً هو معيشتها داخل بيتها .

الأعلام - المجلد الأول - دار العلم للملايين - بيروت - ص ١٠١ .

فعلى هذا الأساس نرى أننا لم نتقدم كثيراً فى رجالنا ولا نسائنا ، فلا تزال الجمهرة من الرجال أميين ، والنساء كثر من ذلك ، ولا يزل نحو هذا العدد لا يجد الماء النظيف الذى يشربه والمسكن النظيف الذى يسكنه والنور الصالح الذى يستنير به - ولقد دخلت فى قرية فى سويسرة بيتاً لبقر فلاح فرأيته على أنعم ما يكون من النظافة مضاء بالكهرباء غطيت أرضه بالخشب لينام عليه البقر وعملت فيه مجار كقنوات يجرى فيها ما يخرج منه ، فقلت متى يكون لفلاحينا وعمالنا وفقرائنا بيوت كبيوت البقر السويسرى ؟

لست يائسا ، فالنهضة الأوروبية ليست إلا بنت ثلاثة قرون ، والنهضة النسائية فى أوروبا ليست إلا وليدة قرن ونصف ، فقد كانت المرأة فى أوروبا تمد سلعة من السلع ، وفى بعض الأماكن كان لزوجها الحق فى بيعها - وكان خير ما ينظر فيه إلى المرأة أن ينظر إليها كما ينظر إلى الطفل يدلل ويضحك منه ولا يعتمد عليه .

وتاريخ المرأة فى العالم يكاد يكون قصة قصيرة واحدة فى الضعف والتحول والارتقاء ، فليست أوروبا عجبا من العجب أو أنها خلقت من طبيعة غير طبيعتنا يستحيل علينا بلوغ شأوها ، فلدينا من الاستعداد الطبيعى والبيئة الطبيعية ووارد الثروة ما يمكننا من أن نبلغ مبلغهم فى رجالنا ونسائنا لو حفزنا الهمة وبذلنا الجهد وضاعفنا السير إلى الأمام فى ثبات وحزم .

مرت الأسرة الأوروبية بالدور الذى مررنا به ، وهو نظام الأسرة الأبوية الاستبدادية التى كان فيها الأب السيد الأعظم الآمر الناهى المتصرف الوحيد فى البيت وشئونه ، والمرأة ليس لها حق بجانب حقوقه ،

بيده المال ، وبيده الإدارة وتخليق المرأة والاطفال بالأخلاق التى يراها ، ثـــم تغيرت الظروف الاجتماعية فتغير مركز المرأة ، ويرجع هذا التغير إلى أمور أهمها التطور الاقتصادى ، فانهدم النظام الإقطـــاعى وتقدمـــت الصناعـــات. للنظام الإقطاعى والمعيشة الزراعيـــة تساعد كثيرا على تثبيت سلطة الأباء ، فلما انهدم النظام الإقطاعى ورقيت الصناعات ضعفت سلطتهم ، ومنها انتشار الثقافـــة بين أفراد الشعوب وخصوصا نوع الثقافة الذى يشعر الإنسان بحقوقه وواجباته . من حقها أن تتعلم ومن حقها أن تكون شريكة الرجل فـــى البيـــت لاخادمـــة . ومن ذلك الحين اتجهت الأسرة إلى طلب المساواة وتحقيقها شـيئا فشيئا حتى كاد أن يطلب الرجل المساواة - وجاءت الحرب الماضية فسـاهمت المرأة الأوربية فى تحمل أعبائها فنالت بعد الحرب كثيرا من مطالبها ومنـــها دخول الجامعات الذى لم يتم فى بعض جامعـــات انجلـترا إلا ســنة ١٩٤٥ وهاهى فى هذه الحرب تقدمت خطوات فى المشاركة فيها فلابـــد أن تتقـدم خطوات بعد الحرب فى الكسب .

هذه هى المرأة الأوربيـــة وهى بعينها قصـــة المرأة العربية وإن كان جزء كبير من التقدم نشأ من العدوى أكثر من نشوئه من التطـــور الطبيعـــى للحياة الاجتماعيـــة العربيـــة .،

ومما لا شك فيه أن تقدم المرأة فى العشرين سنة الأخيرة كان تقدمـــا عظيما ، فأذكر أنه فى سنة ١٩٢٩ حيث عينت مدرسا فى كلية الآداب لـم أر مصرية واحدة تستمع لدرسى إلا بنات المرحوم الدكتور على إبراهيم رامـــز وكانت أمهن المانية فتساءلت هل أعيش حتى أرى مصرية تحضر دروســـى

فى الجامعة ، وكان الأمر أسرع مما كنت أتوقع فالفتيات المصريات يمـــلأن الكليـــات ويسابقن الشبان فى ميدان العلم .

ولكن يؤخذ على حركة التقدم هذه أمران : الأول أنها تكاد تكون حيـلة محصورة فى المدن لم تنتقل إلى المدن الأخرى والأرياف ، ولذلك لا نستطيع أن نقول إن الحركة النسائية شاملة ، بل وجد عندنا طبقتان متميزتـــان جـــداً إحداهما فى السماء والأخرى فى الأرض وليس كذلك الشأن فى الأمم الراقية. فهناك تقارب فى التفاهم بين نساء الشعب ومقدار لابد منه فى الثقافـــه لكلـــهن ، أما الشأن فى الشرق وخاصة فى مصر النظام للطبقات واضح جداً "متعلمـة جداً أو جاهلة جداً ولا قدر من الثقافة إجبارى عام ، فمثله الغنى جداً بجـــانب الفقير جداً والقصر الشاهق بجانب الكوخ الحقيـــر .

ولا تكون الحركة النسائية صادقة حتى تكون عامة وإن اختلف مقـدار الثقافة ، ولست أبرئ الرجال من هذا العيب فشأنهم فى مصر كذلك : فيلسوف ومن لا يعرف أن يكتب اسمه .

والأمر الثانى الذى يؤخذ على حركة التقدم النسائى شعورهن بالمظهر أكثر من الحقيقة ، فليس السفور معناه كشف الوجه وغشـــيان دور الســينما والتمثيل بمقدار ما معناه ألا يكون هناك فارق فى العقلية . ولا فرق فى العمل بين الرجل والمرأة ، فإذا جالست المرأة الرجل فالند للند ، واذا ألقـــى العـــبء على المرأة بوفاة زوجها أو عائلها استطاعت أن تعمل وتكافح فى الحياة ، وقد يكون المثال الصادق للسفور الحق ما قامت به النساء المصريات فى مكافحـــة الملاريا وجمعية مكافحة السل ، والمتبرعات للتمريض ونحو ذلك . على أنـــه

ما يبشر بالخير ما نرى من تطور طبيعى نحو شعور المرأة بمسئوليتها ونأتى إذن إلى النقطة الجوهرية وهى مسئوليـــة المرأة ورسالتها .

أول رسالة للمرأة عنايتها بالأسرة ، والأسرة تقوم بوظـــائف عديـــدة اقتصادية وسياسية ودينية ولكن أهم عمل لها أنها مربى للطفل ، ففى الأســرة يأكل الطفل ويلبس ويسكن ويحافظ عليه من الأحداث ويتعلـــم درس الحيـــاة الأولى التى بذرتها الأم فى البيت ، فالأم فى البيت ترسم فى ذهن الطفل رسماً ثابتاً ، المثل الذى سيتبعه فى حياته ، فإن عدلت الحياة العامة فيه ففى العرض لا فى الجوهـــر .

فالإصـــلاح الحقيقى للأمـــة إصلاح المرأة ، إصلاح الأم ، فالألمـانى والفرنسى والإنجليزى والروسى ليس طابعه كما نـــرى إلا بأمـــه . وأكـــثر العيوب التى نراها فى الأمة ترجع فى الحقيقة إلى البيـــت . فخصامنـــا فـــى الشارع ، وفى المدرسة وفى المجتمعات صورة لخصام الأب والأم فى البيـت ، وعدم ضبط العواطف فى المعاملة صورة لعدم ضبط عواطـــف الأب والأم فى البيت ، والكذب فى الخارج فى الكذب فى الداخل ، وجبن الابن من جبـــن الأم ، والأنانية المفرطـــة فى الخارج من دروس الأنانية فى البيت ، وهكـــذا وهكذا ، كثرة وفيات الأطفال وكثرة أمراضهم راجع إلى البيت ، وإلى الأم.

فى مصـــر الآن نحو ستة ملايين من الأطفال بيـــن ســـن ٢١ ، ١٥ وهذه السن عادة تكون ثلث السكان فتصوروا حالهم إذا كان كثير من أســـرهم مصابين بالجهل والفقر والمرض ، كيف تكـــون حالتـــهم العقليـــة والخلقيـــة والجسمية ، وتصورهم وقد صلحت حال أسرهم فى الثقافة والقدرة الماليـــــة

والصحة الجسمية ، كيف يصبح هؤلاء الأطفال نواة جيل جديد خير ألف مرة من جيلنا - أكثر هؤلاء الملايين الستة يعيشون فى بيوت الفلاحين القذرة الفقيرة التعيسة وسط آباء وأمهات جهلة يرضعونهم مع اللبن الأمراض والجهل والتخويف ، ثم ليس فى الأمة من يأخذ بيدهم أو يلتفت لحالهم ، وجزء كبير من ميزانية الدولة يصرف فيما يعد ترفا بالنسبة لهذه الحال ، وجزء كبير من مجهود المصلحين والعاملين إنما يذهب إلى العدد القليل من الأمة وهو طبقة الارستقراطية ، فالأدب الذى تنشئه والجرائد والمجلات التى تحررها ونحو ذلك كله للطبقة الارستقراطية مالياً أو علمياً . والسواد الأعظم من الأمة متروك وشأنه للفقر والجهل والمرض ، فلم يعمل شئ يذكر لهذه الملايين الستة الذين هم عماد الأمة فى جيلها الآتى .

فلو وجهت الجمعيات النسائية جهدها إلى هذه الناحية لأتت بالخير الكثير ، هى من غير شك لا تستطيع أن تقوم بإصلاح أطفال الفلاحين والصناع وحدها .

ولكنها تستطيع مطالبة الرجال والحكومة بالعمل على مكافحة الأمية ورفع مستوى المعيشة وصوتهن مسموع مادام الرجال لا يصرخون من سوء.

بل إنهن يستطعن المساهمة فى العمل - متى أسست الجمعيات لرعاية الأطفال - بالتطوع لتعليم الأطفال وبإرشاد الأمهات الجاهلات فى البيوت كيف يحافظن على صحة الطفل وبرعيته .

وأذكر أنى قرأت مرة عن امرأة سوداء فى أميركا استطاعت أن تغير حالة السود بإنشاء جمعية من بنى جنسها ، كانت هى وجمعيتها تنتقل فى قرى

السود فيدخلن القرى يعلمن أهلها كيف ترعى الصحة وكيف ينظف المسكن وكيف يرتب ويقمن بالعمل فى بيت من البيوت ليكون نموذجها فهذا موضع للفراخ وهذا موضع لكذا وهذا موضع يمكن أن تنشأ فيه حديقة للمنزل ويزرعنها فعلا حتى إذا وضعن النموذج للقرية ، انتقلن إلى غيرها وهكذا.

هذا مثل من أمثلة السفور الحقيقى للعمل الحقيقى . إن الرجال لصوت النساء أسمع ، والإصلاح على يدهن أسهل ، فمتى اتجن إلى هذه الجهة من الإصلاح خجل الرجال من أنفسهم ، وضاعفوا جهودهم ولبت الحكومة طلبهن أكثر مما تلبى طلبهم .

أليس من العار علينا أن أغلب فلاحينا وهم السواد الأعظم لا يجدون ماء صالحا للشرب ولا الغذاء الضرورى للقوت ولا الكساء الضرورى للملبس فى بلاد غنية كبلادنا . وفى هذا الوسط ينشأ الأطفال فى الأسر ومع هذا كله نفكر فى توسيع شارع فى القاهرة او غرس أشجار على جانبى الطريق فيكون مثلنا مثل من عضه الجوع ومعه قرش فاشترى به وردة ,.

ما أقسى حالة الأطفال البائسين ممن يموت عائلهم ولا يترك لهم شيئا وممن وقعوا فى أسْر أسُر فقيرة ، وممن أصيبوا بأب مجرم أو أم غير صالحة ، أو ممن هدمت الأسرة عليهم بسبب الطلاق ، فأين هى الحكومة ، أو الجمعيات التى ترعاهم منهم النابغة الذى قد يسدى إلى الأمة من الخير ما لا يقدر .

ليس أمر هؤلاء مما يصح أن يترك ، فعلى الحكومات أن تضع من النظم والمال ما يكفل لهم العيشة الصالحة .

الأمر الثانى من " رسالة المرأة " : المساهمة فى الخدمة الاجتماعية ، والمرأة فى هذا الباب تستطيع بما منحتها الطبيعة من قوة فى العاطفة وفضيلة الشفقة والرحمة والعطف واصغاء الناس لهن أكثر مما يصغون للرجا ل - أن ينجحن فيه أكثر مما ينجح الرجال .

وأهم أبواب الخدمة الاجتماعية ثلاثة : مكافحة الفقر ، ومكافحة الجهل ، ومكافحة المرض .

والفقر فى مصر عدو خطير يصيب أكثر أفراد الشعب ، فى كل قرية أفراد معدودون هم الذين يستطيعون أن يعيشوا بدخلهم والباقون لا يجدون مـــا يأكلون وما يلبسون ، ولا يغرنكم القصور الفخمة والبيـــوت الكبـــيرة فـــهى كالشعرة البيضاء فى الفرس السوداء ، وبعض البلاد فقرها طبيعىلقلة ما تنتج وسوء البيئة الطبيعية حالها ، ولكن مصر ، ولله الحمد ، ليـــس فقرهـــا مـــن طبيعتها ولكن من سوء توزيع ثروتهـــا من ناحية ، ومن عدم الاستغلال الجيد من ناحية أخرى ، ومن عدم صلاحية السكان لكسب العيش من ناحية ثالثه.

وفقر الشعب هو العقبة فى سبيل كل إصلاح تعليمـــى أو اجتماعى أو سياسى ، وإذا زال الفقر فى أمة صلحت وتقدمت فى جميع النواحى ، بـــل إن المرضين الخطيرين فى المجتمع وهما الجهل والإجرام كثيراً ما يكون سببهما الفقر ، وأسباب الفقر هى أسباب انحطاط الإنسانية ، والفقر قد يكون سببه من الفقير نفسه لضعف كفايته العقلية والفنية والجسمية ، وقد يكون ســـببه مـــن الخارج ، أعنى سوء الحالة الاقتصادية .

ولكن موضوعنا ماذا تستطيع المرأة أن تعمل فى هذا الباب - من قديم والفقر يعالج بالإحسان ، وفكرة الإحسان مبنية على أساس أن القادر يعين غير القادر ومن رزقه الله بسطة فى المال يعين من حرمه منه ، وهذا هو الشائع إلى الآن يرى الرجل فقيراً مسكيناً أو امرآة مسكيناً فيخرج من جيبه قرشاً وينتهى الأمر ، ولكن هذه النظرة إلى الإحسان تغيرت ، وأهم تغير فيها ناحيتان ، ناحية أن المسألة لم تعد مسألة إحسان والفقير ليس فقيراً بالقدر والغنى ليس غنياً بالقدر ولكنه سوء النظام الاجتماعى ، والفقير ليس يطلب إحساناً ، ولكنه يطلب حقاً له على الأمة وعلى الحكومة ، هو يطلب أن يضمن له معيشة هى أقل ما يطلب لإنسان ، له الحق أن تكفل له الحكومة مستوى من المعيشة لا ينزل عنه فى مأكله وملبسه ومسكنه ومشربه ، هو العيش الضرورى الذى لا يصح أن يعيش أقل منه ، فإذا لم تفعل الأمة والحكومة ذلك فقد اغتصبت حقه لا لأنها منعت عنه الإحسان - ولابد أن تكونوا قد سمعتم بمشروع بيفردج وغيره من المشروعات مما أسس على هذه النظرة ، ومن أهم وسائل تحقيق ذلك الضرائب التصاعدية .

ومع هذا فالناحية الأخرى لم تنعدم وهى ناحية الإحسان ، ولكنه الإحسان المنظم لا الإحسان الفردى ، وقد قطعت الأمم الحية شوطاً كبيراً فى تنظيم الإحسان وأهمه نظام " همبرج " الذى وضع للفقراء والعاطلين ومقتضاه تنظيم مكتب رئيسى فى كل مدينة للنظر فى شئون الفقراء وتقسيم المدينة إلى أقسام وتعيين مشرف أو مشرفه على الفقراء فى كل قسم وظيفته درس أسباب الفقر فى كل أسرة وإعانة العاطلين على إيجاد عمل لهم وإنشاء مدارس صناعية لأولاد الفقراء ومستشفيات لمرضاهم ومن أراد الإحسان فليحسن إلى

هذه الجمعيات لا إلى الأفراد الخ . وقد عمم هذا النظام فى أوروبا كلها وأدخل عليه تعديلات كثيرة .

والمرأة العربية تسطيع أن تساهم فى هذا الإحسان فتنظمه وتقوم عليـه ، وقد قامت " فعلا" بقسط لا بأس به فى هذا الباب فدعت المرأة إلى التبرعات للمشروعات الخيرية الكثيرة وساهمت فى الإحسان تبرعاً وجمعـــا ، ولكـن الآحظ أنها أجادت فى تنظيم الدعوة إلى التبرعات أكثر مما أجادت فى تنظيـم الإنفاق ، وحبذا لو أنشئت جمعية نسائيه نموذجية تشرف على فقراء حى مـن الأحياء البلديـــة تكون مهمتها معالجة الفقر والبؤس حتى إذا جربت ونجحـت عممت فى أنحاء القطــــر .

إما نصيب المرأة فى مكافحة الجهل فلا يزال قليلاً ، وشانهن فى ذلـك شأن الرجال ، وقد وضعت الحكومة المصرية مشروعاً لمكافحة الأمية لم ينفذ بعد وهو تحت نظر وزارة الشئون الاجتماعية ونرجو - عند البدء فى تنفيذه - أن تساهم المرأة المتعلمة فيه بنصيب كبير ، فماذا يمنعها أن تتطــوع لتعليـم بنات الفقراء وبنات الشارع ، ويتفق كل ثلاثة أو أكثر على فتح مكتب لتعليـم الأميات ، ويطلبن من وزارة الشئون إعداد المكان لهن وإمدادهن بكل وســائل التعليم وأدواتـــه فيكون لهن فضل مكافحة الأميـــة .

ثم هن يستطعـــن تأليف جمعيات تجوب البلاد وتلقى الحاضرات فـــى الشئون النسائية ، وهذا - من غير شك - يكون عملا واسع الأثر لـــو قـــامت وزارة الشئون الاجتماعيـــة بتوزيع الراديو على القرى . إلى غير ذلك مـــن

أعمال ثقافية فى استطاعتهن القيام بها ، فحتى الآن لم نجـــد مجلـــة نســائية تخاطب المرأة المصرية فيما يقيدها .

أما الناحية الثالثـــة وهى مكافحة المرض فإنا - من غير شك - نرحب بما قامت به المرأة المصرية فى مكافحة الملايا ومكافحة السل والتمريض فى المستشفيات ولكن لا يزال المجال أمامهن فسيحاً فى هذا الباب وخصوصا من ناحية مرض الأطفال الذين لا يستطيع آباؤهم القيام بنفقات أمراضهم .

وليس من الحق اعتذارهن بقلة المال ، فكما أن من واجبهن جمع المال من طريق التبرعات كذلك من واجبهن مطالبة الحكومة بإنشاء ما يرين إنشاءه لمصلحة الأمة وبقيت مسألة أخيرة فى رسالة المرأة - وهى أنها الرسول الذى بعثته العناية الآلهية لنشـــر السعادة فى المجتمع ، وفى الحق أن ما لا يقل عن تسعين فى المائة من سعادة الأمة يرجع إلى المرأة - وقد زرت أوروبا مرتين زيارتين قصيرتين فتساءلـــت بعدهما ما الفرق بين الشرق والغـــرب فكـــان الجواب كلمة واحدة " المرأة " .

تستطيــع المرأة أن تكون سعادة الأسرة وسعادة المجتمعات وبلســـما لجراح الأمـــة وأداة فعالة فى بناء نهضتها .

المرأة هى مبعث حياة الأمة اذا قصرت فهى مبعث شـــقائها ، هـــى مبعث الإصلاح السياسى والاجتماعى ، هى روح الفن ، هى التى تستطيع أن تجعل الرجال رجالا ، وأن تجعل الأطفال أبناء الله لا أبناء الشيطان .

أتعلم المرأة لم خلقها الله ؟ أنما خلقها لتخلق من الرجال عظماء [١] .

---

١ - فيض الخاطر- أحمد أمين - مكتبة النهضة المصرية-جـ١٠ ص٢٥٧ : ٢٦٦

ومقال أحمد أمين أفصح عن دور المرأة مبينا أنها النور الذى ينبثـــق ليبدد ظلمات الاضطراب والقلق وتبدأ رسالتها الأولى مـــن بيتـــها فتربيتـــها لأولادها على أساس علمى مستنير يشكل البناء الاجتماعى الجيد وصرح بـــأن المرأة العربية لا تقل مكانة ولا منزلة عن المرأة الأوربيـــة بل أن العربية لها من السمات الدينية والقدرة الواعية لتحمل المسئوليـــة ما يفوق بنات جنســـها فى العالم كما بين أن للمرأة قدرة عظيمة على إعداد الفكر الواعى من منطلق الإحساس بالأمومـــة فرسالتها الأولى داخل نطاق الأسرة حيث تقوم بتوعيـــة أولادها من الناحية الاقتصادية والسياسيـــة والدينية وهذا يحتم علينـــا نشـــر التعليم والحرص على أن تأخذ كل فتاة بنصيب وافر منه حتى تتحمل رسالتها الأولـــى بذكاء وفطنة مما يساعد على استقرار أمر الأسرة وبالتالى اســـتقرار المجتمع ورقيـــة .

والأمر الثابت من رسالتها يتحقق فى مساهمتها الفعاله فى الخدمـــات الاجتماعيـــة مثل مشاركتها فى جمعيات مكافحة الفقر ، ومكافحة الجـــهل ، ومكافحـــة المرض وأكد أحمد آميـــن نجاحها فى هذه المجالات السابقة مبينـــا إنه يناسب طبيعتها ثم ختم مقالة الاجتماعى بأن المرأة هى التى تخلق للأمـــة العظماء من الرجال .

والواقع أن نهضة المرأة استمرت بالوعى الدينـــى المصاحب لانتشار التعليم وقد عقد فى القاهرة ١٩٩٩ م المؤتمر الذى أطلق عليه مئة عام علـــى تحرير المرأة العربية وصدرت جريدة المرأةالجديدةعن المجلس الآعلى للثقافة ورئيس تحريرها بهيرة مختار ومديرها مجدى حســـين وطبعـــت بـــالمركز المصرى العربى للطباعة والنشـــر وقد صدر العدد الاول منها فـــى الثـــالث

والعشرين من اكتوبر ١٩٩٩ م ليعلن انطلاق المرأة بعد أن قيدتها العـــــادات البالية والتقاليد الفاسدة مع أن الاسلام حررها اجتماعيا ونفسيا ومنحـــــها مـــن الحقوق ما يجعلها أرقى نساء العالم ولكن عهود الاستعمار والمظــــالم التـــى تعرضت لها البلاد العربية جعلت المرأة تتخبط فى ظلمات الجهل وكيـــف لا وقد حرص المستمر كل الحرص على تفشى الأمية بين نـــشء الأمـــة مـــن الفتيان فكيف يكون الموقف بالنسبـــة للفتيات ؟ ولكن عندمـــا تفتـــح الوعـــى وانقشعت سحابة التخلف وبدأت الصحوة الدينية من المنطلق العلمـــى عـــادت للمرأة الثقة المستمدة من الوعى الإسلامـــى وبـــهذا فـــالدعوة الآن لجميـــع المقالات الاجتماعية التى تسم المرأة تنادى بالقضاء على الأمية المنتشرة بيـــن نساء مصر ففى مقال ورد بجريدة المرأة الجديدة كتبت عواطف عبد الرحمـــن مقالا بعنوان (٧٩% نسبـــة الأميـــة بين نساء مصـــر) [١] : طـــالبت فيـــه بوجود (تغيير السياسات الإعلاميـــة الراهنة تجاه المرأة بحيث تتحول وسائل الإعلام إلى عنصر مشارك وفعال فى النهوض بقضية المرأة ومحو أميتـــــها وتشجيعها على المشاركة السياسيـــة كما يجـــب مراجعـــة صـــورة المـــرأة المصرية فى المناهج التعليميـــة والعمل على تصحيحها بما يتلاءم مع حقيقـــة الإنجازات والإسهامات التى قدمتها ولا تزال المرأة المصرية لمجتمعها فـــى مختلف المجالات) .

والواقع أن الكتاب أحمد أمين ، والعقاد ، وأحمـــد حســـن الزيـــات ، عواطف عبد الرحمن وكل ما كتب مقالات اجتماعية تتصل بـــالمرأة يـــدرك ادراك اليقين انها غرس البناء والمعدة لمجتمع قادر على العطاء وأضيف اليهم

[١] ص ١١ العدد الأول جريدة المرأة الجديدة ٢٣ اكتوبر ١٩٩٩ م – بتصرف

جميعا بضورة تثقيفها ثقافة إسلامية بإعداد ندوات بصفة شرعية تتناول مالـــها من حقوق وما عليها من واجبات وتوضيح دورها فى البناء الاجتماعى مـــن منطلق الفهم الواعـــى الدقيق للقرآن الكريـــم والسنة النبوية الشريفة والمقـــال الاجتماعى يعالج مشاكل المجتمع كافة ويناقش القضايا التى تظهر على مسرح البيئة سواء أكانت سلبية أم ايجابية فالسلبيـــة التى تهدد كيان المجتمع يحـــاول المقال الاجتماعى وضع الحلول المناسبة للقضاء عليها والحفاظ علـــى بينـــان المجتمع من التصدع أما الإيجابية التى تساعد على نشر عمل جيد أو فكـــرة واعية حيث يتبناها الكتاب فيكتبون حولـــها لتســـتمر فـــى العطـــاء والبنـــاء الاجتماعلى الصالح وبهذا فالمجتمع هو الذى يمد كتاب المقالات بموضوعا ت عدة تحمل بين طياتها أناته وأفراحه وما تحمل من سلوكيات وعادات وتقـــاليد وعلى سبيل المثال ما كتبه أحمد حسن الزيات [1] فى مقاله اســـتقبال شـــهر رمضان قال فيـــه :-

(فى صباح يوم الإثنين الماضى استقبل المصريون ربيع الأجساد فـــى شم النسيم وفى مساء يوم الاثنين هذه الليلة يستقبل المسلمون ربيع الأرواح فى شهر رمضان . وإذا كان ربيع الأجساد فى الحدائق زهورا وخمورا ومتعـــة ، فإن ربيع الأرواح فى المساجد صيام وقيام ونسك .

---

(١)عملاق من عمالقة الأدب المعاصرين ، وصاحب مدرسة نهل الأدباء من معينها فى القـــرن الحالى ، سطر العديد من المقالات فى الدعوة إلى التحرر من قيـــود المـــاضى ، والاهتمـــام بدراسة الأدب بإسلوب منهجـــى ، مع الاهتمام بالموروث من التراث ، وخاصـــة الـــتراث الإسلامى له مقالات ممتعة تعالج الواقع المصرى فى الأدب ، والنقد ، والسياسة ، والاجتماع عالجها بإحساس دافق وشعور صادق .

المقال وتطوره – د مرسى ابو ذكرى طبعة ١٩٨٢ ك ص ١٩٨ بتصرف .

ربيع الأجساد فى إبريل كان انطلاقا من كل قيد ، واستغراقا فى كل لذة ، امتدت فيه العيون إلى كل جميل ، وعفت النفوس فيه إلى كل شهى ، أما ربيع الأرواح فى رمضان فهو صيام للجوارح عن الأذى ، وفطام للمشاعر عن الهوى ، يستقبله الناس بعد أحد عشر شهرا قضوها فى صراع المادة وجهاد العيش تكدر فيها القلب وتبلد الحس وتلوث الضمير فيجلو صدورهم بالذكر ، ويطهر نفوسهم بالعبادة ، ويزود قلوبهم من مذخور الخير بما يقويها على احتمال الفتن والمحن فى دنيا الآمال والآلام بقية العام كله - لذلك كان رمضان فى الشرع إلهى طهورا من رجس العام ، وهدنة فى حرب القوت وروحا فى مادية الحياة .

رمضان هو التمرين الرياضى السنوى للنفس ، يشترك فيه المسلمون فى جميع أقطار الأرض ، يصومون فى وقت واحد ويفطرون فى وقت واحد ، وينصرفون عن اللذات الحسية والنفسية ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع إلى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ويصموا أذانهم عن اللغو ، ويغلوا أيديهم عن الأذى ويصدوا أهواءهم عن السوء ، وتلك هى العناصر الجوهرية لعقيدة الصوم .

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون

وفى بصرى غض وفى منطقى صمت

فحظى من صومى من الجوع والصدى

وإن قلت إنى صمت يوما فما صمت .

وهذه القيود والحدود التى تضمنها معنى الصوم هى المجاهدة التى تعود الإنسان ضبط النفس وقوة الإرادة وضعف الإرادة إنما يقوى برياضة النفس على الحرمان المؤلم كما يقوى الجسم برياضة البدن على الجهد العنيف وكما يقوى العقل برياضة الذهن على التفكير العميق ، والرياضة الروحية هى حكمة الصيام فى الأديان كلها .

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " وتقوى الله ومجاهدة النفس هما الغاية من هذه الحكمة وقد اجتمعنا فى قوله تعالى : " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى " فالخوف من الله هو التقوى ، ونهى النفس عن الهوى هو المجاهدة أما قول من قال إن حكمة الصوم هى ان يذوق الغنى عذاب الجوع ليشفق على الجائع ويرأف بالفقيرفقول سطحى توحى به النظرة العابرة والفكرة السريعة ، فإن إجاعة الأغنياء ، ليشعروا بآلام الفقراء قد تكون معنى من معانى الصوم ، ولكن حكمة الله من صوم رمضان أسمى وأجل وأبعد وإن للجوع أثرا شديدا فى تصفية النفوس وتلطيف الطباع لأن من كدر النفس يكون فى الأكثر من كدر الجسد وقد قالوا : إن البطنة تذهب الفطنة. لذلك أتخذ كثير من أئمة الدين ورجال التصوف الجوع سبيلا إلى تهذيب النفس و تقوية العقل وإذكاء الروح قال الإمام على رضى الله عنه يصف العارف بالله :"قد أحيا عقله وأمات نفسه ، حتى دق جليله ورق غليظه".

يريد بجليله بدنه الضخم وبغليظه طبعة الكثيف قال ابراهيم بن أدهم: لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يغلق عن نفسه باب النعمة ،

ويفتح عليها باب الشدة ، وقال يحيى بن معاذ : الجوع للمريديــن ريــاض ، وللتأبين تجربة ، وللزاهدين سياسة ، وللعارفين تكرمة " .

ولكن بعض الصوفيين غالوا فى تعذيب الجسم لتهذيب الــروح فكــان منهم من لا يأكل فى أربعين يوما إلا أكلــه واحده ، وهذا أشبه بما يفعل اليوم زهاد الهنود . والإسلام يسر لاعسر ، والفضيلة هى الطريق الوسط وقد قــال الرسول صلوات الله عليه لرجل أكثر الصيام والقيام حتى غارت عينــاه : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق . إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهر أبقــى على أن هولاء الصواميين قد انقرضوا فلم يعد يستقبل رمضان منهم أحــد . إنما يستقبله اليوم أقوام بعد عهدهم عن الإسلام الصحيح فعادوا أشــبه بذلــك الإعرابى الذى أسلم فى أول الإسلام . ثم قدم على ابن عم له فى بعض المدن قبل أن يذوق حلاوة الإيمان ويفهم حقائق الدين فأدركه شهر رمضان فقيل لــه يا أبا عمرو لقد أتاك شهر رمضان . فقال وما شهر رمضان قالوا والامســاك عن الطعام . فقال ابا الليل أم بالنهار . قال أفيرضون . بدلا من هذا الشهر ؟

قالوا لا . قال فان لم اصم فعلوا ماذا ؟ قالوا تضرب وتحبس فصام يوما ثم لم يستطع فتحول عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمى وقد زرت مصرهم ... تهيأ أبا عمرو لشــهر صيــام
فقلت لهم هاتو جرابى ومزودى ... سلام عليكم فامكثوا بسلام

فبادرت أرضا ليس فيها مسيطر ... على ولا منــاع أكــل طعــام

نعم يستقبل رمضان أكثر الناس بعقليه هذا الإعرابى فيستقبلونه لا باعتبــاره ركنا من أركان الدين الخمسه يقيم الدين من أقامه ويهدمه من هدمــه ولكــن

باعتباره تقليدا من التقاليد الموروثه وعيدا من الأعياد المقرره فيتمتعون فيه بنعيم العيش ويتفننون فى الطعام والشراب ويتأنقون فى الثياب والزينة ويتدفقون فى الأنس واللهو ويسرفون على بطونهم بالأكل حتى تمرض ، وعلى جيوبهم بالبذل حتى تفرغ ، وينفقون على هذا الشهر وحده ما يكاد يقرب من نفقة العام كله ، وفى الإفراط فى اللهو والأكل والنوم ، تضيع حكمة الإسلام من الصوم .

على أن رمضان العظيم الكريم السمح إذا زال من بعض المسلمين جوهرة فلا يزال فى أكثر بلاد الإسلام مظهره . ومظهر رمضان جميل جليل رائع ترونه فى كل شارع وفى كل بيت ، وتحسونه فى كل شئ وفى كل شخص : خير يتدفق فى البيوت ، وبشر يتهلل فى الوجوه ، وذكر يتعالى فى المساجد ، ونور يتألق فى المآذن ، وسمر ينتقل فى الأندية ، ونفخات من ريح الجنة تهب فترطب القلوب الجافة وتلين الأكباد القاسية . ثم تجدون الحوانيت سامرة وإن لم تبع ، والمصانع ساهرة وإن لم تنتج ، والأبهاء والمقاهى عاطرة بحديث الأصدقاء حتى أول السحر . ولرمضان تقاليد يرعاها الصائمون والمفرطون على حد سواء ، فالسكير يهجر الكأس ، والمقامر يترك الورق ، والشرير يؤجل الشر والمجرم ينسى الجريمة . وكل هؤلاء يتشبهون بأهل الصلاح فيمسكون السبحة ويتقون الشبهة ويصنعون المعروف . فإذا استقبلنا رمضان الليلة بالترحيب والبشر فإنما نستقبل فيه عيدا دينيا وقوميا يؤكد أسباب القرب بين الله وعبادة ويوثق عرى الحب بين الشعب وأفراده .

وإذا كان فى دنيا الإسلام من يستقبل رمضان بالوجه العابس والشقة المقلوبة والصدر الضيق فذلك هو المسلم المزيف هو المسلم الكاذب الذى يستقبل فى رمضان فطاما لشهواته ولجاما لغرائزه ، فينظر إليه نظرة مادية اقتصادية فيرميه بما يرمية به الأوربيون والأمر يكان من قلة الإنتاج وكثرة الاستهلاك وشل الحركة وإضعاف الصحة ، وينسى أن شعائر التلمود القاسية وعقائد التوراة الصلبة لم تعق أشتات اليهود عن المغامرة والتقدم وشتان بين نظام لإقليم ونظام لدنيا ، وبين شرع لأمة وشرع لعالم . هذا المسلم الكاذب هو الذى سترونه منذ صباح الغد معرضا عن رمضان فى استهتار متحديا لأمر الله فى استكبار ، فيستبيح النظرة الأثمة والكلمة البذيئة والأكله الدسمة والسيجار الغليظ .

وهذا الرجل وأمثاله فمن لا يرعون للدين حرمة ولا للتقاليد ذمة ولالأنفسهم كرامة هم فى نظام المجتمعات نشوز ، وفى قوانين الأمم شذوذ .

هذه تحية صادقة لشهر رمضان المبارك قالها مؤمن وسمعها مؤمنون ولا يدرى إلا الله ماذا تدخر مدينة المال ومادية العلم لهذه الروحية التى تتجلى فى الصوم ، ولهذه الغيرية التى تتمثل فى الصائم .

وقى الله رمضان شر العلم الجاهل والدين الكاذب والتقاليد الأعمى والتمدن المشوه ، وجدد الله عليكم به الأعوام المقبلة وأنتم ناعمون فى ظلال الأمن ممتعون بنعمة العافية [1] .

---

[1] وحى الرسالة – أحمد حسن الزيات – مكتبة النهضة – طبعة ١٩٥٨ م – جـ٤ ص ١٦٩ : ١٧٣ .

تحدث حسن الزيات فى مقالـــه الاجتماعى عن شهر رمضان فذكر أنه ربيع الأرواح فهو شهر النقاء والصفاء والطهر ففيه يتخلص الضمـــير مـــن التلوث والحس من التبلد والمشاعر من الهوى وينتشر الخـــير وتـــهدأ الفتـــن والمحن فهو شهر الإيمان والأمان والأمال فقد وضع الله له قيودا تضبط النفس والسلوك ولكن ؟

بعد أن تحدث الكاتب عن فضائـــل هذا الشهر الكريم وما يلـــتزم بـــه الصوفيـــه من المغالاة تحدث عن العادات الاجتماعية فى مصر (ولرمضـــان تقاليد يرعاها الصائمون والمفطرون على حد سواء ، فالسكير يهجر الكـــأس ، والمقامر يترك الورق ، والشرير يؤخل الشر والمجرم ينســـى الجريمـــة) ، وقال فى المقال السابق أيضا (هذا المسلم الكاذب الذى سترونه منذ صبـــاح الغد معرضا عن رمضان فى استهتار متحديا لأمر الله فى استكبار ، فسـيتبيح النظرة الأثمـــة والكلمـــة البذيئة والأكلـــه . الدسمة والسيجار الغليظ ، وهـــذا الرجل وأمثاله ممن لا يرعون للدين حرمة ولا للتقاليد ذمة ولا لأنفسهم كرامة هم فى نظام المجتمعات نشوز وفى قوانين الأمم شذوذ) .

لقد تعرض الكاتب لصورتين من صور المجتمع المصرى مصورة فى لوحتين القطاع الأول يصور الفئـــة الكبرى من المجتمع والقطاع الثانى الفئـــة الصغرى التى تستقبل شهر رمضان اســـتقبالا لا يليـــق بمنزلتـــه والمقـــال الاجتماعى يحمل سمة دينية عالية ولكن أثرت وجودة فى المقال الاجتمـــاعى لقول كاتبه (ومظهر رمضان جميل رائع ترونه فى كل شارع وفى كل بيت ، وتحسونه فى كل شئ وفى كل شخص ، خير يتدفق فى البيوت ، وبشر يتهلل فى الوجوه ، وذكر يتعالى فى المساجد ، ونور يتألق فى المآذن وسمـــر ينتقل

فى الأندية) ولذكرة ، (يستقبل رمضان النـــاس بعقليـــة هــذا الأعرابـــــى فيستقبلونه لاباعتباره ، وكنا من أركان الدين الخمسة يقيم الدين مـــن أقامـــة ويهدمه من هدمه ولكن باعتباره تقليدا من التقاليد الموروثه وعيدا من الأعيا د المقررة ، فيتمتعون فيه بنعيم العيش ويتفننون فى الطعام والشراب ، ويتأنقون فى الثياب والزينة ويتدفقون فى الطعام والشراب ويتأنقون فى الثياب والزينـــة ويتدفقون فى الأنس واللهو ، ويسرفون على بطونهم بالأكل حتـــى تمـــرض وعلى جيوبهم بالبذل حتى تفرغ ، وينفقون على هذا الشهر وحدة مـــا يكـــاد يقرب من نفقة العام كله ، وفى الافراط فى اللهو والأكل ، والنوم تضيع حكمة الإسلام من الصوم) .

وللعبارات السابقة من مقال استقبـــال شهر رمضان تتضـــح الســـمة الاجتماعيـــــه .

ومن المقالات الاجتماعيـــة المشاركة الوجدانية ومنها مقال أحمد أمين (إلى أخى الزيات) (١)

قال فيه (سعيت أمس لعزائك فى (رجائى) ، و(رجـــائك) فرأيتـــك واجما ساهما والها مدلها ، فانعقد لسانى ، وتخلف ذهنى ، وفـــاض دمعـــى . وكيف استطيع عزاءك وما استطعت أن أعزى نفسى أو كيـــف أســـتطيع أن أخفف مابك وما استطعت أن أخفف حزنى ؟ .

---

(١)فيصن الخاطر – أحمد آميـــن – جـــ١ ص ٢٢٣ .

رأيت بك كمدا باطنا ، وحزنا مكتمنا ، فعلمت انك تتجرع غصـــــص الهم ، وتختزن برجاء الكرب ، فتمنيت أن تخفف عنك بصرخة ، وتنفس عن نفسك بدمعة ، ولكن عز الصبر وعز الدمع ، فما هـــى إلا زفـرات تذيـب لفائف القلوب وتتفطر لها المرائر . وارحمتاه ! لقد كان (رجـــاء) قبلـــة ر جائك ، ومعقد آمالك ، وحديث أحلامك وملء سمعك وبصرك تشوفته حياتك ، وترقبته مطلع شبابك ، حتى جاد به الزمان البخيل ، فربطت أسبابك بأسبابه ، وتعلقت بأهدابه ، فلما شمت مخايله ، ورقبت منه النجح ، عدا عليـــه الدهـر الذى لا يرعى مثياقا ، ولا يثبت على عهد فأخلف ظنك ، ونقض أملك ، فـإذا الدنيا أضغاث أحلام ، ووساوس أطماع .

ولكن يا أخى - ما الجزع مما لابد منه ، وما الهلع مما قدر ومثلك من يعرف مقدار الحياة وهوانها ، أفليست الا مسرحا تمثل عليه أدوار مختلفـــة ، مرة مهزلة ، ومرة مأساة ، ونحن فى جين ممثلون ، وفى حين نـــــاظرون . وليس لنا أن نبالغ فى الألم ونغلو فى الجزع ، فقد كان يكون لذلك وجه مـــن الحق لو ذهب من ذهب أبدا ، وعشناه بعده أبدا وانما الأمر دور يعقب دورا ، ولاحق منا إثـــر سابق ، وإنا لله وإنا إليه راجعون) المتلقى لمقال أحمد آمين (إلى أخى الزيات) يجد انه يحمل المعانى الوجدانية القائمة على المشــــاركة العاطفية النبيلة التى تقدر الأخوة وما فيها من قيم رفيعة وقد فـــاض المقـــال بالمشاعر الإنسانية الصادقة وروح الأخوة الصافيـــة التـــى تـــترجم مكنـــون الصديق دون حديث فتسعد بسعادته وتشقى بأحزانه فمثلا قول أحمـــد أميـــن (رأيت بك كمدا - تتجرع غصص الهم) مع العلم بأن أحمد حسن الزيات لـــم يصرح بهذه الدرجة من العناء ولكن التفانى فى رابطة الصداقة جعل أحمـــد

أمين يصف بدقة ألام صاحبة والمقال اجتماعى يحمل روح التأبين الذى يعد من أسمى المظاهر الاجتماعيه لابين الأصدقاء فقط ولكن بين أبناء المجتمع كافة وتخضع هذه المشاركة الاجتماعية لطبيعة العلاقات (أقارب - أصدقاء - جيران - أبناء حى واحد ... الخ) .

ومقال التأبين يحمل خصائص الكتابة الوجدانية والإخوانية الصادقة

ومن المقالات الاجتماعية ما يغوص فى أعماق المجتمع وتحمل على أعناقها مشاكله البسيطة والمعقدة ومن هذا النوع مقال أحمد أمين (مشاكل الشباب وكيف تعالج) وقد بين فيه ضرورة الأخذ بالأسباب فما من ظاهرة تحدث فى الكون إلا ولها علة والإنسان جزء من هذا الكون الواسع وسلوكه الاجتماعى وتكوينه النفسى يرتبط بكافة الظواهر الطبيعية والسلوكيات الاجتماعية بما فى ذلك من عادات وتقاليد تربوية جاء فى المقال .

من أكبر مظاهر المدنية الحديثة عنايتها بمظاهر الطبيعة ، وتحليلها ودرسها درساً عميقاً ، ومعالجتها على أسس علمية سواء فى ذلك طبيعة الكون وطبيعة المجتمع وطبيعة الإنسان - فهى تؤمن إيماناً قوياً بنظرية " الأسباب " فمهما حدث فى الكون فلا بد له من سبب معقول ، ولا يحدث شئ ولا تسكن ولا تسقط ورقة من أوراق الشجر ولا يهب نسيم ، ولا تموج موجة الا بسبب . وغاية الأمر أن بعض الأسباب عرفناها وفهمناها وبعضها لم نعرفها ولم نفهمها . ونحن سائرون إلى معرفتها وفهمها .

ومما اتجهوا له اتجاها بديعاً نفسية الأطفال ونفسية الشبان . فالإنسان ككل كائنات العالم لا ينفعل ولا يتأثر ولا يؤثر إلا بسبب ، وهذا

السبب يمكن فهمه إذا دققنا النظر ودرسنا الإنسان على أنه جزء من طبيعة الكون خاضع لقوانينها سائر على منهاجها .

إذ يكى الطفل فلابد من سبب لبكائه ، وإذا مرض فلابد من سبب لمرضه ، وكذلك إذا انفعل اى انفعال ، أو ساء سلوكه أو حسن ، وإذا صدق أو كذب ، وإذا كان هادئا رزيناً ، وإذا كان مرحا لعوباً ، فعالم النفس يستطيع أن يعلل ذلك تعليلا معقولا - وإذا كان كذلك أمكن تربية الطفل على هذا المنهج الدقيق . فإن أنت أسلمت طفلا لعالم ماهر فى دراسة النفوس ، وقلت إنى أريده على نمط كذا أمكنه أن يخرجه لك كما تريده ، كما يستطيع الصائغ أن يخرج لك السبيكة من الذهب على النحو الذى تريده - وإذا هو لم ينجح ، ذلك كل النجاح فلأنه لم يبلغ الخبرة مبلغ الصائغ ، ولأن علم النفس لم يتقدم تقدم فن الصياغة . نعم إن للوراثة دخلا كبيراً فى إعداد الطفل وتحديد مواهبه،ولكن عملهاكعمل الطبيعة فى إعداد الذهب ثم يصوغهاللصائغ كما شاء ، وليس يستعصى على المربى شئ إلا لجهله ببعض قوانين من يربيه.

وإذا ثبت ذلك فالتربية التى لا يكون أساسها معرفة قوانين النفس مقضى عليها بالفشل كتربيتنا نحن لأولادنا ، فالأبوان يربيانهم تبعا لتقاليد توارثاها لا حسب قواعد تعلماها . إذا كانت التربية حسبما اتفق خرج الطفل أيضا حسبما أتفق . وأهم فارق بين الطفل الشرقى والطفل الأوربى أن الثانى دخل العلم إلى حد كبير فى تربيته فأصلح من جسمه ومن نفسه ولم يدخل العلم فى تربية الأول إلا بقدر قليل .

بالأمس كنت أقرأ حكاية لطيفة تدل على هـــذه العنايـــة ، ذهبـــت أم إنجليزية إلى طبيب وعالم من علماء النفس وقصت عليه أن ابنها وهـــو فـــى الثامنه من عمره أذكى طفل فى الفصل فى مدرسته ، وخير ولد فى بيتـــه ، ولكن إذا جن الليل صرخ وبكى وإذا نام قام فزعاً ومشى وهو نائم وترنح فـــى مشيته وتخيل أنه يسقط على الأرض فيصرخ ، وتحاول أن تفهمه أنه نائم فى سريره . فلا تفلح ، وإذا حكت له فى نهاره ما كان منه فـــى ليلـــة ضحـــك واستغرب ، ولكنه يعود فى ليلة إلى هذه الحالة المفزعـــة !! فحصه الطبيـــب النفسى فوجد جسمه سليما من كل مرض ، وصحته على أحسن حال ومنظره فى غاية الجمال ، ففكر ثم فكـــر ، ثم سأل الأم : من الذى ربى الولـــد فـــى صغره ومن كان ينيمه ؟ فقالت إنها كانت تسافر مع أبى الطفل وتتركه عنـــد جدته . فسأل الجدة : كيف كانت تنيمـــة ؟ قالت كانت تغنيه أغنيـــة معروفـــة سمعها فوجد فيهـــا عنفا وفيها ريحا عاصفة تهز الأرجوحة ، وقـــالت إنـــها كانت تخبط على الأرض برجلها وقت الغناء لينام . فعلم الطبيب أن هذا هـــو السبب فى فزع الطفل ليلا ، وعالجه بأن تغنيه وقت النوم أغنية لطيفة عذبـــة سارة وتكررها فى لطف ورقة حتى ينام . وقد نجح الطبيب فى ذلك فذهـــب عن الطفل الخوف ونام فى طمأنينة وأمـــن .

وكم مثل هذه الحالات تعرض لأطفالنا ولا نعيرها التفاتاً لأننا لا نؤمن أن لكل شئ سبباً يمكن أن يعلم .

كذلك الشأن فى شبابنا ، كل ظاهرة تستحسنها أو نستهجنها فيهم لـــها سبب نفسى يجب أن ندرسة . والنصائح وحدها لا تغنى ، لأن الأســـباب إذا ظلت باقية نتجت عنها هذه الظواهر لا محالة رغم النصائح والإرشـــادات ،

ويكون مثلنا مثل من يحارب الجيش الغازى بالدعوات ، أو الأمراض الفتاكة بالرقى والتعويذات - إنما ننجح يوم نحلل هذه الظواهر إلى عواملها الأولية وأسبابها الخفية ثم نضع العلاج لكل منها بما يناسبه .

ومن غريب الأمر أن من أكبر مشاكلنا مشكلة الشباب ، ومع هذا لا نجد بحثاً علمياً عميقاً وضع فى هذه المشكلة . إنما تقتصر على شيئين : الشكوى والنصائح وهما لا يغنيان ، بشكو الأب فى بيته من الشباب يشكو المدرس فى مدرسته من الشباب وتشكو الجامعات من الشباب ، ويشكو أصحاب الأعمال وأرباب الأموال من الشباب ، وتشكو الأمة كأمة من الشباب - وتتعدد الشكاوى وتتنوع ولكن لا نبحث ، ولا تلمس الوقائع ولا يستفيض الحديث ويكتفى بالنصح .

فأمامنا الآن مشكلة الحب . هل يسمح للشاب أن يحب ؟ وهل فى الإمكان نفسياً واجتماعياً ألا يحب ؟ وما الحدود التى يجب أن تحد فى الحب؟ وما طرق الوقاية من الغلوفيه ؟ لا شئ عندنا من البحوث فى ذلك الا شكوئ الآباء والأمهات ورجال الدين والأخلاق . إنما نريد بحوثاً صريحة جريئة تحلل فيها الحالة النفسية للشباب والحالة الاجتماعية للأمة ثم يوضع العلاج بعد ذلك لا قبله .

ولدينا مشكلة السياسة والشبان . هل من الواجب أن يشتغل الشباب بالسياسة وإلى أى حد ؟ وهل يتصلون بالأحزاب أو لا يتصلون ؟ وهل يتعارض واجبهم العلمى والواجب السياسى ؟ وإذا تعارضا فما الموقف ؟ مسائل نواجهها كل يوم ولا باحث ، وإنما الأمر فوضى من جميع النواحى ،

ترك الأمر فيها للشبان يفعلون ما يشاءون من غير بحث وكل ما يفعله الكتاب والأدباء هو الملق ، فالشبان بنوا ، والشبان أسسوا ، والشبان هم عماد الأمة ، ونحو ذلك من الألفاظ المعسولة ، وهذا حق إلى حد ما ، ولكن هناك نغمة أخرى يجب أن توقع بجانب النغمة الأولى حتى يتم التوازن ، وهى نغمة اشعارهم بالواجب ، وذلك لا يكون إلا بعد بحث عميق ومصارحة الشبان بالحقائق فى غير مواربة ولا مجاملة .

ولدينا مشكلة الشباب العاطل . وقد اقتصرنا فيها على النصح للشبان أن ينزلوا ميادين العمل ، ولكن لم نبحث جدياً سبب العطل من الناحية النفسية، ومن الناحية الاجتماعية ومن الناحية الخلقية وكيف يمكن التغلب على البطالة.

ثم الشبان أنفسهم واقعون فى أشد الأزمات ينشدون مثلا أعلى غامضا غير محدود ، ويسلكون لهذا الغامض مسالك غامضة ، فلو سألت أكثر الشبان عن حالهم وجدتهم ساخطين ، ثم إذا سألتهم عن سبب سخطهم لم يجيبوا إجابة صريحة واضحة . فهم يضطربون بين ما هم علية وهو لا يرضيهم وبين أملهم فى الحياة وهو بعيد عنهم ، وهم يضطربون بين ما هم عليه وهو لا يرضيهم وبين أملهم فى الحياة وهو بعيد عنهم ، وهم يضطربون بين قديم رأوا عليه آباءهم وطالبوهم به وحديث يرونه فى السينما وفى الطبقات العالية وفى الجالية الأوربية ، وهم يضطربون بين علم وسياسة ، وحب وواجب ، وإرضاء أهل وإرضاء أصدقاء ، وكل ما فعلناه أننا تركناهم فى أزماتهم يحلونها بأنفسهم من غير أن نقدم إليهم أية عناية - وقد عودهم الأباء والمعلمون والقادة الآيصارحوهم ، فلا الشاب يجد من هؤلاء رحابة صدر فى

أن بيئة الآمه ويفتح له قلبه ويشرح له أزماته ، ولا الآباء والمعلمون شجعوهم على مثل هذا ، فكان من ذلك حاجز متين بين الابن وأبيــه والطالب ومربيــه ، فحمل عبئه وحده ، من غير أن يسعفه من هو أكثر منه تجربـــة . ولذلــك كثرت الضحايا لأن الأزمات فوق مقدور الشبان وهم وحدهم الذين يحـــاولون حلها بأنفسهم أو بأمثالهم من أصدقائهم ...

لا يمكن أن نتقدم فى فهم مشاكل الشباب ووضع العلاج الصحيح لـــها إلا بأمور ثلاثـــة :

(الأول) توافر جماعة من الأخصائيين فى علمى النفسى والاجتمـــاع على دراسة نفسية الشباب وبيئاتهم دراسة علمية عميقة تمتحن فيها الأعراض، ويرجع فيها إلى الأسباب ، وتمتحن التجارب ويوضع فيـــها العـــلاج علـــى أسس هذه الدراسة . ومالم نفعل هذا فكل علاج نضعه يكون سطحياً ، ويكون شأنه شأن طبيب متسرع يكتفى بالمظهر الخارجى ويكتب تذكرته بناء علـــى ذلك فيكون المريض عرضة لخطر كبير - ونحن إلى الآن لم نكون علماء من هذه الناحية ، فعندنا علماء نفس واجتماع ولكنهم عالمون بما فى الكتب مـــن نظريات وقد يكون لهم فيها آراء . ولكن الذى أتمناه درجة وراء هـــذا وهـــو علماء قد درسوا هذه النظريات ثم كان لهم معمل لتطبيق هذه النظريات علـــى أطفالنا وشبابنا ، يمتحنون ويجربون ويرصدون النتائج ويضعون الإحصائيات ، ولهم رأى شخصى بعد كل ذلك فى حالتنا نحن ووسطنا نحن لا فى الحالات الأوربية والأوساط الأوربية . وإلى أن يكون هذا نظل متخبطين فى طـــرق العلاج نكتفى بموضوعات إنشائية ونصائح أدبية ووصفات أشبه مـــا تكـــون بالوصفات البلدية .

(الثانى) وجود عيادات للأزمات النفسية تشبه عيادات أطباء الجسم ، يشرف عليها إخصائيون فى النفس والاجتماع ، فقيمة النفس ليست أقل من قيمة الجسم ، وأمراض النفس قد تصل إلى حد أخطر من أمراض الجسم - والشبان فى هذا الطور محتاجون أشد الاحتياج إلى خبراء يعرفون سر أزماتهم وكيفية دوائهم .

وقد عنى بعض الإخصائيين فى أوروبا بهذه الناحية وقصّوا علينا حوادث كثيرة أنقذوا بها الشبان من مشاكل بعرضهم عليهم أنفسهم حتى فى حالات يصح أن نعدها نحن حالات ترف . قال أحدهم جاءتنى فتاة تستشيرنى، وقالت إن أمها محبة للفنون الجميلة من موسيقى وتصوير وهى تقضى كل أوقات فراغها فى ذلك ، وأباها رجل عمل يصرف أوقاته فى إدارة متجرة وأعماله . وزادت الفتاة أنها ورثت عن أمها حب الموسيقى ، وورثت من أبيها حب إدارة العمل ، وهى مضطربة أشد الاضطراب بين الوراثتين ، فهى يوما تحب أن تلبث فى بيتها تعزف على آلات الموسيقى ، ويوما تكره ذلك كل الكره وتريد أن تخرج تدبر عملا اجتماعيا ، فهى لاستقر على حال . فامتحن هذا الإخصائى أى ميليها أقوى ووصف لها علاجها . وهكذا مئات من الحوات تحكى وتعالج ، ونحن لا نعنى بهذه الناحية أية عناية .

(الثالث) ما أشرت إليه من قبل وهو أن هناك هوة سحيقة بين أولى الأمر والشبان ، بين المعلمين والطلبة ، وبين الآباء والشبان . ولست أقصد أن بين هؤلاء جفاء فى المعاملة ، وإنما أقصد أن الشاب لا يفتح نفسه لمعلمه وأبيه ، والمعلم والأب لا يفتحان نفوسهما للشاب فإذاتحدثوا جميعا فحديث عام يتصل بالدنيا العامة . والدنيا التافهة ، وبجوار ذلك خزانة مغلقة يكتمها

الشاب عن أستاذه وأبيه ، وإنما يفتحها لخاصة أصدقائه - فى هذه الخزانـــــه حب وغرام وفيها خطط سياسية ، وفيها أزمات نفسية ، وعلى الجملة ففيــــها أخطر شئ فى حياة الشاب ، وهو لا يفتحها لمن هو أكثر منه تجربة وأوفـــى منه عقلا ، وأعرف منه بالأيام وأحداثها ، لا يفتحها لعالم نفسى ولا لطبيـــب روحى ، ولا لمعلم ولا أب . وإنما يفتحها لشاب مثله لم تعركه الأيـــام ولــم تعلمه الحوادث فيشير عليه بالرأى الفاشل والفكرة الصبيانية .

وتبعة هذا الجفاء ووجود هذه الهوة لا تقع على الشباب وحدهم ، بـــل لابد أن يتقدم الآباء والأساتذة والمعلمون خطوات فى ذلك ويشعروا الشـــبان أنهم يقدرون ظروفهم وحدة شبابهم ، وأنهم لهم نـــاصحون لا مســيطرون ، وأنهم يسوسونهم سياسة الطبيب لمريضه ، لاسياسة الضابط لجنوده .

وبعد فلابد من إيجاد هذه الأنواع الثلاث من العلاج ، والإسراع بـــها وإلا استفحل الداء وعز الدواء . [1]

ناقش احمد أمين فى مقاله (مشاكل الشباب وكيف تعالج) الظواهـــر التى تنتشر بين الشباب فأعلن ضرورة دراستها دراســـة موضوعيـــة وذلــك بمعرفة أسبابها وتحليل الظاهرة إلى عواملها الأوليـــة لتكشف الدواء المناسب والعلاج الفعال عن طريق البحوث العلمية الصريحة الجريئه ثم ضرب مثـــلا بالمشاكل الماثلة بين الشباب :-

* عاطفة الحب وحدودهــــــا
* الواجب السياسى

---

[1] فيض الخاطر - أحمد أمين - مكتبة النهضة المصرية - جـ١٠ ص ٢٧٣ - ٢٧٩ .

أن الشباب يعانى من اضطراب وقلق يتجسد فى مفهوم العلم والسياسة والحب والواجب وارضاء الأهل وإرضاء الأصدقاء ولهذا يجب علاج الشباب لا عن طريق نصح وإرشاد الأباء والأمهات ولكن بواسطة خبراء علم النفس والاجتماع وذلك بإعداد عيادات خاصة تحلل نفسية الشباب وتضع لهم الحلول المناسبة . كما يجب ايجاد علاقة صريحة وواضحة بين المعلميــن والطلبــة وبين الأباء والشبان من أولادهم .

ومن العرض السابق لأفكار المقال تبين إنه يناقش قضيــة اجتماعيــة تمس عماد الأمة وصرحها وهم الشباب الذين تزاحمت أمامهم الهموم فتكاثفت سحب الاضطراب الاجتماعى ومن يتصفح جريدة أخبار الحوادث يقف علــى مشاكل متنوعة مثل أختطاف الأطفال [1] وعمليات للنصــب والاحتيــال (٢) ومع هذه الاضطرابات نجد مقالات اجتماعية تشير إلى وجود بــذور وثمــار الخير فى المجتمع المصرى ففى نفس الجريدة كتب :-

(ابتسامة على شفاه الأيتام)

(٢٠٠ طفل وطفلة على مائدة إفطار رمضانية)[٣]

---

(١)راجع أخبار الحوادث العدد ٤٠٥ الخميس ٢٩ رمضان ٦ من يناير ٢٠٠٠ م ورد على الغلاف صورة لطفل وكتب (اختطاف طفل) وفى ص ٦ (١٠ الاف جنيه حقيقية مقابل ٢٠ الف مزورة) .

(٢)نفس العدد ص ٢٨ حديث عن أمراة تقوم بعمليات نصب واسعة النطاق .

(٣) أخبار الحوادث ص ٢٦ ، ٢٧ العدد ٤٠٥ رئيس مجلس الإدارة إبراهيم سعده ، ورئيس التحرير محمد بركــات .

والجريدة غنية بالمقالات الاجتماعية الواقعية النابعة من آنات وبسمات المجتمع المصرى ولعل أهمها المقال الاجتماعى (القصة الحقيقية لأحداث قرية الكشح بسوهاج) [1]

وبعد ،

فالمقال الاجتماعى روح المجتمع يعبر عن مشاكله ويصور أحداثه ويترجم أفكاره وسلوكه السلبى والإيجابى بوضوح وصراحة وذكاء وموضوعيه .

المقال الديني :-

يسلط المقال الدينى الأضواء على المفاهيم والسلوكيات التى تتصل بالدين فيناقش العقائد ودرجة استيعاب المجتمع لها كما يوضح أصول تطبيق الشريعة من ناحية الحلال والحرام ويبرز كيفية استقبال المستحدثات من الأمور من الزاوية الفقهية الواعية وهذا النمط المقالى يجعله بعض الكتاب رؤية اجتماعية ولكنى آثرت فصله ووضعه تحت عنوان المقال الدينى لوجود صحف تناقش القضايا الدينية على صفحاتها بمساحات واسعة مثل اللواء الإسلامى وعقيدتى وصوت الأزهر[1] والمقال الدينى من أصدق المقالات وأقربها لنفسية الكاتب والمتلقى ولها بذورها منذ العصر الإسلامى إلى العصر الحديث الذى ذخر بالمتميزين من كتابها منهم الرافعى ومن أجمل مقالاته فى

---

(١) ص ٧ أخبار الحوادث العدد ٤٠٥

كتابه الجيد وحى القل مقال (الإشراق الإلهى) [1] وأحمد أمين فى كتابة الفريد (فيض الخاطر ، ومن مقالاته الدينية (الايمان بالله) [2] (محمد رب بيــت)[3] (الإسلام والإصلاح الاجتماعى) [4] ، (سيرة الرسول فى كلمـــة) [5] وأحمـــد حسن الزيات ومن مقالاته (اين المسلمون اليوم من الاســـلام) [6] ، (كيــف أعلن محمد حقوق الانسان) [7] ومن فيض الخاطر لأحمد آمين نتناول مقـــال (الإيمان بالله) قال فيه :-

(يحكى أن رجلا مازال يمعن فى الشك حتى وصل به إلى الإلحــاد ، فحدث يوما صديق بما ساوره من شكوك وما كان من نتيجتها من إلحاد .

فقال له صديقه : ماظنك ملحدا ، لأنى أرى فيك ملامح إيمان .
فأكد له الرجل إلحاده .

ومازال الصديق ينكر ، والرجل يؤكد حتى استفز الملحـــد الغضــب فصرخ قائلا : والله العظيم إنى ملحد هذه القصة تمثل ما ركز فـــى طبيعــة الإنسان من إيمان بإله ، مهما انحرف العقل وطغى المنطق ، ولـــهذا نــرى كثيراً من العلماء قد كفرت عقولهم وآمنت قلوبهم - قد تختلف صــورة الإلـــه

---

(١)وهى القلم - الرافعى جـ٢ ص ٣ : ١٠ .
(٢)[2] فيض الخاطر - أحمد آمين - جـ٤ ص ١٥٦ .
(٣)فيض الخاطر - أحمد أمين - جـ ٤ ص٢٥٣ .
(٤)فيض الخاطر - أحمد امين - جـ ٣ ص١٧٢ .
(٥)فيض الخاطر - أحمد امين - جـ ٣ ص ١٧ .
(٦)وحى الرسالة - أحمد حسن الزيات جـ٤ ص ٩٤-٩٨ .
(٧)وحى الرسالة - آحمد حسن الزيات جـ٤ ص ٥:٨

باختلاف عقلية الأمم واختلافها فى البداوة والحضـــارة ، والعلـــم والجـــهل ، ولكنها كلها تشترك فى النزوع الفطرى إلى إلـــه له القوة والســـلطان وبيـــده الأمـــــر .

لقد جاءت الثورة الفرنسية فرأت ما فعله رجال الكنيسة من اضطـــهاد العقل ، وغلول الفكر ، والتدخل فيما ليس من شأنهم ، وإظلام الحياة حولـــهم فثار رجال الثورة عليهم وعلى دينهم وأعلنوا أنهم يريدون إلغاء الله ، ولكـــن ماذا كان ؟هدأت الثورة وخمدت النار ورجع الناس إلى ربهم ولم بلؤاله، ولكن ألغيت تعاليم الثورة فى هذا الشأن ، لأنها ضد طبيعة الإنسان .

وحاول بعض رجال الثورة فى تركيا إلغاء الدين وإلغاء عبادة الله ، ثم ذهبت دعوتهم مع الريح ، وذهبوا لهم وبقى الدين ، وبقى الناس مع الدين.

وجاءت الثورة الروسية أول أمرها داعيـــة إلـــى إلغـــاء الله وإلغـــاء الحرية وإلغاء فكرة الخلود ثم ما لبث الدين أن عاد ، تغير شكلة وبقى جوهره ، وذهبت تركبته وبقيت بساطته وعلى كل حال فهو الدين وهو الله .

ولكن ماذا لفت الإنسان إلى الله ؟

لفته أولا شعوره والشعور جزء هام فى تكوينه ومصدر صحيح مـــن مصادر معارفه ، وعليه يعتمد فى كثير من شئون حياته ، فما الصداقة ومـــا الأبوة والأمومـــة وما الحب والكره وما الإحسان والإنسانية لولا الشعور ولو انعدم الشعور لكانت حياتنا جافـــة لاطعم ، بل لم تكن حياة أصلا ، فالشـــعور بالله جزء مكون لحياتنا كسائر ما ندرك بالشعور ثم اهتدى إليه بالعقل بعد مـــا

أهتدى إليه الشعور لقد كان من أهم ما استكشفه الإنسان إدراكه أن العالم وحدة ، وانه يتبع نظاما فى منتهى الدقـــة يدركه الإنسان لأول وهلة فى تعاقب الليل والنهار ، والصيف والشتاء وحركات الشمس والقمر ، ثم كلما زاد تعمقه فـــى دراسة الطبيعة ازداد إيمانا بهذا النظام ودقته ، فإذا تبين فى شئ ما فوضـــــى أدرك فيما بعد أن ذلك يعود إلى جهله بقوانينه لا حاجته إلى النظام . وأكـــثر الناس ايمانا بالنظام فى فرع من فروع العلم علماء ذلك الفرع ، فالفلكيون أشد الناس إيمانا بنظام الكواكب ، وعلماء الحيوان فى الحيوان وعلماء النبات فـــى النبات ، وعلماء وظائف الأعضاء فى وظائف الأعضاء ، وأطباء العيون فـــى العيون وهكذا .

كل يدرك أتم نظام وأدقه فى فرعه ، والفيلسوف يدرك ذلك كوحـــدة ، بل يدرك انه لولا نظام ناحية من نواحى العالم ما كان لها علم ، فالعلم معنـــاه جملة من القوانين المنظمة تتعلق بجانب من جوانب الحياة كالنبات ، والحيوان والفلك ، حتى الجسم فى مقاومته المرض يفعل الأعاجيب فى نظامه ، ولـــولا ذلك ما كان طب - ثم كل جزء من أجزاء العالم مرتبط بأجزائـــــه الأخـــرى يخضع هو وهى لنظام عام كعلاقة الخلية فى الجسم بالجسم كلـــــه ، فالعـــالم حروف هجاء وترتبط ألفه ببائه ارتباطا قريبا وألفه وبيائه ارتباطـــا بعيـــدا ، وكلها تكون نظاما واحدا ، وتخضع لقوانين واحده ، حتى إن العــــالم الدقيـــق النظر لو تعمق فى دراسة جزء من أجزاء العالم أعانة ذلك على فهم ســـائر أجزائـــه لشبه القوانين ووحدة النظام وبلغ من دقة نظامه أنه لولا نظامه مـــا من وجد .

وبعد فإذا رأينا آلة تسير جزمنا أن وراءها محر كا حركـــها وعقــلا ديرها وإذا رأينا إنسانا يعمل ويتحرك ويتصرف جز منا أن فيه عقــلا يدبـــر ويصرفه ، فإذا فارقه العقل فارقه العمل والتحرك والتصرف ، فكيف يســـير هذا العالم وفق هذا النظام الذى رأينا ولا يكو ن لـــه عقــل يصرفــه وروح ينظمه. ان الله عقل العالم وروحه ، وهو للعالم كعقلنا فينا ، وقد صدق الأثر " ان الله خلق آدم على صورته " .

أعجب ما فى العالم عقل الإنسان ، ولعل أعجب ما فيه انه استطاع أن يدرك عجائب العالم ، واستطاع ان يتجاوب مـــع عقــل العـــالم الـــذى هـــو وليده وظله .

نحن بين اثنتين : إما أن تكون - كجزء من العالم - خلوا مـــن العقــل والروح والغرض ، والعالم كذلك مادة جامدة لاروح لها ولا مدبر لـــها ، ولا غرض لها ، أو أن تكون لنا روح وعقل وغـــرض ، والعـــالم روح وعقــل وغرض تتجاوب روحنا مع روحه وتتحدد أغراضنا بأغراضه ، والأول الكفر ، والثانى الإيمان ، فإن حكمت بعقلك فقد آمنت بعقلك ، وآمنت تبعا لذلك بعقل العالم وهو الإيمان .

وكما أحكم عقل العالم تدبير العالم ونظامه كذلك أشع عليه من جمالـــه فالعالم مغمور بالجمال فى صغيره وكبيره ودقيقـــه وجليلـــه ، فـــى الســـماء والأرض ، فى النجوم بضيائها ولمعانها ، فى السحاب المسخر بين الســـماء والأرض فى عظمة البحار ، فى جلال الجبال ، فى شروق الشمس وغروبـــها ، فى الطير يطير فى السماء ، فى السمك يغوص فى المـــاء فـــى الحركـــة

والسكون فى الأشكال والألوان الطبيعة جميلة فى كل جزء من أجزائها ، وأجمل من أجزائها جمال كلها ، فليس الكل يساوى الأجزاء فجمال أجزاء الطائرة مفرقة ليس كجمال الطائرة كلها طائرة ولا جمال أجزاء الانسان كجمال الانسان كلا ، إن الطبيعة فى جمالها ككل تسحر العين ، وتأخذ باللب وتملأ القلب روعة ، حتى ليشعر فى وقت صفائه أن هذا فوق أن يوصف ، والألفاظ أعجز من أن تعبر عنه .

وكما كان أكبر قيمة للانسان عقله الذى استطاع به أن يدرك عقل العالم وتدبيرة ونظامه ، كذلك من أكبر قيمته شعوره الجميل الذى استطاع به ان يدرك جمال العالم ، ويتجاوب معه ، ويأنس به ، قد يكون فى بعض أجزاء العالم قبح وكلفه قبح لطيفة لولاه ما استطعنا أن ندرك جمال الجميل.

إن كان تدبير العالم وإحكام نظامه لابد أن يصدر من عقل للعالم منظم فجماله الذى يشع فى دقة لابد أن يصدر عن خالق منسق لقد زعم بعض أصحاب مذهب النشوء والارتقاء أن الجمال نشأ عن قانون الانتخاب الطبيعى وبقاء الأصلح وأن الجمال ، فى الجنس منحة الطبيعة لإغراء الجنس كالأنثى تتبرج للرجل حفظا للنوع ، فإن كان هذا صحيحا فما تفسير جمال الجماد وجمال المناظر الطبيعية ؟

هذا هو الجانب الإيجابى فى الاعتراف بالله وهناك الجانب السلبى وهو لا يقل عنه قوة وإقناعا .

لقد تقدم العلم وتقدم ، واعتز بنفسه وملأه الغرور ومع هذا كله لم يستطع أن يفسر إلا السطح والا المظاهر ما العلة الأولى للخلق من الذى بعث

الحياة فى الخلية الأولى للعالم ؟ كيف تفسر ملايين الحقـــائق فـــى عجـــائب الطبيعة وفى عجائب أنفسنا ؟ .

إن أقصى ما يصبو إليه العلم أن يعرف نصف الحقائق وهو الظـــاهر والإجابة عن (كيف) أما النصف الآخر وهو أقوم النصفيـــن - وهـــو بـــاطن الحقائق ، والإجابة عن "ماهى " لا كيف هى فعاجز كل العجز عنه لا يستطيع أن ينبس فيه بحرف .

إن من يؤمن بالعلم وحده وينكر ماوراءه ومن يؤمن بالقوانين العلميـــة وينكر ماعداها لايؤبه بقوله حتى يقول : إنى استطيع أن أفسر العالم من ألفـــه إلى يائه فأما أن يفســـر محركها ، ويفسر تطور الحياة وتدرجها ولا يفســـــر كيف وجدت لأول عهدها بالوجود فضرب من السخف ، أو هو على أحســـن تفسير كقول الطفل لا أعلم لأنه يريد أن يتعلم .

إنكار العلة الاولى للعالم وعقل العالم الذى يدبره يلقى على عاتقنا عبثا لا نستطيع حمله .

إن العلم فى حقيقة أمره يزيد عجائبنا ولا يحلها هذا الفلكى بعلمه ودقته وحسابه ورصده والآته ماذا صنع؟ أبان بأن ملايين النجوم فى السماء بـــالقوة المركزية بقيت فى أماكنها أو أتمت دورتها . كما أن قوة الجاذبية فى العـــالم حفظت توازنها ومنعت تصادمها ثم استطاعوا ان يزنـــوا الشـــمس والنجـــوم وبينوا حجمها وسرعتها وبعدها عن الأرض ، فزادوا عجبا ولكن ما الجاذبية؟ ولماذا وجدت وما القوة المركزية وكيف نشأت ؟ وهذا النظام الدقيق العجيـــب كيف وجد؟أسئلة تخلى عنها الفلكى لماعجزعن حلها - وأبان الجيولوجىلنا من

قراءة الصخور من ملايين السنين قضتها الأرض حتى بردت وكم الآف من السنين مرت عليها فى عصرها الجليدي وكيف غمرت بالماء وكيف ظهر السطح . وأسباب البراكين والزلازل ، وكذلك فعل علماء الحياة فى حياة الحيوان وعلماء النفس فى نفس الإنسان ، ولكن هل شرحوا إلا الظاهر ، وهل زادونا إلا عجبا ؟ سلهم كلهم بعد السؤال العميق الذى يتطلبه العقل دائما وهو : من مؤلف هذا الكتاب المملؤ بالعجائب التى شرحتم بعضها وعجزتم عن أكثرها ، أتأليف ولا مؤلف ، ونظام ولامنظم وإبداع ولامبدع ؟ من أنشا فى هذا العالم الحياة وجعلها تدب فيه ؟ من عقله الذى يدبره .

إن النشوء والارتقاء لا يصلح تفسيرا للمبدع ، وإنما يصلح تفسيرا لوحدة العالم ووحدة المصدر ، ولكما تكشفت أسرار العالم وتكشفت وحدته ووحدة تدرجه ووحدة نظامه وتدبيره كان الإنسان أشد عجبا ، وأشد إمعانا فى السؤال ، وليس يقنعه بعد كشف العلم عن أسرار العالم وعجزه عن شرحها وتعليلها ، إلا أن يهتف من أعماق نفسه .

" أنه الله رب العالمين " [1]

من العرض النصى السابق يتجلى للقارئ أن المقال يتميز بالخصائص الدينية من خلال الحوار الذى دار بين الرجل الملحد وصديقة فقد ناقش أحمد آمين فى مقاله (الإيمان بالله) قضية الدين مبينا إنه فطرة حيث فطر الله تعالى - بقدرته وسلطانه وعلمه - الإنسان عليها فمهما تعرض الدين الصحيح

---

(١) فيض الخاطر - أحمد آمين - مكتبة النهضة المصرية الطبعة السادسة ١٩٧٤ م جـ٤ ص١٥٦ : ١٦١ .

لمقاومات عنيفة تريد القضاء عليه تذهب مع الرياح وتتلاشى جميع اسـلاحتها ويبقى هو لان الغارس له هو الله سبحانه وتعالــى .

وعلى سبيل المثال ضرب صاحب المقال مثلا بالرجل الــذى أعلــن إلحاده وكيف صرخ بقوله (والله العظيم) دون أن ينتبه مما يدل على نـزوع النفس لله العظيم والخالق العليم فالإنسان بالفطرة يركن إلى خالقه ويتعلق ببابه ليشعر بالأمان والقدرة على الاستمرار الإيجابى من منبع العطاء الإلهى الـذى يفيض على عبادة كافة ويسترسل أحمد امين فى حديثة الدينــى الــذى يميــل لصبغة فلسفيــة واعية فيقول ان الإنسان اهتدى لوجود الله بالشعور ثـم أدرك بالعقل المفكر إلى مدير عظيم واحد فطر عباده على شعور وأحاسيس وقدرات عقليــة تربط بين المقدمات والنتائج كما هداهم لعلاقات متنوعــة شريفة مثل الأمومة والأبوة ، والأخوه ، وصلة الرحم ، وصلة العصب والصداقــة كمــا هداهم سبحانه لحركة الكون وما فيه من قوانين وقواعد دقيقة تعلن أنه الواحـد الأحد المهيمن على اليابس والرطب وما فى السماوات و الأرض وكلما تأ مل الإنسان أدرك إدراك اليقين وحدانية الله فى نفسه وفى العالم من حوله وكلمـا. تعمق فى تحصيل العلوم والمعارف تضاعف إيمانه بالله كـالطبيب والفلكــى وعالم الحيوان وعالم النبات والجيولوجى ، وعالم النفس ، وعالم اللغة ..الـخ. إن كل عالم فى أى مجال يعلن انه لا إله إلا الله ويرى القارئ لمقال (الإيمان بالله) ان المقدمة أعلنت طبيعة الموضوع ثم تناول العرض بالأمثلــة الواقعية للموضوع بترتيب منطقــى وعلاج حى ليصل فى الخاتمة إلــى أن أســرار العالم فى قبضة عظيم واحد إنه الله رب العاليــن .

والمقال دينى يخاطب الشعور ويناجى الأحاسيس ويناقش العقل بتسلسل واضح مقنع [١] .

ولعل المقالات الدينية من أسرع المقالات انتشاراً بين القراء لما فيها من صدق نفسى وجلاء عاطفى وعطاء فكرى يتجدد مع الأحداث والمواقف المحلية والعالمية ومن المقالات الدينية مقال لأحمد حسن الزيات فى كتابة الجيد (من وحى الرسالة) بعنوان (أين المسلمون اليوم من الإسلام) قال فيه:-

(أصبح من المعلوم فى بداية العقل الحر أن الدين الإسلامىهو الصورة الكاملة لشرائع الله ، والقوة المهذبة لقوانين الطبيعة : وضع فيه شارعة الأعظم وهو فاطر الأرض ، وواهب الحياة ومنزل الوحى ، أسس القواعد التى تكفل للعالم نظامه وسلامه ، وللمجتمع وحدته وقوته ، وللفرد وسعادته وكرامتة ، مهما يتطاول الأمد وتتغير الحال [٢].

من غير الله جلت قدرته يفجر نور الهدى للارض من غار مظلم موحش ، ويبجس نبع الحياة للناس من جيل مجدب وعر ؟ وهل كان لولا وحى الله فى عار حراء من جبل النور ، فى مقدور أمى نشأ ربيب اليتم والعدم فى قرية جاهلة من قرى الحجاز المقفر ، أن يعلن فى أوائل القرن السابع حقوق الإنسان وحرياته ، وهى الحقوق التى أعلنت بعضها فرنسا فى أواخر القرن الثامن عشر بعد الثورة ، وأعلنت بعضها أمريكا فى أواسط هذا القرن بعد الحرب ؟

---

(١) لاحمد امين مقال بعنوان الحياة الأخرى ص ١٦٢ جـ ٤ . ، وآخر بعنوان مستقبل الدين ص ١٦٧ جـ ٤ .

(٢) كتب الزيات هذا المقال فى ١٩٥٢/٦/٢٣ / فى مجلة الرسالة .

وما كان لبشر سليم الفطرة أن يستريب فى الدين الذى أكمله الله لنبيه ، ورضيه لخلقه ، ونسبه إلى نفسه ، وهو وحده مصدر الخير المحض ، ومظهر الكمال المطلق ، وسبيل الغاية التى يجد عندها ابن آدم المكدود المجهود نفسا من كربه ، وراحة من تعبه ، وسكينة من اضطرابه ، تلك الغاية التى كان يراها منذ هبط العاصى من الجنة ، حدا لشقائه ، ونهاية لألمه ، فكان يتشوف إليها من وراء الغيوب ، ومن خلال القرون ، فلايراها ، لا فى الحروب التى شن ولا فى النظم التى سن ، ولا فى الشرائع التى اعتقد حتى أراد الله للاغب الضال أن يهتدى ويسترفه ، فكان محمد هو المنار ، وكان الإسلام هو المرفأ ؟ إن من المبادئ التى ميزت الإسلام التوحيد وهو سبيل القوة ، والإخاء وهو سبيل التعاون ، والمساواة وهى سبيل العدل ، والحرية وهى سبيل الكرامة ، والبر وهو سبيل المحبة ، والسلام وهو سبيل الرخاء ، وكل هذه المبادئ معلومة من القرأن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف ، وهى كما ترى تضمن أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية وأجمل ما فى المدينة ، فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وأن تقيم ما اعوج من نظام الدنيا . وقد كانت كذلك يوم كان لحمايتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتقديها يقين فلما دالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا فى فدافد الأرض ، لا مرعى يجود ، ولاراع يذود ، ولا حظيرة تؤوى - ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه .

أين المسلمون اليوم من إسلام عمر وخالد في الحجاز ، والرشيد والمأمون في العراق ، والناصر والحكم في الأندلس ، والعزيز والحكم في مصر ؟ الم يبلغ هؤلاء بفتوح الجيش وفتوح الدين وفتوح العلم وفتوح الخلق من السلطان والعمران ما لم تبلغه أمة من قبل ؟ فنزل على حكمهم الدهر ودخل في ملكهم العالم ؟ إن الدين الذى رفع هؤلاء السادة والقادة إلى الذروة،وضمن للخلافة فى عهودهم العزة والمنعة والقوة ، لا يزل هو الدين الذى لا يغيره الزمن ، ولا تجافيه الطبيعة ، ولا يعاديه العلم ، ولا تنسخه المذاهب ، وإنما الأمر فيه كما قال الرسول صلوات الله عليه :"مثل ما بعثني به الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، كان منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً " .

والمسلمون اليوم هم هذه القيعان ، تحدرت إلى ماركد فيها من سلسلة الوحى عكارات المذاهب الطارئة ، ورواسب العقائد الخاطئة ، فكان منها ذلك الخلط العجيب الذى يعوق عن السعى ويمنع من النظر ويصدر عن الفكر ثم كان من أثره أن ترى اليوم مواطن العروبة والإسلام : مراكش والجزائر وتونس وليبيا ومصر وفلسطين وسورية والعراق وإيران وباكستان والصين وأندونيسيا وسائر جزر الهند الشرقية ، قد أصبحت نهبا مقسما بين دول الاستعمار يتنازعون فيه ، ويتقاتلون عليه ، وليس من أهلها من يقول فيسمع قوله ، أو من يفعل فيخشى فعله ، وإنما هم أشياء كثروة الأرض ، خسارة على المغلوب وربح للغالب .

لقد تغيرت عقائد الإسلام الحرة النقية فى نفوس الكثرة من المســـلمين كما يتغير الشراب الخالص فى الإناء القذر انحلت الأخلاق فلا تتماسك فـــى قول ولا فعل ، وتقاطعت القلوب فلا تتواصل فى دين ولا وطن ، واســـتأثرت النفوس فلا تعف فى صداقة ولا نسب ، واستبهمت المذاهب فلا تستبين بنجـــم ولا شمس ، وأصبحت غاية الدين فى رأيهم مظاهر من العبـــادة لا تخـــدع ، وظواهر من البدع لا تنفع ، وأقاويل من الوعظ لا تدل .

من يصدق أن المسلمين اليوم يفقهون القرآن حق الفقه وهو الكتــــاب المبين الذى يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم إلى صـــــراط مستقيم ، وكل انتفاعهم منه أن يحملوه للحفظ كما تحمل التمائم ، وأن يقـــرأوه للبركة كما تقرأ الأدعية وأن ينشدوه للطرب كما تنشد الأغانى ؟ من يصـــدق أن المسلمين اليوم يقدرون الرسول حق القدر ، وهو الذى قال فيـــه أصـــدق القائلين " وإنك لعلى خلق عظيم " " وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضـــل الله عليك عظيما " وكل ما يمدحونه به أن يرفع المؤذن عقيرته فى الأذان بالصلاة على "مليح الوجه " وان يتغنى منشد سيرته المطهرة بحمرة خدية وسواد عينيه كأن الصباحة والوسامة والراء هى كل.ما يمتاز به محمـــد نبـــى التوحيـــد ، والوحدة ورسول السلام والمحبة ، وداعى الحرية والكرامة !! لقد أنف عبـــد الملك بن مروان ان يمدحـــه ابن قيس الرقيات بقوله :-

يأتلق التاج فوق مفرقـــه   على جبين كأنه الذهب

فقال له : وماذا من الفضل فى تألق التاج ونصاعـــة الجبيـــن ؟ هـــلا مدحتنى بمثل ما مدحت به مصعب بن الزبير إذ تقوله فيـــه :-

إنما مصعب شهاب من الله · تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبريـــاء

ثم حرمـــه عطاءه العمر كله . والفرق بين فضل الرســـول وفضـــل الخليفة كالفرق بين الجبل والذرة ، أو بين الشمس والشرارة !!

من يصدق أن المسلمين اليوم يؤمنون بالإسلام وفيـــــهم مـــن يؤمـــن بالشيوعية وأهلها يزعمون أنهم أعلم من الله بأحوال خلقه ، وأعدل منه فـــــى تقسيم رزقه ، ثم يقولون بكل وسيلة من وسائل القول : كل شئ مشاع ، وكـلى أمر مباح ، وكل إرادة طليقة أو المسلمون يسمعون هذه الأضاليل تبـــث فـــى الإذاعة ، وتنشر فى الكتب ، وتردد فى المجالس ، فيرهفون لها سمع الغبى ، وتدفعهم شهوة الإباحية إلى أن يشتروا الضلال بالهدى ، ويســـتبدلوا الخبيـــث بالطيب ، ويؤثروا أن يكونوا كالذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم والعلة فى كل أولئك هى الجهل التام والعلم الناقص فلـــو أن المسلمين اعتقدوا ربهم اعتقاد المؤمن ، وفقهوا دينهم فقه المقتنـــع ، واتبعـــوا رسولهم اتباع المصدق ، لما أصبحوا فى الحال التى تنبأ بها الرسول صلوات الله وسلامة عليه إذ قال " يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكـــم الوهن " فقال قائل أو من قلة نحن يارسول الله يومئذ؟ قال : لا ، إنكم حينئـــذ لكثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل فقال قائل ، وما الوهن يارســـول الله؟ قـــال حب الدنيا وكراهة الموت " .

" ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ، ولا يكونا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ؟ !!! بلى ، والحمدلله قد أنى للمؤمنين أن يكشفوا عن العيوب غشاوة الباطل ، ويجلوا عن القلوب صدأ الغفلة، فيبصروا الطريق ، ويستبينوا الغاية وإن فى يقظة الوعى الإسلامى التى بدت فى تعاطف المسلمين على البعد وتناصفهم فى القرب ، وتحالفهم على الأحداث ، لأشعة من تباشير الصباح ، قبلها الليل المظلم وبعدها النهار المشرق . ولعل الأزهر وحده هو الذى يملك أن يقوى هذا الوعى ويوجه هذا الشعور إذا عمر الصدور بالإيمان الخالص عن طريق التعليم فى المدارس ، والوعظ فى المساجد ، والنشر فى الصحف ، والحديث فى الإذاعة ، والنظر قبل ذلك كله فيما يقرأ المسلمون من كتب وفيما يقمش المموهون من بدع ، فإن تنقية الدين مما علق به ودس فيه تكشف للناس عن جوهره وتصلهم بروحه والقتام يحجب الشمس ، والقذى يفسد الشراب ، وإن الماء إذا راق ساغ ، واذا ساغ روى [1]

عندما يستقبل القراء عنوان المقال (أين المسلمون اليوم من الإسلام) يدركون انه يتناول حقيقة الإسلام وتعاليمه وأبعاده وفهم أتباعه لقواعده وأصوله وقوانينه وقد قسم الكاتب المقال إلى قسمين :

الأول . يتناول وصف لهذا الدين العظيم فهو :

- دين النظام .
- دين السلامة والسلام .

---

[1] وحى الرسالة – أحمد حسن الزيات – نهضة مصر الطبعة الثانية – ١٩٥٨ ص ٩٤ : ٩٨ جـ٤ .

- دين الوحدة والقوة والإخاء .
- دين السعادة والكرامة
- دين الخير والسكينة والبر
- دين التعاون والرخاء والمساواة .
- دين العدل والحريـــة
- دين الكمال المطلق .
- دين التوحيد .

الدين الذى فجر ينابيع النور وانبثق ليبدد ظلمـــات الجـــهل النفســى فرفرف بأجنحة من النور وكيف لا وقد انطلق شعاعه من جبل النور لينتشـــر فى أجواء العالم وأرجاء الكون بلسان نبى هو الـــهدى والبشـــرى والرحمـــة والنور نبى جهزة الحق بعمله وبصيرته وسلطانه فغرس حبه فى القلوب فمـــا من قلب طاهر يصلى عليه إلا فاضت مشاعره بالإكبار والإجلال والثناء على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى حمل لواء التوحيد والعلـــم والحريـــة والحقوق الإنسانيـــة فى أعلى صورها وأسمـــى معانيها .

الثانى : المسلم فى عهده الأول ثم فى عهده الحديث تناول أحمد حسـن الزيات فى هذا الجزء . المسلمين فى صدر الإسلام فبين ماكانوا عليـــه مـــن تكامل وقوة وشموخ ثم تعرض لحالهم فى العصر الحديث مبينا انصرافهم عن السيادة والعمران وعدم فهمهم الصحيح الواعى للإسلام واستشـــهد بحديـــث الرسول صلى الله عليه وسلم :-

(مثل ما بعثنى به الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضـــا . كان منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثـــير وكـــان منـــها

أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا و سقوا وزرعـــوا وأصـــاب طائفة منها أخرى ، إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً) .

ثم علق الزيات : " المسلمون اليوم هذه القيعان تحددت إلى ماركد فيها من سلسل الوحى عكارات المذاهب الطارئة ، ورواسب العقائد الخاطئة فكـان منها ذلك الخلط العجيب الذى يعوق عن السعى ويمنع من النظر ويصدر عـن الفكر " .

والعبارات السابقة وردت فى عرض المقال وهى تحمـــل صرخـــات العتاب واللوم وتستغيث من الخمول والكسل والاضطراب فقد أفصح الكـــاتب عن رفضه فى قوله (الخلط) ليشير إلى شدة القلق وعظم التدهـــور وكأنـــهم عروش خاوية لا تستقبل ولا تتدبر ولا تستوعب ثم تغلبت على الكاتب غصـة الموقف فيصرخ بأن أمة الإسلام أصبحت نهبا للاستعمار وقد أبدع فى قولـــه (إنما هم أشياء كثروة الأرض خسارة على المغلوب وربح للغالب) فلفظـــة أشياء تحمل من ملامح المرارة والألم والسخرية للموقف السلبى الذى ينتهجـه المسلمون فليس منهم من يسمع له ولا يخشى فعله !!! .

واستمر الكاتب فى مقالـــه الدينى يعرض ما حدث للمسلمين من تفكك وانهيار وضعف وتحير وتشويه نفسى وفكرى ومرجع ذلك عدم الفهم الصحيح لرسالة الإسلام وعدم تقدير لمنزلـــة تعاليمـــه ويضرب لذلك مثـــلا بانتشـــار الخبائث والضلال والجهل ، والفسق .

وينادى الزيات وسائل الإعلام بالصحوة للدفاع عن الإسلام وبث سـبل اليقظة بتغذية الشعور الإيمانى والفكر الإسلامى بالعلم الذى أمرنا الإسلام به.

حتى يشرق الصباح وتنتشر تباشير أنوار النصر وقد ختم الزيات المقال بنداء للأزهر . (ولعل الأزهر وحده هو الذى يملك أن يقوى هذا الوعى ويوجـــه هذا الشعور إذا عمر الصدور بالإيمان الخالص عـــن طريـــق التعليـــم فـــى المدارس والوعظ فى المساجد والنشر فى الصحف والحديث فى الإذاعة) .

وهذا النداء المحمود حققه الله سبحانه فى جامعة الأزهر فهى تســـير بإذن الله حاملة لمشعل الوعى الإسلامى للعالم كله .

ومن الجدير بالذكر أن هذا المقال (أين المسلمون اليوم من الإسـلام) كتبه الزيات فى مجلة الرسالة ١٩٥٢ م . وهى حقبة زمنية انتشـــرت فيـــها سحب الاضطراب فى سماء المجتمع المصرى فلما قامت ثورة يوليو بدأ ابناء مصر صحوة جادة ونهض الأزهر فى كـــل مجالاتـــه وميادينـــه التعليميـــة والإعلامية .

ونسير فى موكب المقال الدينى نستقى من معينه الفياض آيات الخـــير والبشرى وذلك لما للمقال الدينى من صدق شعورى وإبـــداع شـــكلى ومنـــه (كيف أعلن محمد حقوق الإنسان) لأحمد حسن الزيات ، قال :-

(فى شهر ديسمبـــر من عام ١٩٤٩ ، وفى فورة من فورات النفـــاق الدولى ، أعلن الساسة فى (هيئة الأمم المتحدة) حقوق الإنسان ثم احتفلـــوا واحتفل معهم الناس بالذكرى الأولى لهذا الإعلان منذ عشرين يوما ، فبشـــروا بالنعيم المقيم والخير العميم والسلام الدائـــم ومـــن قبـــل هـــؤلاء الساســـة "الانسانيين " أعلن قادة الثورة الفرنسية هذه الحقوق عام ١٧٨٩ وصاغوها فى سبع عشرة مادة جعلوها ديباجـــة لدستور سنة ١٧٩١ م .

ومن السهل على الذهن الاجتماعى أن يعلل صيحة الثوار الفرنسيين بحقوق الإنسان بعد ان كابدوا ما كابدوا من استعباد النبلاء واستبداد القس ، وأن يفسر احتضان هيئة الأمم المتحدة لهذه الحقوق بعد أن رأت الحوت الشيوعى معترضا فى خضم الحياة وقد فغرفاه الهائل المروع ليتقم الديمقراطية الرأسمالية وما تسيطر عليه من أزراق الناس وأسواق العالم بالاستعمار أو بالنفوذ ولكن من الصعب على الذهن المنطقى أن يدرك ما يريده الأوربيون والأمريكيون من لفظ (الإنسان) الذى أعلنوا له هذه الحقوق وظاهروا عليه هذا العطف .

أغلب الظن أنهم يريدون بإن هذه الحقوق ذلك الإنسان الأبيض المترف الذى تحدد من أصلاب اللاتين أو السكون أو التوتون ، أما الإنسان الأحمر فى أمريكا فهو فى رأى أبناء العم سام ضرب مهين من الخلق عليه كل واجب وليس له أى حق ، ولكن وجوده المعدوم فى بلاد الديمقراطيين الأحرار لا يزال فى رأى المسلمين أغلظ كذبة فى دستور الديمقراطية بواشنطون ، وأكبر لعنة على تمثال الحرية بنيويورك .

وأما الإنسان الأسمر والأسود فى أفريقيا أو الأخضر والأصفر فى أسيا فهو فى نظر الفرنسيين والإنجليز نوع من بهيمة الأنعام ، وجنس من المواد الخام ، يولد ليسخر ويروض ليستثمر ، وينتج ليستهلك ، وهو موضوع الخصومة فى السلم ، ومادة الغنيمة فى الحرب ، ولكن حقه المهضوم بين أمم العلم والدستور لا يزال فى نظر المسلمين اتهاما لصحة الثقافة فى جامعات فرنسا وانكار لحقيقة العدل فى برلمان انجلترا ! ومن هذا التفسير المزور طعن الإنسان فى القديم والحديث اضطراب الأساس وفسد القياس واختلف التقدير فلكل جنس وزنه ، ولكل لون قيمته ، ولكل دين حسابه . ومدار الوزن

والتقويم والحساب على قدرة الإنسان وعجزه لا على إنسانيته وفضله : فالعلم والغنى والقوة سبيل السيادة والجهل والفقر والضعف سبيل العبودية والسيادة حق ليس بازائه واجب ، والعبودية واجب ليس بإزائه حق .

المسلمون وحدهم هم الذين يفهمون الإنسان بمعناه الصحيح لأنهم اتباع "محمد" ومحمد وحده هو الذى أعلن حقوق الانسان بهذا المعنى لأنه رسول الله والله وحده هو الذى الهم رسوله هذه الحقوق لأنه أرسله رحمة للعاملين كافة أرسله رحمة للذين استضعفوا فى الأرض لقلة المال كالمساكين أو لفقد العشيرة كالموالى ، أو لضعف النصير كالأرقاء او لطبيعة الخلقه كالنساء ، فكفل الرزق للفقير بالزكاة ، وضمن العز للذليل بالعدل ، يسر الحرية للرقيق بالعتق وأعطى الحق لمرأة بالمساواة .

والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالة محمد لم يكونوا من جنس مبين ولامن وطن معين وانما كانوا أمة من أشتات الخلق وأنحاءالأرض اجتمع فيها العربى والفارس والرومى والتركى والهندى والصينى والبربرى والحبشى على شرع واحد هو الإسلام ، وتحت تاج واحد هو الخلافه والإسلام يقول شارعه العظيم " ولقد كرمنا بنى آدم " لم يخص بالتكريم لونا دون لون ولا طبقة دون طبقة ، إنما ربًّا ببنى آدم جميعا أن يسجدوا لحجر أو شجر أو حيوان وأن يخضعوا مكرهين لجبروت كاهن أو سلطان .

كان اليهود يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه وسائر الناس سواء والعدم!!!

وكان الرومان يدعون أنهم حكام الأرض وماسواهم خداع وكان العرب يقولون انهم أهل البيان وما عداهم عجم او كان الهنود يعتقدون أن الله خلق البراهمة من فمه والزجبوت من عضده والمنبوذين من رجله ولا يستوى الأمر بين رأس وكتف وقدم ! وكان النظام الاجتماعى كله قائما على الامتياز بالجنس أو بالدين وعلى السيادة بالنسب أو بالمال حتى جاء محمد اليتيم الفقير الأمى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فأعلن المساواة بقول الله عز اسمه " إنما المؤمنون إخوة " " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عنداالله أتقاكم " وأكدها بقولة صلوات الله عليه .

" الناس سواسية كأسنان المشط " " لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى كلكم لادم وآدم من تراب " .

كان الرقيق والمرأة شيئين من الأشياء لا يملكان ولا يتصرفان فضيق الإسلام حدود الرق ، وجعل كفارة الذنوب على الصدقة والعتق ، وسوى بين الرجال والنساء فى الحق والواجب .

ثم اعلن حرية العقيدة بقوله تعالى :" لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى "" ولو شاء ربك لامن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟" .

واحترم عقائد أهل الكتاب وضمن لهم حرية العبادة وأمان العيش وعدل القضاء ، وأمر الولاة أن يرعوهم ويعطفوا عليهم ، وأوصى المسلمين أن يبروهم ويقسطوا إليهم ثم أعلن الإسلام حرية الفكر والرأى فلم يقبل أيمان

المقلد ولا حكم المستبد وأمر بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ووسع صدره لأهل السياسة حتى تعددت الأحزاب ولأهل الجدل حتى كثرت الفرق ولرجال الفقة حتى تنوعت المذاهب وسمح لأهل الذمة وأصحاب النحل ان يدعو إلى أديانهم ويدفعوا عنها فى المدارس والمجالس والبيع ، ونهانا الآ نجادلهم الا بالتى هى أحسن .

ثم احترم الملكية وثبت لها الأصول ، ونظم المواريث ورتب عليها التعامل وهذه هى جماع الحقوق الطبيعية التى كفلها الإسلام للإنسان على اختلاف ألوانه وأوطانه وألسنته أعلنها محمد بن عبدالله منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن ، والأمر يومئذ للجهالة ، والرأى للضلالة ، والحكم للطغيان ، فانقذ بها الإنسانية من إسار المادية والعصبية والأثرة ثم أكرمها ونعمها وهداها الطريق المستقيم إلى نظام أكمل وعالم أفضل وحياة أسعد ولكن الإنسانية وأسفاه أضلت هذه السبل ! أضلها اولئك المنافقون الذين يعلنون لها اليوم هذه الحقوق ، وهم يسردن فى أنفسهم تأكيد الامتيازات وتأييد الفروق)[1]

ناقش المقال الدينى السابق قانون حقوق الانسان الذى أعلنه السياسيون فى هيئة الأمم المتحدة وقد أطلق حسن الزيات عليه صفة النفاق وربط بين هذه الصفة وبين نظرة أوربا وأمريكا للإنسان الذى يتبلور فى جنس خاص مترف وهو المنحدر من أصلاب اللاتين والسكسون أو التوتون أما الأجناس الأخرى فى أمريكا فهى مهانة لا قيمة لها كما عرض الكاتب بمعنى تمثال الحرية ويستمر الكاتب فى حواره الفكرى الجيد مع المتلقى حول أفكار أمريكا

---

(١) وحى الرسالة – أحمد حسن الزيات طبعة ١٩٥٨م الطبعة الثانية – مكتبة نهضة مصر – جـ٤ ص ٥ : ٨ .

وأوربا لقيمة الإنسان الحقيقية حتى يصل إلى نتيجة استنبطها من حواره الايجابى (فالعلم والفن والقوة سبيل السيادة والجهل والفقر والضعف سبيل العبودية ، والسيادة حق ليس بازائة واجب والعبودية واجب ليس بازائه حق). ثم يرفع الكاتب صوته بعزة وشموخ معلنا ان المعنى الصحيح للإنسانية ولحقوق الإنسان بالمعنى الصحيح يدركها المسلمون لانهم أتباع (محمد) صلى الله عليه وسلم لانه الهم من قبل الخالق العظيم الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون رحمة للعالمين كافة وقد أبدع الكاتب فى هذا المقال الدينى عندما قال (لأنه رسول الله والله وحده هو الذى ألهم رسوله هذه الحقوق لأنه أرسله رحمة للعالمين كافة ارسله للذين استضعفوا فى الأرض لقلة المال كالمساكين او لفقد العشيرة كالموالى ، أو لضعف النصير كالأرقاء أو لطبيعة الخلقة كالنساء ، فكفل الرزق للفقير بالزكاة ، وضمن العز للذليل بالعدل ، يسر الحرية للرقيق بالعتق وأعطى الحق للمرأة بالمساواة) .

وهذه المعانى السابقة أعلن فيها كاتب المقال أن القانون الذى وضعته أوربا وأمريكا لحماية حقوق الإنسان وضع لحماية جنس مترف فهو قانون تابع من الهوى لأنه بشرى أما القانون الإلهى الذى علمه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقد ضم الإنسان كافة فى كل بقاع الأرض فهو قانون يحكم الجميع وقد جاء لنصرة الضعفاء أما القانون البشرى فقد قعد ليحفظ للمترفين والمتجبرين أساليبهم الطاغية وقد أحسن الكاتب عندما صرح فى مقاله الدينى أن الإسلام جمع بين دفتيه أمة من أشتات الخلق وجعل لهم النظام التشريعى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حيث نظم الحقوق

والواجبات والحريات وخاصة حرية العقيدة ، وحرية الفكرة وحرية الـرأى فانقذ البشرية من الضلال والجهل والطغيان وضمن للإنسان آدميته وحرمتـه على اختلاف الوانه .

ويختم الكاتب مقال (كيف أعلن محمد حقوق الإنسان) بقوله

(اولئك المنافقون الذين يعلنون لها اليوم هذه الحقوق ، وهم يسرون فى أنفسهم تاكيد المتيازات وتأييد الفروق)

والخاتمة قوية مثيرة نبهت الفكر وأيقظت النفس وكأنه أضاء الشعلة فى المقدمة لتينر طريق السير فى عرض الأفكار وتتوهج فى جميع معاينها ثـم يهدأ الضوء بعد كشف البئية الحقيقة لأصحاب حقوق الأنسان بذكاء منطقـى وشعور صادق وإبداع فى العرض .

وللمقال الدينى روعته وجلالـه وثماره يدرك المتلقى هذا من تنـوع الصحف التى تحمل السمة الدينيـة كما يدركها من انتشاره علـى صفحـات الجرائد اليوميـة والأسبوعيـة - الخ وعلى سبيل المثال ما تنشـره .

صحيفة (صوت الأزهر) التى تعالج قضايا الفكر العـالمى مـن الزوايـا الإسلامية الواعية فيجد القراء فيها مقالات دينيـة لفضيلة الأسـتاذ الدكتـور شيخ الأزهـر يعرض الأبعاد الاجتماعية والفكريـة والسياسية والنفسيـة

والايمانية لتعاليم الإسلام وفضل الصدق والاخلاص والتوبة والرحمة فى تنفيذ الأصول والقواعد الاسلامية [١] .

كما يجد على ساحتها مقالات تتناول أثر التمسك بالسنة النبوية وطاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم على الفرد والمجتمع لفضيلة الأستاذ الدكتور عمر هاشم [٢] .

وتنشر الصحيفة أيضا مقالات دينية لشيخ محمد متولى الشعراوى [٣] مثل (تفضيل الابن الصغير) ، (لولا حساب الآخره) ، (رائحة فم الصائم)

---

[١] صوت الأزهر العدد (١) ١ – ١٠ – ١٩٩٩ م .
العدد (٢) ٨/١٠ – ١٩٩٩ م .
الى العدد (١٧) ٢١/١ – ٢٠٠٠م .

[٢] وصوت الازهر العدد(١) ١/١٠/١٩٩٩ م .
(٢) ٨/١٠/١٩٩٩م .
(٣) ١٥/١٠/١٩٩٩م
إلى العدد (١٥) ٢٤/١٢/١٩٩٩م.
وفى العدد (١٥) تحدث سيادته عن ١٨٠ حديثا فى الشفاعة وحدها
العدد (١٨) ٢٨/١/٢٠٠٠ م .

[٣] العدد (٢) ٨/١٠/١٩٩٩ م .
العدد (١٣) ٢٤/١٢/١٩٩٩
العدد(١٦) ١٤/١/٢٠٠٠ م
العدد (٤) ٢٢/١٠/١٩٩٩ م .
العدد ٣١/١٢/١٩٩٩م .
العدد (١٨) ٢٨/١/٢٠٠٠ .

، (هذه صفات سيد ولد آدم) ، (مقاييس الزمن فى الدنيا) [1] ... الخ. كما تشرق الصحيفة بمقالات ايمانية لفضيلة الأستاذ الدكتور طه مصطفى أبو كريشة تتناول تأملات نورانية من فيض أسرار آيات الله جل علاه فى الدعاء ومنها (الحمدلله)[2] ، (ربنا لا تؤاخذنا) [3] ، (وقالو سمعنا وأطعنا) [4] ، (ربنا لا تزغ قلوبنا) [5] .

(ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) [6] ... الخ . (ربنا إننا آمنا) [7] وتتنوع المقالات الدينية فى موضوعاتها فتنشر الحوار الفكرى للتشريع والمسائل الفقهية التى يستفسر عنها القراء فى عرض ايجابى موضوعى مثل المعجم الفقهىلفضيلةالأستاذ الدكتور عبد الحى غرب وقد عالج فى مقالاته

---

(1) العدد (٢) ١٩٩٩/١٠/٨
العدد (٤) ١٩٩٩/١٠/٢٢ م .
العدد (١٣) ، ١٩٩٩/١٢/٢٤ م
العدد (١٤) ١٩٩٩/١٢/٣١ م .
العدد (١٦) ٢٠٠٠/١/١٤ م .
العدد (١٨) ٢٠٠٠/١/٢٨ م .
وبه مقال دينى للشيخ الشعراوى بعنوان أفضل نموذج لطلاقة القدرة راجع العدد(١٨).
(2) العدد (١٤) ١٩٩٩/١٠/٢٢م .
(٣) العدد(١٣) ١٩٩٩/١٢/٢٤م.
(٤) العدد (١٥) ٢٠٠٠/١/٧ م .
(٥) العدد ٢٠٠٠/١/١٤/١٦ .
(٦) العدد ١٨-٢٨-١ /٢٠٠٠.

(الفرق بين الغرض والواجب)[1] (وفرض العين وفرض الكفايـــــة) [2] ، (الفساد والبطلان) [3] (الاعتكاف)٤ ، (زكاة الفطر) [5] ... الخ .

وتطالعنا الصحيفة بطابع دينى متجدد فتنشر مقالات تربط بين الإعلام الإسلامى والمجتمعات العالمية مثل مقالات لفضيلة الأستاذ جمال النجار منـــها (الإعلام الإسلامى والغزو الثقافى) [6] وهناك مقالات دينية تحمـــل الصفـــة الإعلامية وتتميز بالحوار الجماهيرى مثل مقالات (لوجه الله) التى يكتبها .

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد وهدان ومنها :-

(حكاية أم صالحة) [7] ، (ولمـــاذا الغـــراب بـــالذات) [8] (يـــادائم المعروف)[9] . (بركة الرزق) [10] .

وهكذا فالمقال الدينى يعالج القضايا المتعلقة بالشرع والفكـــر والنفـــس والوجدان والحياة الاجتماعية ويكشف عن أسباب الأحكام الفقهية ومالها مــــن

---

(١)العدد (١) ١٩٩٩/١٠/١ م .
(٢)العدد (٢) ١٩٩٩/١٠/٨ م .
(٣)العدد (٤) ١٩٩٩/١٠/٢٢م.
(٤)العدد (١٣)١٩٩٩/١٢/٢٤م.
(٥)العدد (١٥) ٢٠٠٠/١/٧ م .
(٦)العدد (٤) ١٩٩٩/١٠/٢٢م.
(٧) العدد (٣) ١٩٩٩/١٠/١٥م .
(٨) العدد (٤) ١٩٩٩/١٠/٢٢م .
(٩) العدد (١٦) ٢٠٠٠/١/١٤م .
(١٠) العدد (١٨) ٢٠٠٠/١/٢٨.

آثار إيجابية فى البناء الاجتماعى المحلى والعالمى وبهذا فالمقال الدينـى روح الأسرة ونبض المجتمع وشريان تقدمها ومن هذا المنطلق نجد أن كتابها مـن الذين يتمتعون بثقافة دينية عالية وفكر متفتح وحذر فـى عـرض الأفكـار ومناقشة الأراء لانهم يحملون على أعناقهم أمانة الدعـوة الإيمانيـة ونشـر الصحوة من منظور إسلامى يرتكز على الاستيعاب الواعى للأصول والقواعد الشرعية .

وقد ذكرت فى العرض بعض كتاب المقال الدينى الذيـن يحرصـون على منزلة الإسلام ومنزلته الشريفة ضـد أى تيـار يحـاول مـس كيانـه الرفيـع .

المقال النقـــدى :-

الأدب فن من الفنون الحية المتجددة فهو يسرى فى وجدان المجتمـــع مصورا انفعالاته وعواطفه وهواجسه ومعبرا عن متطلباته وتطلعاته الماديـــه والمعنويـــة .

والأدب فن يجمع بين الحواس النطق والسمع والبصر والفـــؤاد فـــهو يكتب للقراءة ويذاع ليسمع ويجسد على الشاشة فيشـــاهد فينـــاجى المشـــاعر ويحرك الوجدان لأنه يجمع فى رحابه الروايـــة والأقصوصـــة والمســـرحية والمقال بأنواعه والشعر الغنائى الموزون المقفى والشعر الحر والمرسل أمـــا موضوع الكتاب فهو عن فن المقال الذى يسطر بإسلوب منهجى يختلف عـــن الفنون الادبية الاخرى من حيث الكم والكيف مع تحقيق الهدف من كتابتـــه الا وهو الامتاع والاقناع من خلال التشويق والإثارة والسلامة التعبيرية .

والأدب والنقد صنوان فطالما وجد الأدب وجد النقد الذى يعد الضـــوء الهادى والحافز الإيجابى للرقى الأدبى . ولهذا فالمقالات النقدية هى صحـــوة أدبية وقد آثرت الحديث عن الأدب فى مطلع الإشارة إلى المقال النقدى لأنـــه يكتب عقب تيارات ونزعات وصيحات وأصوات أدبية ليبدأ بوجودهـــا علـــى الساحة مرحلة التقيم والتقويم وهى مرحلة العطاء النقدى للأدب ومن المقالات النقدية الهادفة مقال (العزلة فى العلم والأدب) لمحمد المويلحى [1]

---

[1] محمد بن ابراهيم عبد الخالق بن ابراهيم المويلحى (١٨٧٨ - ١٩٥٤) م أديب فى إنشائه إبداع اشتهر بكتابه عيسى بن هشام نشر بحوثا ومقالات كثيرة فى الصحف المصرية تعلم فى الأظهر وأنشا مع أبيه جريدة مصباح الشرق . الاعلام - دار العلم - بيروت - جـــ٥ - ص٣٠٥

قال عيسى بن هشام (واعتزلت بالباشا مدة من الدهر ، نستملح العزلة ، ونستعذب عليها الصبر ، ونعيش فيها عيش الحكماء ، من حسن الرضـــاء ، بحسن الاكتفاء ، ونستروح راحة البعد عن هـــذا العـــالم وأذاه ، وإغمـــاض الجفون على قذاه ، مؤتنسين كل الائتناس ، بالوحشة من الناس ، بعد الـــذى شهدنا من أعمالهم ورأينا ، وسمعنا من أقوالهم ورعينا ، وقاسينا من عشرتهم ما قاسينا :

عوى الذئب فاستأنست للذئب أذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيـــر

إن سالمتهم حاربوك ، وإن وادعتهم ناصبوك ، وإن صادقتهم خـــانوك ، وإن واثقتهم كادوك ، وإن خالطتهم لا تأمن الاعتداء ، وإذا مازجتهم لا تعـــدم الافتراء . وإذا طالبتهم بحق فإنك لا تسمع الصم الدعاء .

فلو خبرتهم الجوزاء خبرى لما طلعت مخالفة أن تكادا

ولو أنك لم تخالطهم إلا فى مجال أنسهم وصفوهم ، ومعـــاهد لعبـــهم ولهوهم ، لم تجن منها إلا كل ما يبعد وينفر ، وينغص ويكدر ، تدخلـــها إذا دخلتها مستروحا مستبشرا ، وتخرج عنها مستقبحا مستنكرا ، فعيشتهم فى كلتا الحالتين قرارة معايب ، ومجتمع نقائص ومثالب ، ومنابت أكدار ، وينـــابيع أضرار ، ولا راحة فى الدنيا إلا لمن تنسك وتزهد ، ولا سلامة من الخلق إلا لمن اعتزل وتوحد ، وأبعد الناس عن معاشرة البرايا ، أقربـــهم إلـــى كـــرم السجايا.

بعدى عن الناس برء من سقامهم وقربهم للحجا والدين أدواء

كالبيت أفرد لا إيطاء يدركـــــه ولا سناد ولا فى اللفظ إقواء .

وعكفت مع الباشا فى عزلتنا ، أذهب به كل مذهب ، وانتقل بـــه مـــن مطلب إلى مطلب ، فى مطالعة الأسفار والكتب ، من تـــاريخ وأدب ، ومـــن حكم متينة قويمة ، وشتى علوم حديثة وقديمة ، أهدية من كل طرف بطرفه ، وأتحفه من كل باب بتحفة ، وأجتنب معه ما يدعو إلى الضجروالملل ، ويدنى من الكد والكلل ، فتارة أخوض معه عباب البحار ، وطورا أجتاز به ســـراب القفار ، فترى من يحرق فى البحر مراكبه ، ليحمل على اقتحام المنايا كتائبـــه ، ونسمع الشاعر فى القفر يحدو بناقته ، ويشبب بمعشوقته ، ثم لا يعقد به ذل الغرام ، عن التفاخر بعز الكرام ، ولا ينسيه ذكر الهوى ، مواقـــف الحتـــف والردى ، فيخلط بالغزل الفخر ، ويخاطب صاحبته من جوف الفقر .

أنا محيوك يا سلمى فحيينـــا	وإن سقيت كرام الناس فاسقينـــا
وإن دعوت الى جلى ومكرمة	يوما سراة كرام الناس فادعينـــا
أن تبتدر غاية يوما لمكرمـــة	تلق السوابق منا والمصلينـــــا
وليس يهلك منا سيد أبـــــدا	إلا افتلينا غلامـــا سيدا فينـــــا
إنا لترخص يوم الروع أنفسنا	ولو نسام بها فى الأمن أغلينـــا
بيض مفارقنا تغلى مراجلنـــا	نأسو بأموالنا آثـــــار أيدينـــــا
إنى لمن معشر أفنى أوائلهـــم	قيل الكماة الا أين المحامونـــا
اذا الكماة تنحوا أن يصيبهـــم	حد الظبات وصلناهـــا بأيدينا

وترى الناقة تطرب تحته إلى مواطنها ، وتشتاق إلى معاطنها ، فتحن حنينة ، وتئن أنينه ، وكلما رآها تشكو مثل شكواه وتصغى بأذنها إلى نجواه ، وتـــردد برغائها صداه ، وتستعده بترجيعها فى هواه ، تأوة وتنهد ، وترنم فأنشد :-

لقد زاد فى طيف الخيال فهاجنى فهل زار هذى الابل طيف خيال
لعل كراها قد أراها جدابهـــا ذوائب طلع بالعقيق وضـــال
ومسرحها فى ظل أحوى كأنهـا إذا أظهرت فيه ذوات حجـــال
تلون زبورا فى الحنين منـــزلا عليهن فيه الصبر غير حـــلال
وأنشدن من شعر المطايا قصيدة وأود عنها فى الشوق كـل مقال

ثم ننتقل إلى مشاهدة المعامع المشهورة ، والوقائع المذكورة ، فـنرى الدماء تجرى أنهارا فى الوديان ، والمهج تسيل انحدارا من مسايل الأبـدان ، والموت واقفا يحصد الرؤوس ، ويجنى نفائس النفوس ، والفارس يمشى فـى الصفوف مشية الخيلاء ، ويطعن برمحه كل طعنة نجلاء ، ثـم ينشـد فـى وصف أثرها ، وبعد غورها :

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائـر لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
ملكت بها كفى فأنهرت فتقهـــا يرى قائم من دونها وراءها
يهون على أن ترد جراحهـــا عيون الأواسى إذ حمدت بلاءها

وتذكو شعلة الحرب ، فلا تنطفئ نارها ، ولا يخمد أوارها ، إلا وقـد غادرت النساء أيامى ، والأطفال يتامى ، والأموال نهبا منهوبا ، والأعـلاق سلبا مسلوبا . والمدائن خالية خاوية ، والقصور بائدة بالية ، والحرب ينخـذل فيها القوى لأوهى سبب ، وينتصر الضعيف من حيث لا يحتسب ، فكم دالـت بها الدول ، ودارت الدوائر ، وانثلت العروش ، وسقطت الممالك بعد لـواء العز المعقود ، وبساط المجد الممدود ، وبعد ذلك التنـاهى فـى العظمـوت والتمادى فى الجبروت ، وبعد أن لم يكن يدور فى الوهم سقوطها ، ويخطـر

فى الخيال هبوطها . كل ذلك يكون أسرع فى لمح البصر ، إذا نزل القضاء وحم القدر ، وكل ملك مهما امتد ظله زائل وعند التناهى يقصر المتطاول .

ثم أدخل به فى مطالعتنا إلى حلقة حكيم واعظ ، بسلب الألباب بقوة بيانه ، ويخلب العقوب بضوء برهانه ، ويسترق النفوس بطلاقة لسانه ، ويقول فى حقارة الغنى وهوانه .

" أيها الناس ، والله لدنياكم هذه أهون عندى من عراق كلب فى يد مجذوم" .

" والمخير بين أن يستغنى عن الدنيا وبين ان يستغنى بالدنيا ، كالمخير بين أن يكون مالكا أو مملوكا .

من سره الا يرى ما يسوءه   فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا "

" والحياة الطيبة هى حياة الغنى ، والغنى هو القنوع ، لأنه إذا كان الغنى ، عدم الحاجة إلى الناس ، فأغنى الناس أقلهم حاجة إلى الناس ، ولذلك كان الله تعالى أغنى الأغنياء :

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة   فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

ويقول فى محاسن الأخلاق :" الجود حارث الأعراض ، والحلم فدام السفيه ، والعفو زكاة الظفر ، والاستشارة عين الهداية ، وأشرف الغنى ترك المنى ، وكم من عقل اسير عند هوى أمير ، ومن التوفيق حفظ التجربة ، ومن لا عوده كثفت أغصانه ، ومن لانت كلمته وجبت محبته .

ويقول فى مساوئ الصفات :" الكاذب فى نهاية البعد من الفضل والمرائى أسوأ حالا من الكاذب ، لأنه يكذب فعلا ، وذلك يكذب قولا والفعل

آكد من القول ، فأما المعجب بنفسه فأسوا حالا منهما لأنهما يريـــان نقـص أنفسهما ويريدان إخفاءه ، والمعجب بنفسه قد عمى من عيوب نفسه فيراهـــا محاسن ويبديها . وإنى لأعجب للبخيل يستعجل الفقر الـذى منــه هــرب ، ويفوته الذى إياه طلب ، فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الأخـــرة حساب الأغنياء ، وأعجب للمتكبر الذى كان بالأمس نطفة وفى الغد جيفـــة ، وأعجب لمن يغفل صبره،ويشكو إلى الناس دهره،فإن كان عدواسره، وإن كان صديقا أساءه ، وليس مسرة العدو ولا مساءة الصديق بمحمودة .

ولا تشك الى خَلقٍ فتشمته شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

والعجز عجزان : أحدهما عجز التقصير وقد أمكن الأمر ، والثـــانى الحد فى طلبه وقد فات .

ويقول فى ذكر الحياة والموت :" إنما المرء فى الدنيا غرض تنتضـــل فيه المنايا ، ونهب تبادره المصائب ، ومع كل جرعه شرق ، وفى كل أكلـــة غصص ، ولا ينال العبد نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يستقبل يوما من عمـــره إلا بفراق آخر من أجله ، فنحن أعوان المنون ، وأنفسنا نصب الحتوف ، فمن أين نرجو البقاء ؟ وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شئ شرفا إلا أسرعا الكـرة فى هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا ، وعجبت لمن نسى الموت وهو يرى مـــن يموت .

ويقول فى وصف العلماء : " الخير من العلماء مـــن يـرى الجـاهل بمنزلة الطفل الذى هو بالرحمة أحق منه بالغلظة ، ويعذره بنقصه فيما فـرط منه ، ولا يعذر نفسه فى التأخر عن هدايته " .

ثم يختم وعظة بقوله :

الديـــن إنصافـــك الأقـــوام كلهم وأى دين لآبى الحق إن وجبا
والمرء يعييه قود النفس مصحبةً للخير وهو يقود العسكر للجبا
اللهم اكفنى بوائق الثقات ومكايد الأصدقـــاء .

ثم أنتهى بصاحبى إلى مجلس محاضرات بين الأدباء ، ومفاكهات بين الندماء ، فنقرأ من لطيف بوادرهم ، ورقيق نوادرهم ، ما ينير ظلمة الفهوم ، ويجلو صدأ الهموم :

لفظ كأن معانـــى السكـــر تسكنـــه فمن تحفظ شيئا منه لم يُفُـــق
جزل يشجع من وافى له أذنـــــــا فهو الدواء لداء الجبن والقلق
إذا ترنـــم شـــاد للجبـــان بـــــه لاقى المنايا بـــلا خوف ولافرق
وإن تمثل صاد للصخور بـــــنـــه جادت عليه بعذب غير ذى رنق

وهكذا قضيت مع الباشا زمنا ليس بقصـــير ، أســتخرج لـــه نفـــائس الأعلاق من بطون الأوراق ، وأقتطف معه زهر الأدب العاطر ، من حدائـــق الكتب والدفاتر ، إلى أن قال لى ذات يوم ، بين ندم ولوم .

الباشا – إن أعظم ما آسف عليه اليوم تلك الأيام التى أضعتـــــها مـــن سالف عمرى ، فيما لا يجدى ولا يفيد من مشاغل الدهر وملاهى العيـــش ، وياليتنى كنت قصرت همى منذ صباى على مثل هذه المعيشـــة ، مـــع هـــذا التفرغ لاجتناء فوائد العلوم ، واقتناء فوائد الآداب ، مغتبطا سعيدا ، لاحاســدا ولا محسودا ، أنتقل من مطالعة الكتب ، إلى مذاكرة العلماء ، ومن مذاكـــرة العلماء ، إلى مسامرة الفضلاء ، ومن مسامرة الفضلا ، إلى مطارحة الأدبـاء

. والله يعلم أن أسفي ليزيد شدة ، وأن ندمي ليعظم حدة ، كلما تذكرت ما كانوا يحدثونني به في أيام دولتي عن مجالس العلم والأدب ، فما كنت آبه ولا أنتبه إليها ، وكنت أظن أهلها قوما من أهل الكسل والفراغ ، يجلسون للدفاتر والكتب ، كما تجلس النساء للغزل والردن . والحمد لله الذي أرشدني إلى الهدى آخر الدهر ، فعلمت مقدار هذه النعمة التي حببت الى الحياة ثانية . وهونت على احتمال متاعبها ، وما إخالك تبخل على بعد الآن - وقد علمت نفع ذلك لي - بمداومة السير معي في هذا الطريق الحميد ، وما أرى من يأس في أن نترك هذه العزلة حينا بعد حين ، للاجتماع بالناس في مجالس الأدب ، ومجامع الفضل ، وأندية العلم ، لنتذاكر ما نطالعه ، ونأخذ عنهم ما يحفظونه ، وقد زالت المخاوف ، واطمأنت الخواطر ، بزوال الأوبئة والطواعين ، و الحمد لله رب العالمين .

عيسى بن هشام - لا تطمعن أيها الأمير - دفع الله عنك المكاره - في مثل هذه المجالس ، فقد طوتها الأيام ، ورمستها الليالي ، ولم يبق اليوم من يأنس اليها وينافس فيها .

الباشا - يكون ذلك ؟ وأنا لا أزال أسمع ما تزعمونه من كثرة المدارس الأن ، وانتشار العلوم والفنون ، وتعدد الطالبين ، وسهولة الحصول على الكتب ، ووفرة المطابع ، وإطلاق الأفكار من القيود ، وأين هذا مما كنا عليه في الزمن الأول من تعسر الوصول إلى الكتب ، وتعذر استنساخها لضن أربابها كأنها لديهم خفايا الكنوز ؟ حتى لقد كان الجهلاء الذين لا ينتفعون بها ، ولا يفقهون منها شيئا ، هم أول من يفاخر باقتنائها ، ويعتبرونها ضربا من ضروب الزينة والزخرفة ، كأنها اليواقيت والجواهر ، يعجز عنها من يروم

الانتفاع بها ، إن لم يكن ذا ثروة واسعة تمكنه من استنساخها أو ابتياعها ، فلا بدع اليوم أن يكون فى يد كل مصرى كتاب يطالعه ، وأن يكون كل واحد منهم قد أصبح فى العلوم والفنون أليف محاضرة ، وحليف مذاكرة ، تزدهى به مجالس الفضل و تزهو أندية الأدب ، وكيف لا يكون ذلك ، وقد ذقت من حلاوة المطالعة والمذاكرة ما أنسانى حلاوة كل لذة فى العالم ؟

عيسى بن هشام – نعم شاعت العلوم فى هذا العصر ، وترقت الفنون ، وكثرت المطابع ، وسهل على الناس اقتناء الكتب ومطالعتها ، ولكن قل بيننا عدد الراغبين فيها والمطالعين لها ، فكسدت سوقها ، وبارت تجارتها ، وأغفلها من ينتفع بها ، للاشتغال بسواها من الأمور الباطلة ، والأشياء التافهة ، ورغب عنها من كان يقتنيها للزينة ، لكثرة الانتشار والتبذل . والناس اليوم فى حركة لا شرقية ولا غربية ، فقد اشتغل بعضهم ببعض ، واكتفوا من دهرهم بحوادث يومهم ، فتعطلت بينهم مجالس العلم ، واندرست مجامع الأدب ، واقتصروا على مطالعة أخبارهم فى الجرائد والصحف دون اندفاتر والكتب . وأنى يكون لهم الاستقرار فى المجالس ، وهم لا يستقرون فى مكان ، ولا يهدءون من حركة ، ولا ينفكون عن غدو ورواح ، ولا ينتهون عن نقله وسفر ؟ وأكثر ما يكون جلوسهم فى المركبات : مركبات الخيول أو البخار أو الكهرباء ، وأهل اليسار منهم يقضون جزءا من شهور العام مترحلين فى بلاد الأجانب ، متنقلين فى ديار الغربة للنزهة والتفكة . وقصارى العلم عندهم أن يتلقى الطالب أشتاتا منه فى المدرسة وأطرافا ، وهو السن التى لم يصل فيها بعد الى تمام التعقل ، وكمال الإدراك ، فيحفظها ويؤديها كالببغاء ، فإن أسعده الحظ فى آخر الدراسة ونجح عند الامتحان . تأبط صك الشهادة ، ونفض يده

من تلك العلوم . وطرحها عنه طرح الثوب الخلق ، ونبذها نبذ القـادم علـى أهله ما أسن من ماء وما جف من زاد ، انتقاما لنفسه مما عاناه من مشـقة ، وقاساه من تعب فى درسها وحفظها ، من غير أن يفقه لها مزية فى ذاتها ، أو يذوق لها حلاوة فى طعمها فإذا هو بلغ إربته ، ودخل فى خدمة الحكومـة ، أصبح كالعامل من العمال لا العالم من العلماء ، وقل فيهم بعد ذلك من يصبو إلى العلم وأهله ، أو يحن إلى الأدب وكتبه ، ولئن مال بعضهم للمطالعة فإنها لا تتجاوز حد الكتب المتعلقة بأصول وظيفته . ولذلك أصبحت كتـب العلـم والأدب مملولة منبوذة ، وثقل على الناس مطالعتها لما هم فيـه مـن كـثرة الحركة والتنقل ، وطول الانهماك فى الأشغال المتجددة ، فلا يقـوى أحدهـم على المطالعة صحيفة من كتاب إلا وقد بللـه العـرق ، ودهمـه الكـلال والملال، ونزل بعد الضجر والسأم ، وإنك لترى مثل هذا بيننا فى حديثـهم ، فهم لا ينصتون إلى قصـة ، ولا يتبعون فى الكلام قضية مرتبة ، ولا يعجبهم منه إلا ما كان متقطعا مبتورا ، أو مقتضبا مجذوما .

الباشا ما أكاد أخليك أيها الصديق من غلو فى وصف هذه الحال وهـل خلا أو يخلو زمان ، فى البداوة كان أو فى الحضارة ، من مجالس للعلـم ، ومجامع للفضل ، وأسواق للأدب ؟ وما كان زماننا الذى كنت فيه ليخلو مـن آثارها ، حتى لقد رأينا فيه كثيرا من الكبراء والأمراء ممن لا نصيب لهم من العلم والأدب لا يغفلون مجالسهم من وجود شاعر مجيد ، أو فاضل أريب، أو نديم أديب ، أو محدث ظريف تتفكه به النفوس ، وتستريح له القلوب ، هـذا والكتب بين الناس قليلة التداول ، والعلم بعيد التناول ، فما بالكم اليوم علـى

هذه الحال التى تصف ، والصحف منشورة ، والكتب مطبوعـــة ، وأســماء العلوم مذكورة .

عيســى بن هشام - قد استغنى كبراؤنا وأمراؤنا اليوم عــن تزييـن مجالسهم بالعلم والأدب ، وقصروا هممهم فيــها علــى التفــاخر بالمقتنيـات المزخرفة ، والأدوات المصنعة من علم الغربيين ، فترى الكبير أو العظيـم يقلب فى يده العصا المضيئة بالكهرباء مثلا ، أوالساعة التى ترن بعدد الثوانى ، وهو يعتقد أنها أجل قيمة فى العين ، وأجمل أثرا فى النفس ، مــن جميـع العلوم التى تستضئ العقول بممارستها ، ومن جميع الكتب التى تصفو ساعات الحياة بمطالعتها ولا تتوهمن أننى أجزم له بخلو هذا الزمن عن مجالس للعلم ومحافل للأدب ، وما كان كلامى إلا على الوجه الأعم ، وقد آن أن أجيبــك إلى ما طلبت ، فأزور بك بعض المجــالس والمحــافل ، لينقطــع ريبــك ، وليطمئن قلبــك) [١] .

وحديث عيسى بن هشام مقالات نشرها محمد المويلحى فــى جريـدة مصباح الشرق عام ١٨٩٨ م تناول فيها الأمور والقضايا الفكرية والاجتماعية والعلمية والأدبيــة من خلال المقالات النقدية ومنها ، العبرة ، والشــرطة أو البوليس ، والنيابة ، والمحامى الأهلى ، والمحكمة الأهلية ، ولجنة الاستئناف وأبناء الكبراء ، والمحامى الشرعى ، والمحكمة الشرعية ، والوقف ، وكبراء العصر الماضى ، والعمده فى الملهى ، والمدينة الغربيــة ، والعمـــدة فــى

---

(١) حديث عيسى بن هشام - محمد المويلحى - وزارة الثقافة والارشاد القومى - ١٩٦٤ م ص١٣١-١٤٠ .

الأهرام ، والعمدة فى الرهن ، العمدة فى المطعم ، والعمدة فى الحديقة والأعيان والتجار ، وأرباب الوظائف ، والوباء والعزلة فى العلم والأدب .

ومقالات محمد المويلحى فى كتابه حديث عيسى بن هشام تتناول القضية فتعرضها عرضا جيداً يعتمد على مناقشة السلبيان مناقشة صريحة وواضحة وواقعية لإقناع القراء وإثارة همتهم وإشعال حميتهم ففى مقاله النقدى (العزلة فى العلم والأدب) أسس عرضه ومناقشته على العنصر العام فى مقالات حديثة وهو الحوار القائم بين عيسى والباشا وما هذا الحوار الا التفريغ النفسى لشحنة انفعالية تجاه الموقف أو القضية التى يعالجها كما أن الحوار يحمل سمة حديث الإنسان مع نفسه حين يطرح أسئلة متشابكة ويريد تعليلات واضحة ومقنعة لحدوث ظواهر قد تجمع بين الغرابة والحداثة أو بين التحجر والجمود ..... الخ .

وقد بدأ الكاتب مقاله النقدى بتمهيد جيد لفكرته فقال :-

(واعتزلت بالباشا مدة من الدهر نستملح العزلة) ، (وعكفت مع الباشا فى عزلتنا أذهب به كل مذهب).فدل عن طريق الإيحاء أن المقال يتناول حدث او موقف (العزلة) وخاصة أن عنوان المقال حمل نفس المسمى (العزلة ...) . ويجد القراء بعد ذلك ان الكاتب ينتقل بأفكاره الأدبية فى تسلسل منطقى مبينا المنهج التحصيلى لدراسة الأدب كيف كان وكيف نبغ أهله ولماذا تميزوا ثم تعرض لأسباب تدهور النهضة الأدبية رغم انتشار العلم وكثرة المطابع وسهولة اقتناء الكتب وازدهار بعض الملامح الفنية فى الموسيقى والنحت والعمارة والتصوير والتمثيل ويطرح أمام نفسه وأمام الباشا سؤالا لماذا أصابت العزلة الأدب ؟ ولماذا حدث كساد فى التأليف الأدبى .

ثم يعود فى حوار موضوعى أن العزلة مرجعها إلى أن (الناس اليوم فى حركة لا شرقية ولا غربية فقد اشتغل بعضهم ببعض واكتفوا من دهرهم بحوادث يومهم فتعطلت بينهم مجالس العلم ، واندرست مجامع الأدب واقتصروا على مطالعة أخبارهم فى الجرائد والصحف دون الدفاتر والكتب) ثم بين المويلحى أن رغبة الناس فى السفر للنزهة والتفكه من أسباب العزلة فى التأليف الأدبى إلى جانب أن العلم عندهم انحصر فى المعلومات المدرسية يضاف إلى ذلك استغناء الكبراء والأمراء عن تزين مجالسهم بالعلم والأدب حيث قصروا اهتمامهم على التفاخر بالمقتنيات المزخرفة ، والأدوات المصنعة من عمل الغربين والقارئ للمقال النقدى السابق يدرك أن المويلحى عرض فكرته بدقة واتقان وذكر أسباب رؤيته واستنبط براهينه من الواقع الاجتماعى من باب النقد البناء الذى يدعو إلى الصحوه فالعزلة التى أصابت الأدب مركزة فى التقليد والمحاكاة والتحجر والجمود وروح الأدب فى التجديد ومن الجدير بالذكر أن لمحمد المويلحى مجموعة من المقالات نشرها أيضا فى صحيفة (مصباح الشرق) تحت عنوان علاج النفس وأهم موضوعاتها (الغضب) وماله من آثار وخيمة على النفس والمجتمع .

ومن المقالات النقدية الجيدة مقال أحمد أمين تحت عنوان (التقليم والتطعيم) فى الأدب قال فيه :-

(جرنى التفكير فى (الأغانى المصرية) إلى توسيع النظر فى الفنون والأداب المصرية والعربية ، فوجدتها كلها تحتاج إلى عمليتين هامتين خطيرتين : أولهما عملية التقليم والثانية عملية التطعيم ، ولأقتصر فى

حديثى اليوم على التمثيل بالأدب العربى ، فهو أخطر الفنون وأكثر أثرا فـــى حياة الشعوب .

واضح أن آداب الأمم تختلف باختلاف شخصياتها ومميزاتها وميولها، كما تختلف باختلاف أمزجة أدبائها ، وكما تختلف باختلاف بيئتـــها ، ســـواء كانت بيئة طبيعية من جو ووضع جغرافى ، أو بيئة اجتماعية مـــن سياســـة ودين وأوضاع وتقاليد ونحو ذلك .

الأدب عامة يتطور بتطور الأمة ويتفاعل معها ، فيؤثر ويتأثر بـــها ، وإنك لتستطيع - بالنظر العميق - إذا درست أدب أى أمـــة فى أى عصـــر أن نستنتج منه حالة الأمـــة الاجتماعية ، وظروفها السياسية ، ونظم حكمـــــها ، وحالة شعبهـــا .

إن كان كذلك فمن المحال أن تعيش أمة على الأدب القديم وحــــده أو على أدب العصور الوسطى فقط ، وإلا كانت كالتاجر يعيش علـــــى تصفـــح دفاتره القديمة فحسب وهذا علامة الإفلاس .

إن أدب كل أمة يرسم المثل الأعلى لها والمثل الأعلى ليس صـــــورة ثابتة متحجرة ، بل هو مرن ، ويجب أن يكون مرنا ، ويختلف بتقدم الإنســان وتغير ظروفه وملابساته ، ويتقدم كلما خطا الإنسان خطوة إلى الأمام .

وهذا هو الشأن فى الأدب العربى ، فهو ليس أدب أمة واحدة ، بل هو أدب أمم مختلفة فى عناصرها ونوع ثقافتها ودرجة عقليتها ، وموقع إقليمها ، كما هو أدب أمم مختلفـــة العصور والأزمنة ، والوضع السياســـى والحالـــة

الاقتصادية ، والمعيشة الاجتماعيـــة وهو في عصوره المختلفة قـــد صـــور المثل الأعلى أشكالا ، وألوانا ، فالمثل الأعلى الجاهلي غـــيره فـــي العصـــر الأموى ، وهما غيره في العصر العباسي وهو في العراق غيره في مصر .

وأمم الشرق في العصر الحاضر من حيث موقفها من المدن الغربيـــة من حيث آمالها السياسية ، ومن حيث عواطفها القومية ، ومن حيث نظمـــها الاجتماعية ، لابد لها من مثل عليا جديدة تخص الجيل الجديد على الطمـــوح إليه والسعى وراءه وإلهاب العواطف لنيله ، وهذه وظيفة الأدب في كل أمـــة ومنها الأدب العربـــي .

في الأدب العربي القديم لا تجد كل غذائنا ، وفي الأغاني القديمة لإنجد ما يغذى كل عاطفنا ، وفي كل فنوننا القديمة لا نجد ما يرسم كل مثلنا الأعلى الذى ننشده لقد قامت مناظرة مره في أن الأدب العربي القديم يصلـــح غـــذاء للجيل الحاضر أولا يصلح فاخترت الشق الثاني ولست أعني أنه قليل القيمة أو عديم المنفعة ولكن أعني أنه وحده لا يكفي في الغذاء ، وأنه ينقصه كثير مـــن أنواع (الفتيامين) ليصلح به العقل وترقى به العواطف وللوصول إلى هـــذا الغرض لابد من العملتين اللتين اشرت إليهما وهو التقليم والتطعيم أما (التقليم) فأعني به أن الأدب العربي مثله مثل تل كبير قمح بعضه طين اختلط با لقمـــح فيجب أن ينقى منه وبعضه حب مسوس يجب أن تستبعد وبعضه صالح يجب أن يفرز وحده لنستعين به على الغذاء الصالح ، لقد كان صالحا أو على الأقل نتاجا طبيعيا لعصره ، ولكن ما كان صالحا لعصر قد لا يصلح لعصر آخر .

إن الأوضاع السياسية للامم - مثلا - غيرت نظرة العصور الماضية إلى الحطام فيجب ان نغربل الأدب القديم ، فلا نقر منه ما يضع من شأن الأمة ويقدس الحاكم كحاكم والعلم بالأحوال الاقتصادية غير من نظرنا إلى الفقر فلم يجعله قضاء وقدرا فقط ، جعله نتيجة طبيعية لحالة الأمة ووجوه دخلها وخرجها ، و نظام ميزانيتها ومواردها ومصادرها .

فالأدب العربى الذى يبعث على الرضا بالفقر كنتيجة محتومة لا دخل للأمة ونظامها فيه يجب أن يستبعد وأحوال الأمم كلها الآن تستدعى نفوسا قوية فى إيمانها قوية فى عقيدتها ، قوية فى عواطفها ، فلنقس الأدب العربى بهذا المقياس فما كان منه يبعث على الميوعة ، وعلى الإنهماك فى الشهوات ، وعلى الخذلان وضعف الثقة بالنفس والثقه بالأمة والثقة بالله يجب أن يعدم..

إن الأمم الان تتطلب التضحية ، وتتطلب مثلا أعلى أساسه خير المجتمع لا خير الفرد وحده ، وتتطلب إعداد الفرد للكفاح ، فما كان من الأدب العربى يدعو الفرد أن يبحث عن لذته مهما كانت نتائجها على المجتمع يجب أن ينحى ، والأدب الذى عماده أن فلانا أعطاه من مال الأمة لقصيدة أشاد فيها بذكره فجعله ملكا فوق البشر ، ليس صالحا لجيلنا بحال من الأحوال ، بل أنه مدح الملوك والأمراء والحكام يجب أن يكون أساسه العدل وخدمة الرعية ، وأداء ما عهد إليهم بذمة وصدق ، سواء أعطوا مالهم الخاص أو منعوا ، كرموا أو بخلوا ، وإن الأدب الذى يخيف من الموت ، ويجعل الحيلة كلها توقعا للموت ، وخوفا من الموت ، يجب أن يموت ، ويحل محله تقديس

الحياة والعمل للحياة ، حياة الأمة وحياة الفرد ، ولابأس بالموت إذا المـــوت نزل.

أمتحنت هذه النظرية فقرأت كتابا من كتب الأدب العربية فوجدتنى فى كل صفحة من صفحات الكتاب قد علقت - فى ذهنى - على بعض الجمل بأنها غير صالحة ، لأنها تبعث الضعف ، وبعضها غير صالح لأن العلم الحديـــث أثبت كذبة ، وبعضها غير صالح لأنه كان مثلا أعلى قديما وليس مثلا أعلـــى حديثا ، وبعضها صالح كل الصلاحيـــة لأنه يناسب زماننا كما كان مناســـبا لزمنه) فهو مستحق للبقاء .

قرأت مثلا قول المغيرة بن شعبة :" أحب الإمارة لثـــلاث وأكرهــها لثلاث: أحبها لرفع الأولياء ، ووضع الأعداء واسترخاص الأشياء ، وأكرهــها لروعة البريد ، وفوت العزل ، وشماتة العدو " فقلت إن هـــذا نظــر غــير صائب، شعور غير نبيل ، إنما تحب الإمارة للعدالـــة ، وإيصـــال الحقــوق لأصحابها ، وتحقيق ما أمكن من إصلاح ، أما حبها لنفع الصديق وضر العدو ونحو ذلك فنظر سطحى سخيف ، لا يصح أن يعرض على النشئ وقرأت قول القائل .

(كان الناس ورقا لا شوك فيه ، فصاروا شوكا لاورق فيه)

فقلت هذا غير صحيح وان حسن لفظة لأن فى كل أمة وفى كل عصر ، وفى كل جماعة ورق وشوك ، فلا يخدعنك حسن التعبير عن فساد المعنى.

وقرأت خطبة السعيدبن سويد "لايزال الإسلام منيعا ما اشتد السـلطان وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، ولاضربا بالسوط ، ولكن قضاء بـالحق وأخذ بالعدل " . فقلت هذا اقول حق ، يصلح لك زمان ومكان ويصح أن يعلم لكل ناشئ ويردده كل متأدب .

وقـرأت قول الشاعـر :-

أشرقت حتى تركت الشمس ساجيـة .

كأنما أليست دكنا من الحلـل .

وراح نفعك فى أجفانها كحـلا

وما عهدنا يجفن الشمس من كحـل

لقد حقنت دم العليا بجوديـد

فخضوبة بدماء المحـل والبخل

أظمأ إلـى رشفهـا يوما فيصدقنى .

عنها تعرض سيل العارض الهطـل

فقلت إن هذا الضرب لا يعجبنى ، رجل أعطى الشاعر قبضة من مال ، فجعله أكثر إشراقا من الشمس وجعل يده مخضوبة بالدم من قتـل البخـل ..الخ وهى معان متبذلـه ومواقف استجداء وضيع وعاطفة شخصية جزئيـة حقيرة فهذا الضرب لا أشجع عليه ولا أقدمه مثالا يحتذى وخير منـه قـول المتبنى فى المديـح .

إذا الدولة استكفت به فى ملمـة

كفاها ، فكان السيف والكف والقلبـا .

وقرأت من الأمثال قولهم :" الوقت كالسيف ، ان لم تقطعه قطعك " فقلت قول مبهرج ، ولا معنى له . فليس بصحيح أن السيف إن م تقطعه قطعك .

وقرأت قول الشاعر :-

تطامن الزمان - يجزك عفوا

وإن قالوا ذليل قل ذليل

فقلت هذا شعر يجب أن يضرب به وجه ناظمه الحقير وقرأت نصيحة عمرو ابن عتبة المعلم ولده (روهم من الحديث أشرفه أعفه) فقلت قول شريف صحيح ، ثم قرأت قوله " ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم ، فقلت هذا غير صحيح فيما أثبت علم التربية الحديث ، وبجانب ذلك قرأت أدبا جيدا كل الجودة ، حقا كل الحق ، نافعا لأن يكون جزءا من مثلنا الذى ننشده لا أطيل بذكر لكثرته .

وهكذا وجدت فيما استعرضت خيرا كثيرا ، وسرا كثيرا ، فلابد من التقليم والتطهير واستبقاء الأصلح .

خرجت من فكرة (التقليم) هذه بأن أولى الرأى فى الأمة يجب أن يكون لهم غرض واضح معين فى تربية النشئ ، ووضع أسس ثابتة فى التربية ، ورسم مثل أعلى واضح جلى. فإذا تم ذلك وجب على كل طائفة أن تسعى لتحقيق هذا الغرض ، والأدباء والفنانون فى طليعة هذه الطوائف يجب أن يعيدوا النظر فى الأدب والفن ، فلا يضعوا فى يد النشئ من الأدب العربى والغناء والأناشيد والتصوير ، إلا ما ينسجم مع هذا المثل ، وإلا كنا كطائفة تغزل غزلا ، وتأتى طائفة أخرى فتنقض غزلها .

إن عملية التقليم هذه تكسبنا عينا ناقدة نفرز بها الجيد مــن الــردئ ، ونميز بها الصالح من الطالح ، فى الشــعر والخطـب والأمثـال والحكـم والقصص والأغانى والروايات وكل ضرب من ضروب الأدب ، وكل نــوع من أنواع الفن . إن الآدب العربى فى جملته نوعان : نوع غير صالح لحياتنا الواقعية التى نحياها الآن ولا يتفق مع مثلنا الأ على الذى ننشــده فــى هــذا الزمان ، وهذا يجب أن يوضع فى متحف كالآثار القديمة يعنى به الخاصــة وحدهم ومؤرخو الأدب فقط ، ونوع صالح لزماننا ومثلنا ، وهذا وحده هــو الذى نسلمــه لنشئنا ، ونصوغ منه أمانينا ويستشهد به أبناؤنا ويحفــظ منــه جيلنا إنا بعرضنا كل الأدب العربى على الناشئين بغثة وســمينه وصحيحـه وفاسده - من غير تقليم - نضع فى أذهانهم صورا مختلفــة متناقضــة لمثـل مختلفة يضرب بعضها وجه بعض ، ولا تكون لهم مثلا أعلا منسجما ، فتكون النتيجة بلبلة الأفكار ، وحيرة الأذهان ، واضطراب الناشئ يمينــا ويســارا ، وأماما وخلفا ، وفى هذا ضرر بين على عقله وعواطفه .

ما بالنا فى فروع العلم المختلفة نعلمه ما أثبت العلم صحته فى الطبيعة والكيمياء والرياضة والجغرافية ، وعلم الأحياء ولا نعلمه بجانبه ما أثبت العلم فساده من سطحية الأرض ، ودوران الشمس حولها .

وخلق الحى من غير الحى ونموها ، ثم لا نفعل ذلك فى الأدب فنعلمه ماصح ومافسد ، وما يبعث عواطف مريضة بجانب مــا يبعــث عواطــف صحيحة.

لابد أن يكون لنا منهج واحد وأسلوب واحد في هذا وذلك ، وإلا كنا نزن بميزانين ونكيل بكيلين . هذه العملية الأولى وأما العملية الثانية وهي التطعيم فأعني بها أننا ندرس وجوه النقص في أدبنا وفننا ، فيعكف أدباؤنا على ملاقاته ، وندرس مثلنا الأعلى فنرى ما يدعمه ويقويه ، بما ليس في أدبنا فنحلقه ، ونجعل هذا النوع وما استطفيناه من الأدب القديم غذاءنا .

لشد ما نحتاج في أدبنا إلى الإكثار من تحليل الشخصيات العظيمة لتخلق فينا عظماء جددا ، ولشد ما تحتاج الى الكتب الجذابة لنشئنا لتغذيتهم بالمبادئ القويمة ولشد ما نحتاج إلى شعر الطبيعة وجمالها ، وإلى شعر جاد قوى أخلاقي روحي نابع من خيال رفيع ، ولشد ما نحتاج إلى القصص تشرح العيوب الاجتماعية وتستغفل القارئ فتضع له الدواء القوى المر أثناء تلذذه بحادثة أو منظر إلى نحو ذلك .

عملية " التقليم والتطعيم " هي قانون الحياة تشذب الشجر لينبت العود الصالح ، وتقطع العضو الفاسد في الجسم حتى لا يسرى فساده إلى السليم ، نطعم الشجرة لتنتج خير الثمار وأحسن الأزهار ، ونضحي في كل شئ بالقليل لنغنم الكثير وندفن الميت لنستقبل الحي .

فمالنا لا نفعل ذلك في الأدب والفن ؟

لقد مرعلى العالم الإسلامي عصور حية زاهرة انتجت أدبا حيازاهرا ، ومرعليه عصور ميته جامدة أنبتت أدبا ميتا جامدا ، ولابد لنا من التنقية والاختيار ، وعلى الجملة لا يمكن أن يصلح أدبنا وفننا إلا بعمليتي (التقليم

والتطعيم ولو كره الكافرون) [1] . بعد أن قرأ المتلقى مقال (التقليم والتطعيم فى الأدب) يتبين له ان فكرته تدور حول كيفية النهوض بالأدب ونقـد كـل الوسائل السلبية التى تعوق حركته التقدميـة وقد صرح أحمد آمين فى مطلـع مقاله النقدى أن الأدب غرس حى يمثل أمته فى فكرها ووجدانـها وحياتـها الاجتماعيه وظروفها المناخية ويعكس ميول وأمزجة شعبة ولـهذا فـالآدب متجدد العطاء يتجدد كلما خطأ الانسان خطوة ويضرب أحمد آمين مثلا حيـاً بالأدب العربى وقدرته على التجديد فهو فى العصر الأموى غير الجاهلى وفى العصر العباسى يختلف عن الأموى فلكل جيل بصمة وسمة وفكـر يرتبـط بظروفه ودرجات الهام الشعراء فيه وقد بين صاحب المقال النقـدى أن الأدب العربى القديم لايجوز تناوله كعطاء عاطفى وفنى وأدبى فى الجيل الحاضر إلا بعد رؤية صحيحة واعية تتناسب مع ظروف عصرنا وبعد دراسة موضوعية قائمة على استيعاب المعانى التى تتفق وحاجتنا .

وقد أعلن الكاتب فى مقاله النقد الحى أننا فى روضة الأدب الحديثـة يجب أن نقطف من الأدب القديم ما يدعو إلى الكرم والشجاعة والعطاء ويـذل الجهد والمشاعر النبيلة ونتجنب منه مايدعو الى الاستسلام ، وما يشجع علـى الاستجداء والسطحية ولهذا يجب الالتزام بعملية التقليم الأدبى ويعلـن أحمـد آميـن .

(إن عملية التقليم هذه تكسبنا عين ناقدة نفرز بها الجيد مـن الـردئ ونميز بها الصالح من الطالح فى الشعر ... وفى كل ضـرب مـن ضـروب

---

[1] فيض الخاطر . أحمد آمين - الطبعة السابعة ١٩٧٤م - مكتبة النهضة المصرية جـ٣ ص ١١٩ : ١٢٤

الأدب). ويرفض الكاتب عرض النتاج الأدبى القديم على الناشئين من غـير تقليم ففى ذلك بلبلة لأفكارهم وحيرة لأذهانهم وضرر كبير علـى عواطفـهم وانفعالاتهم .

كما يرى أن يقوم الجهاز التعليمى بتطعيم أدبنا بمـا يناسـب واقعنـا الاجتماعى والثقافى والنفسى وذلك بدراسة وجوه النقص فى أدبنـا ومحاولـة تغذيته لاستكمال هذه الوجوه بإسلوب يوافق احتياجاتنـا الماديـة والمعنويـة فالمقال النقدى السابق يركز الضوء على إسلوب التعامل الفنى مـع الآثـار الأدبية وكيفية النهوض بالمعانى والصور التعبيرية من منطلق الوعى الفكرى وصحوة الذوق .

وللكاتب أحمد آميـن مقال فى أسس ترقية الأدب ونقدما يعوقه بعنوان (كيف يرقى الأدب) جاء فيه :-

(أشرت فى مقالى السابق إلى العلاقة بين الذوق العام ، ورقى الأدب ، وأعود الأن إلى هذه العلاقة ، أزيدها بسطا وإيضاحا .

يذهب بعض المفكرين إلى أن الفنون - ومنها الأدب - ترقى وتنحـط ، وتعلو وتسفل ، وتتقدم وتتأخر ، فى الأمم اعتباطا من غير أن يكـون لذلـك أسباب ، أو على الأقل أسباب ظاهرة ، فالناظر لتاريخ الفنون فى العالم يـرى أن أمة فى عصر من العصور قد ترقى فى فن من الفنـون كالموسـيقى أو الحفر أو التصوير أو الشعر ، على حين أن أمة أخرى ترقى فى فن آخر من هذه الفنون ، ثم بعد رقى عظيم تنحط الأمة فى هذا الفن ، ويحل محل الفـن

فن آخر ، أو لا يحل محله شئ وتتبادل الأمم ذلك من غير أن يكـــون لـــهذا التقدم وهذا التأخر مفهومـــه .

وشأن الفنون شأن النابغين الفنانين ، فقد ينبغ النابغ فى أمة ولا نعرف لم نبغ وكيف نبغ ، وتحاول الأمـــة أن تخلق نابغين فلا يتخلقوا - بـــل تـــرى عجبا فقد يوجد النابغة والأمـــة على أسوأ ما يكون من ضعف فـــى الخلـــق وضعف العقل ، ثم ترقى الأمة عقلا وترقى خلقا وتتلفت فلا تجـــد نبوغـــا ، وكان مقتضى هذا أن يكثر عدد النابغين فيها ويزدادوا نبوغا بازديـــاد الأمـــة رقيا ، ولكن ينعكس الأمر حتى لتجد الأمة وأعضاؤها قوية ولا رأس ، بينمـــا كان لها فى حال ضعفها رأس قوى ولا أعضاء -ماذاك إلا لأن النابغة يوهـــب ولا يخلق ، وقد قال هؤلاء إن الفنون فى ذلك ليست كالعلوم ، فـــالرقى فـــى العلوم سبيله ميسور ممهد ، وتستطيع الأمة ان تضع لها خطة تســـير عليـــها لترقى فى الطبيعة أو الكيمياء والرياضة فإذا هى جدت فى ذلك وصلت إلـــى درجة الرقى تناسب جدها واستعدادها ولكنها لا تستطيع أن تضع خطة تســـير عليها للرقى فى الشعر والموسيقى والتصوير ، لأن ذلك نوع مـــن الإلـــهام ، والإلهام بيدالله يمنحه من يشاء كيف شاء متى شاء ولعل الكاتب يشعر بـــهذا تمام الشعور فى نوع ما يكتب فهو اذا أراد أن يكتب بحثا علميا ، او يحقـــق لفظا لغويا ، أو يحرر حادثا تاريخيا فهو فى أكثر أوقاته مستعد لذلك ، مـــالم يكن مريضا أو مهموما ، ولكنه إذا شاء أن يكتب قطعة فنية أدبية إنشـــائية لا يستطيع ذلك إلا فى حالة نفسية صافية ، ومزاج يتناسب والقطعة الفنية التـــى ينشئها ، من حزن أو سرور وحلم أو غضب ، ويصادفه وقت هو كما يسـميه الصوفية وقت تجل يجيد فيه ويغزر ، ويسمو فيه ويصفو ، ويعجب كيف أجاد

وكيف غزر ، ثم هو يحاول بعد مرارا أن يخلق مثل هذا التجلى ، فيفشل ثم يفشل ، ويحار فى تعليل ذلك ، وتعليل ما قاله علماء الكلام " ولم تكن نبوة مكتسبة " هو فى العلم مالك وقته يصرفه كما يشاء ، وهو فى الأدب ينتظر الإلهام .

وقالوا إن رقى الأمه فى الأدب لا يرتبط بدرجة ثقافتها ، ولا برقيها العقلى ، ولا بأى سبب من الأسباب فالأمه المصرية - قديما - رقيت فى فنون النحت والنقش والبناء رقيا بديعا جعلها من أساتذة العالم فى هذا الباب وخلفت على مر الأزمان ثروة لا تقوم ، ولا تزال قبلة الفانين إلى الآن تستخرج إعجابهم ، وتلهم أذواقهم ، والمصريون الآن ليسوا أساتذة فى الفن ، حتى ولاتلامذة ، مع أن أحدا لا يستطيع أن يقول إن المصريين القدماء كانوا أرقى منا عقلا وأعلى ثقافة ، وكذا يشكو كثير من الأوروبين من أن الفن - ماعدا الموسيقى - أخذ يتدهور من القرن السادس عشر ، مع أن أنواع العلوم فى رقى مستمر وعقليات الأمم فى تقدم دائم،ولو كان الأمر بالعلل والأسباب المنطقية لوجب أن يكون المصريون اليوم أعلى فنا وأكثر نبوغا ، ولكن الفن الأوربى الآن أسمى وأتم منه فى القرون الوسطى ، فأما قد عجز المنطق عن تقديم مقدمات ونتائج صحيحة فليس إلا الإلهام وليس للأمة إلا أن تنتظر ما يأتى به القدر هكذا قالوا ، أو حاولوا أن يقولوا، وبذا احتجوا أو حاولوا أن يتحجوا ، ولكن هل هذا صحيح ؟ – إن فى هذا الرأى غلوا مفرطا ، فهو يخرج الأدب عن دائرة الإرادة ويجعله مجرد انتظار للوحى والإلهام ، ومن الحق أن للأدب خطة تنتهج كمنهج العلم ، وأن من نعده للأدب يجب ان تثقفه ثقافة خاصة كالذى نعده للعمل ولكن من الحق أيضا أننا لا نخلق الأديب

ببرنامجنا ، بل لابد ان تكون قد هيأته الطبيعة ومنحته استعدادات خاصة ، وكفايات ممتازة وتهيئوا لقبول الإلهام ، ولكنه في كل ذلك كالعالم فبرنامج العلم لا يخلق نابغة في العلم إنما يعده والعالم لابد أن يكون مهيأً للإلهام كالأديب وأكثر المخترعات والمستكشفات في العالم كانت نتيجة إلهام أكثر منها نتيجة لمقدمات منطقية وتجارب عملية وانما التجارب تهيئ للإلهام وتحقق ما يأتي به وتبين صحيحة من فاسدة وتسمى هذه الإلهامات فروضا .

ويظهر ان اتجاه هؤلاء الباحثين هذا الاتجاه سببه عقيدة سارت بين رجال الفن عهدا طويلا ، وهي أن الذوق لا يعلل فالناظر ينظر إلى الصورة فيستجملها أو يستقبحها ، فإن أنت سألته : لم استجملها أو لم استقبحها ، فإن أنت سألته : لم استجملها أو لم استقبحها ؟ لم يجد جوابا ؟ وإذا أجاب أجاب بكلمات منمقة ، ولكنها جوفاء ، لا تحوى علة ولا توضح سببا ، وانما هي نفس الدعوى بالفاظ رشيقة جميلة ، واذا رأيت طاقة من الزهر قلت ما أجملها ، ولكن إن سئلت لم كانت جميلة ، قلت : إنها منسقة ، إنها بديعة الألوان إن نفسي لترتاح إلى رؤيتها ، إنها لتسر النظر ، وتبهر العقل ، وأنت عني بعد غني أن أقول لك إن هذه ألفاظ وجمل قد ترضي البلاغة ولكن لا ترضي المنطق وقد تعرض صورة أو يظهر إنسان أمام جمع من النظاره ، فهذا يستحسنه وذاك يستقبحه وثالث لا يستحسنه ولا يستقبحه ، فإذا سألت من استحسن لم استحسن ، ومن استهجن لم استهجن ومن حايد لم حايد ؟ كانت الإجابات مثارا للعجب ، وموضعا للضحك .. وقد ترى إنسانا وكل عضو من أعضائه على انفراده جميل ، ولكنه ليس جميلا ككل فما الذي كونه هذا التكوين ؟ وما الذي وضعه هذا الوضع ولم استحسنته مفرقا ، ولم تستحسنه

جملة ؟ لا شئ في الحقيقة إلا الذوق الذى لا يعلل ، وهذا الشأن فـــي الأدب ، واظهـــر مثل لذلـــك ما فعله عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغه ودلائل الإعجاز فماذا صنع ؟ انه يأتي بالبيت الجميـــل ثم يقف ويتساءل : فيم كـــان جماله ؟ فما هو الا أن يصوغ لك جملا رشيقة ، فيقول إن هذا اللفظ يروقـــك ويؤنسك ، وغيره يثقل عليك ويوحشك ، وهذا الوضع يبهرك جماله ، وهـــذا النظم يأخذ بلبك ما فيه من نسج وصياغة ، ووشى وتحبير ويعلل سبب ذلـــك أحيانا بالتقديم والتأخير وأحيانا بالفصل والوصل - وكلها علل لا تصلح ، فأنـــا كفيل بأن أتيك بتقديم حسن ، وتقديم مثله يقبح ، وفصل يروعك فصل مثلـــه يسوءك ، وقد تحاول أن تفرق بينهما فلا تستطيع ، ثم تسلم سلاحك وتكتفـــي بأن تقول هذا جميل وهذا قبيح ، وهذا يحسن في ذوقـــي وهـــذا لا يحســـن ، وبذلك تكون قد قطعت شوطا بعيدا ، ثمَ في آخر الأمر عدت إلى النقطة التـــي بدأت منها سيرك . وما علوم البلاغة كلها إلا محاولة لتعليل الذوق الأدبـــي ، ولكن هل أفلحت في التعليل ؟ إنا لنخشى أن تكون قد دارت حول نفسها ولـــم تأت بشئ (لأن الذوق لا يعلل) .

واذا كان الذوق لا يعلل فكل ما ترتب عليه لا يعلل ، واذا كان الفـــن وليد الذوق فالفن لا يعلل ، ولا يعلل كيف ظهر وكيف قوى وكيف ضعف .

هكذا أيضا قالوا أو يصح أن يقولوا - وهذه الأراء - وان كان فيها شبه من الحق - ليست حقا كلها ، وليست حقا في أساسها ، وقد بذل بعض العلمـاء المحدثين مجهودا حميدا في بيان ما فيها من حق وباطل ، وحالوا أن يفلسـفوا الذوق ويفلسفوا الجمال ، ووضعوا للذوق والجمال . علما وعدوه فرعا مـــن فروع الفلسفة ، وحاربوا فيه الفكرة السائدة : " إن الذوق لا يعلل " ووضعـــوا

قواعد لتعليله نجحوا فيها أحيانا وفشلوا أحيانا ، ولا يزال مجال البحث أمامهم فسيحا وكان لهذا الاتجاه الجديد فى علم الجمال أثر كبير فى خلق نظريات فى الأدب ، ووضع أسس جديدة للبلاغه والنقد الأدبى مما ليس هذا موضعه .

والذى أميل إليه أن الفن نتيجة الذوق لامحاله ، وأن الذوق يمكن تربينه وترقيته ، فالطفل اذا لفت نظره إلى الأزهار وجمالها تكون فيه الميل إلى حبها والاستمتاع بها، فإذا كان بعد أديبا اتصلت حياته الأدبية بها ، وظهر فى نتاجه الفنى هذا الحب وهذا التقدير والذوق العام للأمة فى قوته وضعفه ورقيه وانحطاطه ، ليس يظهر فجأة ولا هو نتيجة المصادفة البحتة ، إنما هو نتيجة لكل ما يحيط بالأمة من ظروف وأحداث هو نتيجة النظم السياسية ، والحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافة العقلية وغير ذلك . وإن شئت فقل إن ذوق الأمه هو تعبيرها عما تقوم ، فالأمة أذا قومت المناظر الطبيعية تذوقتها ، وإذا قومت جمال الأزهار تذوقته ، وإذا لم تقوم النظام فى المجتمعات لم تتذوقه ، ولم يجرح ذوقها تهويش على محاضر أو مغن أو ممثل والفنان ليس إلا معبرا عن ذوق الأمة ، والأديب ليس إلا الموقع للأصوات التى تستلذها الأمة .

ومن أهم أسباب ضعف الأدب العربى مسألتان تتصلان بهذه الحقيقة : الأولى أن الأدب العربى لا يتصل بالذوق العام للأمة اتصالا وثيقا ، لأنه يصاغ بلغة غير لغة الشعوب ، ولا يتصل إلا بذوق خاص وهو ذوق محترفى الأدب ، ومن تكون ذوقهم تكونا (كلاسيكيا) ولا أمل فى نجاحه إلا أن تعمل بأى شكل كان على أن نصل الأدب أو أكثر بالذوق العام والثانية تتصل بالأولى وهى أن الأداب ، فى أكثر الأمم كانت ارستقراطية النزعة يوم كانت القوة فى يد الارستقراطيه فلما انتشرت الديمقراطية تبعها الأدب ، فأصبح

ديمقراطى الموضوع ، ديمقراطى النزعة ، أما الأدب العربى فقد أصبح ارستقراطيا منذ العهد الأموى ، وأصبح أهم أنواع الأدب انما ينشأ حول قصور الأمراء والأغنياء وفى الموضوعات التى تناسبهم من مديح لهم وهجاء لأعدائهم ، فلما عمت النزعة الديمقراطية العالم لم تؤثر فى الأدب العربى أثرها فى غيره من الآداب ، بل ظل محتفظا إلى حدما بأرستقراطيته وهذا قلل من غير شك اتصاله بالذوق العام للأمة . على كل حال لا وسيلة لترقية الفن ومنه الأدب إلا بترقية الذوق وربط الفن به ولذلك وسائل . ومن أهمها التأذين فى الناس بصوت عال يهزهم هزاً عنيفا حتى يشعروا بأن أذواقهم مريضة ، لا يشعرون بالجمال كما ينبغى ولا يهيمون بالحسن كما يجب ولست أعنى جمال الوجوه وحدها ، ولكن جمال الأزهار ، جمال الطبيعة ، جمال الموسيقى ، جمال الحركة ، جمال النظام ، جمال النظافة ، جمال للمعانى ويجب آلا يقتصر دعاة الفن على الدعوة لجمال الكرنك وأنس الوجود ، والمساجد الأثريه ، بل يجمعون إلى الدعوة لجمال الماضى جمال الحاضر - وهذا أكثر وضوحا فى الأدب فدعوة الأدباء دائما وقول الأدباء دائما انما هو الى الماضى وفى الماضى ، وهذا حسن لدرجة ما ، ولكن يجب ان يقرن به الدعوة القوية أيضا إلى النظر إلى أنفسنا والقول فى أنفسنا يجب أن نغير تسعيرة الأشياء ، ونضع تسعيرة جديده لما يدور حولنا ، ونضع أمام ناشئنا قيما جديدة لما يقع عليه نظرهم ، فإذا كانت بيوتنا تعنى بكمية الأكل وتعطيها أكبر قيمة ، وجب ان نرفع قيمة الكيفية فنضع قيمة كبرى للأزهار على المائدة ولجمال الترتيب والنظام ولجمال الحديث .

يجب أن نوجه إرادتنا فى ترقية الذوق كما نوجه إرادتنا لترقية العلـــم ولترقية النظام السياسى ، ونضع للذوق برامج كالتى تضع لبرامج التعليم .

إنا إن فعلنا ذلك تمخض المجتمع عن فنان ماهر ، وأديب قادر) (١)

عالج أحمد أمين فى المقال النقدى السابق قضيـــة التقليم والتطعيم فـــى الأدب العربى مبينا ضرورة الأخذ بالصالح من المعـــانى القديمـــة وتجنـــب مالايناسب ظروف البيئة الحديثة بما لها من تيارات ونزعات حتـــى نحمـــى النشئ من الحيرة والاضطراب الاجتماعى والفكرى والعاطفى فالنقد فى المقال السابق دعوة صريحة للنهوض والتميز و مواكبة ركب الحيـــاة أمـــا المقـــال النقدى الذى نعرضه (كيف يرقى الأدب) فهو رؤية نقدية تنـــاقش ارتبـــاط رقى الأدب برقى الأمة وهل الصلة بين الأدب والأمـــة فـــى الرقـــى صلـــة وجوب؟؟ .

عالج الكاتب هذا المقال النقدى بعرض أفكار جزئيه مترابطة يـــهدى بعضها إلى البعض فتحدث عن النبوغ والإلهام والموهبه والاستعداد والثقافـــة والتخطيط المنهجى الجيد الذى يدفع إلى التميز كما تعرض فى أفكاره لتقديـــر القيم الجماليـــة ودرجة ارتباطها وخضوعها للتعليل وأشار إلى ما قدمه عبـــد القاهر الجرجانى فى أسرار البلاغه من أراء حول علة الجمال ثم ناقش قضية الذوق العام مشيرا إلى ضرورة ارتباطه بذوق الأمـــة وقد أخذ علـــى الأدب العربى بعده عن روح المجتمع (أما الأدب العربى فقد أصبح ارستقراطيا منذ العهد الأموى ، وأصبح أهم أنواع الأدب انما ينشأ حـــول قصـــور الأمـــراء

---

(١)فيض الخاطر – أحمد أمين – جـــ١ – ص ٤٦ : ٥٢ .

والأغنياء وفى الموضوعات التى تناسبهم من مديح لهم وهجاء لاعدائهم ، فلما عمت النزعة الديمقراطية العالم لم تؤثر فى الأدب العربى أثرها فى غيره من الأداب .... وهذا قلل من غير شك اتصاله بالذوق العام للأمـــة).

ورأى الكاتب فى هذا المقال النقدى ضرورة الدعوة إلـــى الإحســـاس بالجمال جمال الطبيعة جمال النظام ، جمال الموسيقى ، جمـــال الأزهـــار ، جمال الحركة جمال الحديث ، جمال الماضى ، جمال الحاضر .

وفى هذا توجيه الإدارة للخلق والإبداع .

فالمقال السابق حصر نقده فى أن أسباب تخلف الأدب مرجعـــها إلـــى التمسك بالقديم مما دفع إلى إصابة الذوق العام بالجمود وانصرافه عن التفاعل بالصور والمشاهد واللوحات الأدبيـــة لشعوره بغربتها عن مزاجـــه وميولـــه وطبيعته ورأى الكاتب ضرورة إعداد برامج تثقيفية وتهذيبية لترقيـــة الـــذوق ورابطة عن طريق الإرادة بالمجتمع .

وهى رؤيـــة نقدية جيدة ودعوة متفتحة لبناء الذوق الأدبى الفنى فـــى مصر والحقيقة إن الإعلام المصرى فى فترة الثمانينات بدأ فى توعية الـــذوق وربط النتاج الأدبى الفنى بالمجتمع وواقعه .

ومن المقالات النقدية ما كتبه د / طه حسين تحت عنوان (القدمـــاء والمحدثون) قال :-

(رأينا فى الأسبوع الماضى أن الأداب العربية ، قد أخذت بحظها مـــن هذه الظاهرة العامة التى تشترك فيها الأداب الحية جميعا : ظاهرة الخـــلاف

بين القدماء والمحدثين ، ورأينا أن حظ الأداب العربية من هذا الخلاف عن عظمة وكثرة الكلام فيه ، لم ينتج لهذه الأداب شيئا كثيرا فى الشعر على أقل تقدير ، وسنعرض للنثر فى غير هذا الفصل .

لم ينتج شيئا كثيرا ، فظل موضوع الشعر كما كان ، لا يكاد يتجاوز المدح والهجاء والرثاء والغزل والوصف وما يتصل بهذه الموضوعات ، وظل شكل الشعر كما كان ، لم يخترع فيه شكل جديد ، ولم تضف إليه صورة طريفة ، وإنما بقيت القصيدة مظهرا للشعر محتفظة بأوزانها وقوافيها.

واذن لم يحدث تطور الأمة العربية ولا اشتداد الخلاف بين القدماء والمحدثين شيئا ذا خطر فى موضوع الشعر أو شكله كما يقول أهل القانون ، وإنما أحدث شيئا جديدا فى لفظ الشعر ومعناه كما قلنا فى الفصل الماضى ، وربما اضطررنا إلى أن نقول اليوم أيضا إن هذا الشئ الجديد كان أقل جدا مما كنا ننتظر ، فإن الحياة العربية تطورت فى القرن الأول والثانى للهجرة تطورا يوشك أن يكون كاملا ، بل قد لا نخشى الغلو إن قلنا إن هذه الحياة العربية تبدلت فى هذين القرنين تبدلا تاما ، فكان من المعقول أن يتحقق التناسب الصحيح بين هذه الحياة الجديدة وبين الأداب . فتتجدد هذه الأداب كما تجددت الحياة نفسها .

ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، فبينما كانت الحياة فى بغداد أبعد ما تكون عن الحياة فى صحراء جزيرة العرب من كل وجه ، كان الشعر الذى ينشد فى بغداد شديد القرب جدا من الشعر الذى كان ينشد فى تلك الصحراء .

وإذن فنحن بإزاء ظاهرتين لابد من تفسيرهما : الأولى أن الحياة العربية قد تطورت تطوراً كاملا ، وأن الشعر العربى قد تطور معها تطوراً ما ،والأخرى أن تطور الشعر لم يكن مناسباً لتطور الحياة فى جميع فروعها.

وربما لم يكن من العسير جداً تفسير هاتين الظاهرتين ، ذلك أن الأمة العربية قد خضعت خضوعاً تاماً لمؤثرين مختلفين اختلافا تاماً ، فبينما كان أحدهما يدفعها دفعا قوياً إلى الأمام فتندفع ، كان الاخر يجذبها جذباً قوياً إلى الوراء فتنجذب . كانت تندفع إلى الأمام اندفاعاً قوياً فى الحضارة المادية ، يمثل قوته هذا الفرق الظاهر بين قصور بغداد وحدائقها ورياضها ، وما تشتمل عليه هذه القصور والحدائق والرياض من مظاهر الحضارة وأدواتها وبين خيام الصحراء وما كانت تتحوى من مظاهر العيشى الخش والحياة الساذجة . وكانت تنجذب إلى الوراء بحكم اللغه التى لم تكن كغيرها من اللغات وإنما كانت لغة دينية ، فالاحتفاظ بأصولها وقواعدها والاحتياط فى صيانتها من التطور وآثاره السيئة ، واجب دينى لا سبيل إلى جحوده أو التقصير فيه .

إذن فقد كانت الحضارة المادية تدفع العرب إلى الأمام ، وكانت حياة الدين تجذبهم إلى الوراء ، وكان العقل العربى بطبيعة الحال موضوع الجهاد بين هذين المؤثرين المختلفين فكان يتقدم سريعاً إلى حيث لا يكون تقدمه مصدر شر على الدين أو لغة الدين ، وكان يبطئ فى حركته حين يكون التقدم خطراً على هذه أو ذاك .

و من هنا كان التناقض ظاهرا بين حياة العرب المادية فى تفصيلها وبين حياتهم الأدبية فى إجمالها ، فكانوا أحرارا فى الحياة المادية ، محافظين فى الحياة الأدبية .

وكان الشعراء الذين يجرءون على أن ينكروا هذه المحافظة ، ويحاولون تحرير الشعر قليلا أو كثيرا ، موضع سخط شديد من طائفة من الناس ليست قليلة الخطر ، ولا ضئيلة الأثر فى الحياة العامة ، كان هؤلاء الشعراء يتعرضون لسخط الأئمة والعلماء من رجال الدين ، لأن هؤلاء الشعراء يتعرضون لسخط الأئمة والعلماء من رجال الدين ، لأن هؤلاء الأئمة والعلماء بطبيعة منازلهم الدينية حراص على القديم ، أعداء لكل جديد ، وكان هؤلاء الشعراء يتعرضون لسخط الأئمة والعلماء لانهم بحكم منزلتهم اللغوية ، مضطرون إلى أن يحتفظوا لا بقواعد اللغه وأصولها فحسب ، بل بألفاظها وأساليبها أيضا ، فكانوا يكرهون كل لفظ دخيل ، وينفرون من كل أسلوب مستطرف . وكانت طائفة غير قليلة من عامة الناس وسوادهم تخضع لأولئك وهؤلاء فيما لا يضرها ولا يؤذيها ، فتستمتع بالحياة المادية ما استطاعت غير سامعة لنهى الفقهاء والوعاظ ، ولكنها تحرص على الاحتفاظ بالسنن الموروثة والعادات القديمة فيما لا يمس الأكل والشرب واللباس والزينة وما إلى هذا من ضروب الحضارة ، أضف إلى هذا كله ، أن الأمة العربية بفطرتها حريصة على سنتها القديمة ، محتفظة بما ورثت عن آبائها من مظاهر الحياة العقلية والشعورية ، وأن الأداب العربية القديمة فى نفسها جذابة خلابة محببة إلى النفوس مستأثرة بالقلوب ، فكان من المعقول أن يتأثر الشعر بهذا كله ، وأن يكون موقف الشعراء المجددين ، كموقف الفلاسفة المجددين ، ثقيلا شديد

الحرج ، وأن يتعرض أولئك وهؤلاء للحبس والضرب والنفى وغير ذلك من ضروب الاضطهاد وألوان العذاب .

ومن الغريب أن هؤلاء الشعراء والفلاسفة الذين كانوا يلقون فى العصر العباسى ضروبا من المحن تختلف قوة وضعفا باختلاف الخلفاء والوزراء ، كانوا محببين إلى هؤلاء الخلفاء والوزراء ، فكثير من هؤلاء الخلفاء ، والوزراء كان يحب شعر بشار ويلذ لشعر أبى نواس ، ومع ذلك فقد ضرب بشار ، حتى مات ، وحبس أبو نواس فى عصر الرشيد كما حبس فى عصر الأمين ، ولو أدركه المأمون لقتله ، مع أن إعجاب المأمون بأبى نواس شديدا جدا .

ومصدر هذا التناقض فى سيرة الخلفاءوالوزراء مع الشعراء والفلاسفة أن هؤلاء الخلفاء ومشيريهم كانوا يحيون حياتين مختلفتين : حياة للشعب يحتفظون فيها بجلال الدين ومجده وعظمة الخلافة وقوتها السياسية ، فهم من هذه الناحية محافظون ، وحياة لأنفسهم ، ولخلصائهم فى القصور ومن وراء الحجب ، يتركون فيها لأنفسهم حريتها الفطرية ، فيلهون ويعلبون وينادمون ويشربون ويقترفون ضروبا من الآثام .

أضف إلى هذين المظهرين المتناقضين من حياة الخلفاء وكبار الدولة، أن حياة الشعراء والمفكرين لم تكن حياة شعر وتفكير فحسب ، وإنما كانت تختلط بالمشاكل السياسية وما تستلزمه هذه المشاكل من الكيد والدسائس ، فكان الشاعر أو المفكر لا يفتن لانه شاعر أو مفكر فحسب ، بل قد يفتن أيضا لأنه يرى رأيا سياسيا لا يراه السلطان ، لأنه من أنصار البرامكة أو من

أنصار الفضل بن سهل أو الفضل بن الربيع ، لأنه يرى رأى العلويين ، لأنه يؤثر الفرس على العرب ، إلى آخر هذه المسائل الكثيرة التى نشأت عنها ضروب من المحن أصابت الشعراء والفقهاء والفلاسفة والمفكرين .

كل هذه الأسباب جعلت تطور الأدب عامة - والشعر خاصة - بطيئا قليل الإنتاج ، ولكن هناك سببا نعتقد أنه هو السبب الأساسى الذى حال بين الشعر العربى وبين ما كان ينتظر له من التجدد ، هذا السبب هو أن الأمة العربية لم تعرف من آداب الأمم الأخرى شيئا يذكر ، ولم تخالط هذه الأمم الأجنبية من ا لوجهة الأدبية والعقلية إلا مخالطة ضيقة جدا ، فلم تعرف من آثارها إلا شيئا من العلم والفلسفة ، ونتفا من الحكم والأمثال ، فجهلت الأمة العربية جهلا تاما ، أو جهلا يوشك أن يكون تاما ، ادأب الأمة اليونانية مع أنها قد أخذت من علم اليونان وفلسفتهم بالنصيب الموفور ، ولم تكد تأخذ عن الفرس إلا الحضارة المادية ، وروايات مشوهة فى الحكم والأمثال ، وسياسة الملوك ، ولم تكد تعلم من أمر الهند إلا شيئا من النجوم ، وقليل من المواعظ والوصايا .

ومن هنا لم يكن أمام الشعراء مثال أدبى جديد يحتذونه ويسعون فى تقليده ومحاكاته ، فظلوا على ما كانوا عليه ، يرددون ما ألفوا من الشعر القديم بأوزانه وقوافيه وبألفاظه ومعاينة ، لا يجددون من هذا كله إلا ما يضطرهم إلى تجديده نوع الحياة الجديدة الذى هم فيه ، وهم فى هذا التجديد القليل نفسه ، مقيدون بما قدمنا من حكم المحافظة الدينية واللغوية والسياسية . وقد علمنا تاريخ الأدب فى جميع العصور وعند جميع الأمم ، أن الحضارة المادية وحدها لا تكفى لترقية الشعر ودفعه فى سبيل التطور المنتج ، وإنما

يجب أن تضاف إلى هذه الحضارة المادية أشياء أخرى أهمها المخالطة الأدبية للشعوب الأجنبية ، فلولا أن الصلات اشتدت بين اليونان وبين غيرهم من الأمم المعاصرة ، لما تطور شعرهم هذه الأنواع من التطور . وكذلك قل إن الرومان مدينون لليونان بتطور آدابهم ، وقل إن الأمم الأوربية مدينة بتطور آدابها لهذه الحركة التى حدثت فى عصر النهضة ، فأظهرت الإيطاليين وغير الإيطاليين على آداب اليونان والرومان .

ويطول القول إذ أردنا أن نذكر أثر الاختلاط بين الأمم الأوربية نفسها فى الآداب الأوربية الحديثة ، وقد حرم العرب هذا الاختلاط ، فحرم الأدب العربى نتيجته ، وهى التجدد المنتج ، ولهذا لم يعرف العرب من الشعر إلا ما ورثوا عن أهل البادية ، فجهلوا الشعر القصصى ، والشعر التمثيلى ، وجهلوا من الشعر الغنائى نفسه فنونا كثيرة وضروبا مختلفة ، ومع هذا كله فقد تطور الشعر العربى ، وتجدد تجددا ما ، فيجب علينا أن نعرف ما حقيقة هذا التجدد وما قيمته ، وأين يوجد الفرق الواضح القوى بين الشعر العربى الجديد والشعر العربى القديم ، وموعدنا بهذا الفصل الاتى)– [1]

يرى القارئ أن المقال النقدى السابق تناول قضية الصراع بين القديم والجديد معلنا ان ما حدث من تغيير فى القرن الأول والثانى للهجرة فى مظاهر الحياة العربية أقتصر أثره على اللفظ والمعنى فى القصيدة العربية رغم أن التجدد الذى حدث مدعاة لتفجير آيات الإبداع الفنى الشعرى وقد فسر د. طه حسين سبب ذلك من زاويتين :–

---

[1] حديث الاربعاء – طه حسين – دار المعارف ص ١٣:٩

(١) ان الحياة العربية قد تطورت تطورا كاملا وأن الشعر العربـــى قـد تطور معها تطورا ما .

(٢) ان تطور الشعر لم يكن مناسبا لتطور الحياة فى جميع فروعها .

ثم طرح فى هذا المقال النقدى أمام القارئ مؤثرين :ـ

الأول يتعلق بالحضارة وأدواتها

الثانى يتعلق بالدين واللغـــة

وبين أن بعض الشعراء الذين تحرروا كانوا موضع سخط من الأئمـة والعلماء مما شجع التيار المحافظ على استمرار قيوده وقد ساعده أيضا وقـوع المحن وانتشار الدسائس بين الشعراء والفقهاء والفلاسفة والمفكرين يضـــاف إلى هذه القيود عزلة الأدب العربى عن الأداب الأجنبية :

" كل هذه الأسباب جعلت تطور الأدب عامة والشعر خاصة . بطيئـــا قليل الانتاج ولكن كان هناك سببا نعتقد انه هو السبب الأساسى الذى حال بين الشعر العربى وبين ما كان ينتظر له من التجدد ، هذا السبب هـو أن الأمـة العربية لم تعرف من آداب الأمم الأخرى شيئا يذكر .... ويطول القـول إذا أردنا أن نذكر أثر الاختلاط بين الأمم الأوربية نفسها فـــى الأداب الأوربيـة الحديثة .... " (١)

---

(١)حديث الأربعاء طه حسين ص ١٢ ، ١٣ بتصرف .

(١) أخبار الأدب ـ العدد (٣٣٩) - ٢٠٠٠/١/٩ ص ١٢ ، ٣ .

(٢) اخبار الادب ـ العدد (٣٤١) ٢٠٠٠/١/٢٣ رئيس مجلس إدارة أخبـار الأدب إبراهيم سعدة ، ورئيس التحرير جمال الغيطانى

لقد طرح المقال النقدى السابق قضية الصراع بين القديم والجديد وذكر أسباب انتصار التيار المحافظ ثم طالب بضرورة الانطلاق التجديدى عن طريق الاتصال بالآداب الأخرى مع الحفاظ على القيم .

وهكذا فالمقال النقدى يعرض القضية ويناقش ما فيها من سلبيات وايجابيات مع عرض العناصر الحية التى تساعد على النهوض .

كما يعرض المقال النقدى الفكرة الأدبية من منطلق الانفتاح العالمى على قضايا الأدب العربى ومن هذا ما عرضته صحيفة أخبار الادب . مثل (حول كأس الحداثة وريادة الشعر الحر رسالة إلى الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى وقد كتب :-
أختبار الأدب تدعو كتابها من كل أنحاء الوطن العربى للإسهام فى (ميدان الاداء) حول قضايا الثقافة والابداع والهموم المشتركة ، و(ميدان الاداء) يحب بكل الاتجاهات والتيارات دون أى قيود .

ثم عرض المقال دور لويس عوض فى حركة التجديد الشعرى وزيادة أحمد عبد المعطى حجازى إلى جانب مسائل فى الأساليب النقدية للشعر وما يتعلق بها من موضوعات خاصة بالعقيدة النثرية وتجاوب العثور على صياغات ايقاعية ومصالحات تعبيرية بين العمود والتفعلية والنثر [1] ومن المقالات النقدية الجيدة التى وردت فى أخبار الأدب (السمة الاستعراضية لثقافتنا هل تهدد رياضة مصر الثقافية) وهو من المقالات النقدية الواعية

---

[1] اخبار الأدب العدد ٣٤١ /٢٣ يناير ٢٠٠٠ م ص ١١ .

ناقش فيه د. محسن خضر المعطيات الثابتة للثقافة والسياق المتغير وقد ذكر في مقدمة مقاله ان ما يكتبه من باب النقد الذاتي جاء في هذا المقال :-

(" عودة إلى المسألة المصرية بكثير من روح الصراحة وقسوة النقد الذاتي تتجمع الشواهد وتثرى التساؤلات وتتجمع الملاحظات لتصب قناة واحدة تشكل مياهها سؤالا كبيرا : هل فقدت مصر ريادتها الثقافية ؟ في المنطقة العربية ؟

لا أمل من المراغه وإخفاء السؤال المحرج وتعطيل تدفقه وانفجاره معا.

الأمر جد خطير وخاصة أن متغيرات السنوات الأخيرة في مصر والمنطقة والعالم تعزز من جدية السؤال ومن رجحان إجابيته .

إن الريادة الإقليمية محصلة قوتين : المعطيات الثابتة والعوامل المتحولة الديناميكية .

والمعطيات الثابتة حول ريادة مصر القومية مسألة محسومة سننظرها مجدداوهيتجسم مسألة الريادة القوميةالسياسية والثقافيةوالعسكريةلصالح مصر

إما مثار الجدل فهي العوامل المتحولة والتي توظف لتعظيم الثابت أو تحجيمه وإضعافه وأحسب ان وجه الخلل في الموقف الثقافي المصري يعود إلى العوامل المتحولة الإدارة السياسية للمعطيات الثابتة) .

وبعد :-

فالمقال النقدى يناقش السلبيات والايجابيات وقـــد يعــرض القضايـــا الناجحة من منطلق الحث على تفجير الطاقات الفكرية والعناصر الإبداعيـــة الخلاقـــة .

مقال السيــــرة :-

وهو نوع من المقالات يركز الضوء على الحديث عن انسان مشـــيرا إلى صفاته ، وأخلاقه وسلوكياته و ريادته فى المجال الذى أبدع فيه سواء كان من الزاوية السياسيـــة او الاقتصاديـــة أو الثقافية أو الأدبيـــة ومــــن مقـــال السيرة (أبو بكر لأحمد آمين أبو ذكر الغفارى [1]عاطف بركات[2] أبو عبيـدة ابن الجــــراح [4] وصـــلاح الديــن الأيوبــى [5] وقاســم أميــن الفنـــان للعقاد والذى قال فيه[6] :-

(قاسم أمين من رجالنا القلائل الذين تعرفهم حق معرفتهم فتســـأل : ماذا يكون هذا الرجل لو لم يكن من رجال القضاء والقانون ؟.

والمقاييس التى يقاس بها الرجال الممتازون كثيرة لا تحصى ، لأنـــها تتعدد كما تتعدد جوانب العظمة والنبوغ فى هؤلاء الرجال ، ولكن سؤالك عن رجل منهم : ماذا يكون لو لم يكن كما عرفناه - هو ولا ريب واحد من تلـــك المقاييس الكثيرة ، لأن الرجل الذى لا يخطر لك أنه يصلح لشئ غير وظيفتـه

---

(١)فيض الخاطر - أحمد أمين - الجزء الثالث الطبعة السابعة ١٩٧٤ م ج٣ ص ١٨٣ .

(٢)المرجع السابق - ج١ ص ١٥١ .

(٣)المرجع السابق - جـ ١٠ ص ٩٦ .

(٤)المرجع السابق - جـ ١٠ ص ٨٩ .

(٥)المرجع السابق ج ١٠ ص ٩٢

(٦) بين الكتب والناس - العقاد - دار المعارف ص ٢٦٩ .

التى تولاها هو إنسان محدود خلو من تعدد الجوانب وسعة الأفق والاستعداد لأكثر من عمل فى الحياة ، وعلى نقيضة كل رجل يوحى إليك ان تسأل كيف يكون لو لم ينصرف إلى عمله الذى اشتهر به ، فإنه يوحى إليك بذلك لأنك قد شعرت بجوانبه المتعددة وعرفت له ملكات لا تنحصر فى وظيفة واحدة .

وهكذا يسأل عن قاسم أمين من عرفوه بالمعاشرة أو عرفوه بالقراءة: ماذا يكون لو لم يكن قاضيا من كبار القضاة ؟

وأحسب أن الجانب القريب إلى هذا السؤال أنه مطبوع على الفن الجميل ، فلو لم يكن قاضيا ممتازا لكان نابغة معدودا من نوابغ الفنون فى هذه البلاد .

نعرف الفنان المطبوع من يقظة شعوره ودقة ملاحظته وغلبة العاطفة عليه . ونعرفه من شغفه بالفن الجميل ونظرته العالية إلى أثره فى تهذيب النفوس وترقية الأمم .

و نعرفه من ميله الفطرى إلى تجسيم المعانى وإبرازها فى الصور المحسوسة والنماذج التى تصاغ كالتماثيل .

ونعرفه من عنايته بالصور والأشكال فى تجاربه ومشاهداته كأنما يجتمع من أوصافه متحف عامر بتلك الصور والأشكال .

وقد كانت كل خصلة من هذه الخصال معروفة مألوفة فيما كتب قاسم من المذكرات والتعليقات ، كما كانت معروفة مألوفة فى كتابية تحرير المرأة

والمرأة الجديدة ، وكلاهما عامر بلمسات الريشة الوصافة ، مع أنهما من كتب البحث والبرهان .

كان يكتب لنفسه فى مذكراته " من أعظم ما يصاب به المرء أن يحرم من الذوق السليم " وكان يعرف الذوق السليم فيقول إنه هو هــــذا الإحســـاس الفطرى الذى ينمو و يتهذب بالتربيـــة . هو الشعاع اللطيـــف الـــذى يـــهدى صاحبه إلى أن يقول ويفعل ما يناسب المقام ويجتنب ما لا يناسبه " .

وكان الشعور المشبوب عنده هو لباب الحياة ، فلا شئ عنده " يشـــبه العشق فى عنفوان نشأته . إذا هجم هذا المستبد القاهر ارتعدت له الفرائـــص وحصر اللسان واختبل العقل وخلا الطريق أمامه فوصل إلى القلـــب بوثبـــة واحدة أو بوثبات متعددة ، ومتى احتله تمدد فيه وانتشر وملأه برمته فلا يقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفا بجانبه .. فإذا تمكن من النفس على هـذه الحال وقبض على زمامها رضيت بعجزها وشكرته على أسرها واغتبطـــت برقها ووجدت فى اتصالها بنفس أخرى قوة وفرحاً وسعادة لم تر مثلها " .

ويكتب فى مذكراته عن العشق غير ذلك أن العاشـــق يشـــعر " بلـــذة ساحرة إذا كان محبوباً ، وإذا كان غير محبوب وجد فى ألمـــه لـــذة أخـــرى مشابهة للسكر من تنبه فى الأعصاب وسرعة فى دورة الدم وانفعالات شـديدة فى النفس ... زيادة محسوسة فى مبلغ الحياة كلاعب القمار يتمتـــع بارضـــاء شهوته فى الربح وفى الخسارة " .

أما شغفه بالفن الجميل فحسبك من كتاباته الكثيرة التى تنـــم عليـــه أو تشير إليه قوله إن " أكبر الأسباب فى انحطاط الأمـــة المصرية تأخرها فـــى

الفنون الجميلة : التمثيل والتصوير والموسيقى .. هذه الفنون ترمى جميعاً على اختلاف موضوعها إلى غاية واحدة هى تربية النفس على حب الجمال والكمال ، فإهمالها هو نقص فى تهذيب الحواس والشعور " .

وأدل من هذا على ملكته الفنية المطبوعة أنه كان مولعاً بتمثيل المعانى والخوارج فى الصور المجسمة كما يقول عن السعادة : " كلما أردت أن أتخيل السعادة تمثلت أمامى فى صورة امرأة حائزة لجمال المرأة وعقل الرجل ".

وشبيه هذا أنه يتصور الناس كأنه ينظر إليهم فى مصنع الخلق والتكوين ، فيقول عن بعضهم إنك " متى رأيتهم أو سمعتهم تشعر بنقص فى خلقهم كأنهم صنعوا بغاية السرعة فلم ينالوا حظهم من الإتقان المعهود".

ولم يكن قاسم من أصحاب المطولات فى الكتابة ، ولكنك إذا تصفحت الرسائل المعدودة التى تركها وجدتها حافلة بالنماذج والصور والمناظر على اختلاف الألوان .

هنا الموظف فلان بك الذى يرشح نفسه كل يوم ثلاث مرات عند الخديوى وعند المعتمد البريطانى وعند أحد النظار أى الوزراء .

" ... إذا كان فى مجلس وتحقق أنه يكره الانكليز كان أول من يذمهم ، وإذا وجد نفسه فى جمعية إنكليزية كان أول من يذم أبناء جنسه " ... صادفته مرة بين قوم من الفرنساويين يقول لهم " آه لو كان الفرنساويون هم الذين دخلوا بلادنا لكنا أسعد الناس ، فإن المصرى ميال بطبعه إلى الفرنساوى ونحن نعتبر أن كل تمدننا هو عمل الأمة الفرنساوية .. يقول للسورى إنه لا

يفهم معنى كراهية المصريين لهم وإنه لا يحب التمييز مطلقا بين أفراد أمتين تجمعهما جامعة واحدة ، ويقول للقبطي إنه ممن يبغض السوريين ويعلم سر كراهة المصريين لهم . ولكن الأقباط والمسلمين أمة واحدة فيلزم أن يتحد الفريقان .. وهذا الشخص يظن أن علم السياسة العملية هو غش الناس بكل وسيلة ، ومن الغريب أنه يحفظ لنفسه مكانة بهذه الطريقة ولا يكشف حقيقة أمره إلا نفر قليل ، إذا تكلمواضاع صوتهم الضعيف " .

ويلتفت من صورة السياسي الوصولي إلى صورة الوجيه الوصولي الذي يرشح نفسه للمكانة الملحوظة في المجتمع ، فهو " إذا أراد أن يفعل الخير انتهز الوقت المناسب لإعلانه ، فإذا رأى شهودا وضع يده في جيبه وأخرج كيسه وعد النقود ووضعها ببطء في يد صاحبة بعد أن يراها الحاضرون ، ولكيلا يبقى عندهم شك في مقدارها يقول لمن تفضل بمساعدته: خذ هذه الجنيهات العشرة .. فإذا خرج هذا المسكين التفت إلى من حوله وشرح لهم عواطفه وحنوه واعتياده عمل البر .. وكلما اجتمع في نهاره بواحد من معارفه أوجد مناسبة ليقص عليه خبر هذا الحادث العظيم " .

وعلى هذا النحو صورة الشيخ الفضولي في الوليمة :" اذ دخل علينا زائر في المشايخ فاضطر صاحب المنزل إلى أن يدعوه إلى الأكل معنا فدخل أمامنا واختار لنفسه أحسن مكان وكان أول الجالسين .. جلس على الكرسي القرفصاء فانفتح قفطانه وظهرت سراويله ، ثم برم كم القفطان والقميص الذي تحته برما شديدا فانكشف الساعد والمرفق فتمثل لي جالسا في مكان من الميضاء يستعد للضوء .. اشتغل بالأكل ولم ينطق بكلمة أو يصغ لحديث ، ولما كان بعيدا عن المائدة كان كلما تناول شيئا من الطعام سقط بعضه على

ملابسه ، وكان يلقى العظام على مفرش المائدة فلما امتلا بطنه أخــذ ينكــش أسنانه ويخرج منها فضلات الأكل فيقذفها من فيه بقوة يمينا وشمالا ، وبينمــا نحن شاخصون إلى حركات هذا الشيخ صاح أحدنا : آه يــا عينـــى !. وقــام واضعا يده على عينه .. فالتففنا حوله وسألناه الخبر فأخبرنا بأن قطعة مـــن العظم دخلت فى عينه ... فتأملنا فلم نجد فيها أثرا ... فضحك وقال : إنها نفذت فيها وخرجت من الجانب الأخر " .

وعلى هذا النحو صور شتى من قبيل صورة الموظف فى الديوان ، أو السيدة فى الطريق ، أو أرباب المعاشات ، أو ليلة الزفاف ، أو العاصمة يـوم تنفيذ الحكم فى قضية دنشواى ، أو العاصمة يوم تشييع مصطفى كـــامل ، أو مجامع باريس فى الأندية والمحافل ، أو ما شابه هــذه الصــور الفرديـــة والاجتماعية حيثما وقع عليها بصره الحصيف ونفذت إليها قريحته الثاقبـــة ، فلا تعبرها واحدة بعد أخرى إلا تخيلت " الفنان " وقد تنقل فى جولاته واحتقب دفتره وأعد ريشته ليباد المناظر حيث تلتقطها عيناه ، فيثبتها فى صفحة بعـــد صفحة قبل أن يمحوها النسيان .

لا أزال أذكر الساعة التى سمعنا فيها نعى قاسم بعد سهرته فى نـــادى المدارس العليا الذى كان يتعهده ويشرف عليه .

كان ذلك فى مثل هذا اليوم فى مثل هذا الشهر قبل ثلاث وأربعين سنة ، وكان عمره ثلاثا وأربعين سنة يوم فارق الحياة .

وتجدد الحديث عنه اليوم لذكر وفاته ولكثرة المتحدثين فى هذه الأيـــام عن حركات النساء المطالبات بحقوق الانتخاب .

قال لى قائل : ألا تكتب عن قاسم أمين وقد كتبت عن صديقة سعد زغلول ؟ .

قلت بلى ! ومن تمام التقدير للرجل ألا أكتب عه فى هذه الناحية التى ظن بعضهم أنه لا ناحية له غيرها .

من تمام التقدير لقاسم أمين أن نذكره مرة أو مرات لغير تلك المناسبة التى تقترن باسمه على الدوام وهى مناسبة تحرير المرأة .. فهو أكثر من مصلح وأكثر من قاض : هو مصلح وقاض وفنان .

تحدث العقاد فى مقال السيرة السابق عن مكانة قاسم آمين الفنية والتى تتجلى فى يقظة شعوره ودقة ملاحظته.وعواطفه الجياشة وتصويره المبدع للمعانى وذوقه الرفيه وقدرته الفريدة على تشكيل المشاهد الناطقة واللوحات المعبرة .

وقد ذكر بعض كتاب الأدب ان مقال السيرة يعنى أن (يترجم الكاتب فيه سيرة انسان حى ، ويعكس مدى تأثره به ، وانطباعه عنه ، والكاتب فيه يعتمد على حسن التنسيق وجلال التعبير حتى تبدو الشخصية الموضوعية كأنها تحدثنا [1]

والواقع أن مقال السيره يتناول الإنسان بصفة عامة وقد يتناول الكاتب أثناء العرض درجة إعجابه بصاحب المقال .

---

(١)المقال وتطوره فى الأدب المعاصر د / سيد مرسى ص ٧٥ بتصرف

<u>**المقال التأملي**</u> :-

يصور المقال التأملي الحياة بما فيها من جمال ساحر وأسرار دقيقة تجذب الفكر وتحرك الخيال وتثير التأمل وتناجي المشاعر وتنتقل بالإحاسيس بين ساحات خصبة تثمر ألوان العطاء الفكري الذي يغوص في أعماق المشاهد ومن هذا النوع مقال نظره في الكون لأحمد أمين استلها بقولة:

(ما أجمل الطبيعة ، وما أجلها ، وما أحكمها وما أغناها !

هذه حبة واحدة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، وإن لكم في الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونه - من بن فرث ودم - لبنا خالصا سائغا للشاربين ، وهذه الارض يصيبها الماء فتخرج من الأزهار ومن بدائع الألوان ، في الجبال وفي الوديان وفي الغابات ، وما يسحر العين ويأخذ باللب وهذا المحار في البحار ينشق عن نصفين منسجمين متساويين في النقوش والألوان والتعاريج يعجز عن تلقيدهما أمهر فنان ، وهذا الفم الذي يأكل ويقضم يخرج الدر من الحكم ، والطيب من الكلم ، وهذه الشجرة العظيمة الضخمة خرجت من بذرة ، وهذا الإنسان العجيب نشأ من ماء مهين ! .

وهو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن في ذلك لاية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، إن في ذلك لأيات لقوم يعقلون . وما ذرا لكم في الأرض مختلفا أوانه ، إن في ذلك لأية لقوم يذكرون . وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجون منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون . وألقى في الأرض رواسى أن تميد بكم وإنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ، .

وهكذا من ملايين وملايين من العجائب ، قلل عجبنا منها إلفنا لها وانسنابها .

ومن أعجب هذا الباب ما يأتى من باب الغرائز فهذا ضرب من الأسماك يسافر الآف الأميال إلى حيث يجد المكان الملائم لنسله ، فإذا ماتت الكبار عادت الصغار إلى مكان آبائها بهاد من غريزتها . وهذه الطيور تحشد فى الربيع والخريف جماعات ، وتقطع الجبال الشامخة والبحار الشاسعة لتصل إلى الأقاليم الملائمة ، ما الذى دلها على الطريق فى ذهابها وايابها ، ولا علامات ولا دلالات ؟ إنها الغريزة العجيبة التى تدل حمام الزاجل على مأواه والقط على مسكنه ، إنها الغريزة التى تحمل كل حى من نبات وحيوان وإنسان على ان يأتى بمختلف الوسائل والأعاجيب ليحفظ نفسه ويحفظ نوعه.

إن أعمال الطبيعة وأعاجيبها ونظامها ودقتها فوق أفهامنا ، وفوق منطقنا وتفكيرنا وتعلينا ، كل مما لا يرى إلا بالمكر سكوب ، أو كبير يرى بالتليسكوب ، يحيى حياة عجيبة يدق سرها عن الفهم ، ويقصر عن إدراكها العقل ، الحبة فى الأرض ، والذرة فى الهواء ، والسمكة فى الماء والنجم فى السماء .

وصدق الجاحظ إذ يقول : " ولو وقفت على جناح بعوضه وقوف معتبر ، وتأملته تأمل متفكر ، بعد أن تكون ثاقب النظر ، سليم الألة ، غواصا على المعانى .. لملأت - مما توجد العبرة فى غرائب - الطوامير الطوال ، والجلود الواسعة الكبار ... ولتبجست عليك كوامن المعانى ودفائنها وخفيات الحكم وينابيع العلم ... وقد قال تعالى : (ولو أن ما فى الأرض من شجرة

أقلام والبحر يمده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله) . والكلمات في هذا الموضع ليس يريديها القول والكلام المؤلف من الحروف ، وإنما يريديها النعم والأعاجيب ، وما أشبه ذلك ، فإن كلا من هذه الفنون لو وقف عليها رجل رقيق اللسان صافي الذهن صحيح الفكر تام الأداة ، لما برح أن تحسره المعاني وتغمره الحكم .

ولكن بجانب هذه المعاني اللطاف والعجائب التي لا تنتهي ، نرى الطبيعة كذلك تقسو ولا ترحم ، لا تعبأ بالأم يصيب الأحياء ، كأنها الة عمياء ، سلحت القوى ومكنته من الضعيف والضعيف من الأضعف ، هذا الأسد يصيب الذئب فيأكله ، والذئب يصيد الثعلب فيأكله ، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله ، والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها ، والأفعى تصيد العصفور فتأكله ، والعصفور يصيد الجراد فيأكله ، والجراد يصيد فراخ الزنابير فيأكلها ، والزنابير تصيد النحل فتأكلها ، والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها ، والذبابة تصيد البعوضة فتأكلها ،، والإنسان سلط على الجميع ، وسلط بعضه على بعض ، إنها لا تندم على ايلام ولا تحزن لموت ، ولا تعبأ أن تكون كلها ساحة قتال ، تسلح الغالب والمغلوب والقوى والضعيف ، ثم تقف متفرجة على القتال والالتهام ، والتنكيل والالام كأن الأمر لا يعينها في قليل ولا كثير ، وضعت الشهوة في كل حي وأخضعت لها القوة والمكرو الحيلة ، وأطلقت لكل أولئك العنان في والمنافسة والمحاربة ، واتخذت ذلك قانونها ودينها في كل شئ ، من أصغر حيوان إلى أعظم إنسان ثم نفضت يدها من كل ذلك ، ووقفت تسجل ولا تتدخل ، بل تمد هؤلاء وهؤلاء ، حتى يفتر النزاع ويبطل الخصام.

هذه امة آمنة مطمئنة تلهو وتلعب ، وتعمل وتسعد ، تثور عليها الطبيعة ببركانها وتجعلها فى لحظة حمل وهذه مدينة جميلة بسكانها وما عليها زلزت بها الأرض فخسفت وأصبحت كأن لم تغن بالأمس ، وهذا مركب بعد خير إعداد ، ويوسع أكبر سعة ، ويجهز أحسن جهاز ، فيبتلعه البحر بمن عليه فى لمحة ، وهذه الأمراض تنتاب الإنسان فلا ترحم طفلا صغيرا ولا شيخا هرما ، ولا ترأف بالأم فى وحيدها ، ولا بالأسرة فى عائلها ، وهذا الموت سلط على كل حى ، فذهب بلذته ، وطاح بأمله . وهذا الإنسان لعبت به غرائزه ، فأشعل نيران الحروب ، وأقام كل حين مجزرة هائلة مفزعة ، وهكذا حتى أصبحت لذائذ الكائن الحى - وسط هذه الأمواج من الآلام - لحظات خاطفة ، ولمعات كوميض البرق .

نقرأ الصفحات الأولى من الطبيعة ، فترى الجمال والجلال ، والحسن والانسجام ، والعظمة ودقة الصنع ، وعجائب الغريزة ، وتقرأ الصفحات الثانية فنرى القسوة والفظاعة والتعذيب والإيلام .

ومن قديم حار العقل فى تفسير هذه الظواهر المتناقضة كيف يكون من الطبيعة بجانب هذه الحكمة هذا السفه ؟ وكيف يكون بجوار هذه الرحمة هذه القسوة ، وكيف يكون مصدر هذه اللذائذ مصدر هذه الآلام .

لقد ذهب بعض علماء الدين إلى أن نقمة الطبيعة من غضب الله على الإنسان إذا خالف أمره وارتكب ما نهاه عنه ، ولكن - مع الأسف - لم نر هذا مطردا ، فقد ينعم فى هذه الدنيا الماكر المخادع ، والغادر المنافق ، ويالم المؤمن الورع والتقى الصالح ، وكما قال الأول :

قد يقتر الحول التقـــــ ى ويكثـــر الحمق الأثيـــم

ومن أجل هذا جرى على ألسنة الناس المثل المعروف فالمؤمن مصاب وذهب بعض الطبيعين المحدثين إلى أن الألم يصيب الإنسان إنما هو تحذيـــر من الأخطار المستقبلة ، فصداع الرأس علامة مرض تنبه الإنسان إلى وجوب ملافاته ، والمغص كذلك ، والرمد كذلك ، وهذا التعليل أيضا ليـــس صادقـــا دائما ، وان صدق فى الأم الإنسان فما تفسير إيلام الطبيعة بأحداثها ؟

واذكر أنى قرأت مرة قولا طريفـــا لبعـــض المفكريـــــن فـــى هـــذا الموضوع ، خلاصته أن موضع الخطأ فى هذا السؤال هو أن الإنسان يريـــد أن يطبق اخلاقيته على أخلاقية العالم ، فهو يسمى بعض الأعمـــــال رحمـــة وبعضها قسوة ، وبعضها نعمة وبعضها نقمة ، وبعضها لذة وبعضـــــها ألمـــا ولكن هذه التسمية صحيحة بالنسبة له فقط وبمقياسه هو فقـــط ، ولكـــن وراء عالمه الإنسان عوالم أخرى فى الأرض ، ووراء عوالم الأرض عوالم الأعداد لها فى غير الارض . أليس من غرور الإنسان أنه يريـــد ان يطبـــق العـــدل والظلم فى العالم حسبما يدرك بنظره القاصر وفكـــره المحـــدود ، يريـــد أن يخضع العوالم الواسعة العالمة الضيق ، ويريد أن يطبق قوانين العالم الكليـــة على قوانينه هو الجزئية ؟

وهو جواب ماهر لم أستطع أن اقف أمامه موقـــــف تـــأييد او تفنيـــد ومشايعة أو معارضـــة

يظهر لى أن موضع الخطأ فى فهم هذه المسألة أنهم يعرضون مشـــكلة الآلام وحدها ويريدون حلها وهى لا يمكن أن تفهم إلا إذا عرضت الدنيا كلـــها

على أنها وحدة . وكيف نفهم الأبيض من غير أسود ، والحرارة مـــن غـير برودة ، والطول من غير قصر ، والعمى من غير بصر ؟

كذلك الآلام لا يمكن أن تفهم إلا على أنها جزء لا يستغنى عنه مـــن نظام هذا العالم ، ولو انعدمت الآلام لانهار نظام هذا العالم من أساسه .

ان الفضيلة لا يمكن ان توجد فى هذا العالم إلا إذا وجدت الرذيلـــة ، فلا نفهم الإيثار حتى نفهم الآثرة ، ولا توجد البطولة حتى توجد النذالـة ، ولا العدل حتى يوجد الظلم ، ولا الشجاعة حتى يكون الجبن ، كذلـــك لا يوجـد الحب من غير عذاب . ولا اللذة من غير ألم ، ولا التوبة من غير إثم .

ولو انعدمت الآلام والرذائل والأثام ما كانت الفضـــائل العاليـة ، ولا الأعمال النبيلة ، ولا أعمال البطولة التى يتغنى بها الشعراء . ولو انعدم القبح لا نعدم الجمال . ولولا الأشقياء ما كان السعداء .

لا معنى لانى أحب من أحب إلا إذا اشتمل ذلك على الألم ، فمعنى أن أحبه أنى أشاركه أحزانه وأخاف عليه الأذى يناله ، وأخاف انقطاع الصلـــة بينى وبينه ، وهل هذه كلها إلا الام إذا ذهبت ذهب الحب .

اذ احتمال الآلام فى هذه الدنيا كان لنا منه أكبر الفضائل ، من حـــزم وصبر وثقة بالنفس وتضحيـــة للخير وعذاب للإصلاح ، ولولاه ما كانت . .

لولا عواطف الألم ما كان شعر ولا فن ، ولا نحت ولا موســـيقى ولا تصوير ، ولامعان إنسانية ، ولا وطنية ولا قومية .

فلو كان العالم كما يتطلبه العامة خاليا من الآلام لكان بالطبيعة أيضا خاليا من اللذائذ ، ولو كان خاليا من الرذائل كما يبغون لخلا أيضا من الفضائل .

إذ لا يمكن ان تتصور لذة بدون ألم ، ولا فضيلة بدون رزيلة .

إن عالمنا هذا بنى على الخير والشر ، واللذة والألم ، والفضيلة والرذيلة والسعادة والشقاء ، وكل منهما كأحد جانبى الوجه لا يكمل إلا بجانبه الآخر . ولا يفهم إلا بالأخر . فمن أراد عالما لا ألم فيه ليطلب فى غير هذا العالم ، وعلى غير هذا النظام كله) .

وتبارك الله رب العالمين [1].

عندما يعيش القارئ فى رحاب مقال (نظرة فى الكون) يرى أن الكاتب تأمل مظاهر الطبيعة من حوله فنظر إلى الساكن منها والمتحرك نظرة المتدبر الواعى حيث تحدث عن السنبلة والأنعام والأزهار والجمال والوديان والغابات والمحار فى البحار وما تتسم به من جمال الألوان والنقوش كما أشار إلى هيئة الفم الذى يأكل ويقضم ويخرج الدر من الحكم والطيب من الكلم كما تحدث عن الشجر الأخضر الضخم وكيف تفتح من بذرة ويعلن صاحب المقال التأملى أثر نظرته للسماء ومالها من أسرار وإعجاز فمنها ينزل الماء الذى يجدد مظاهر الحياة على الأرض وفتنبت أشجار الزيتون ، والنخيل والأعناب كما تأمل عظمة خلق الشمس والقمر والنجوم والجبال .

---

(١) فيض الخاطر – أحمد أمين – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة السادسة ١٩٧٤م جـ ٢ ص٣٦.

ويستمــر تأمل الكاتب فى ملامح الكون فيصف منهج بعض الاسـماك والطيور والنباتات والحيوانات م منطلق الغرائز التى جهزها الله جـل عــلاه لحفظ أنواعها ثم يسترسل فى تأملــه عن غرائب الكون ليصل إلى قول الحق سبحانه وتعالى (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله)[١]

ويبين صاحب المقال أن لفظــة (كلمات) يراد بها النعــم والفضــائل والعجائب الربانيــة ثم يتحدث فى نظرة تأملية عن علاقة المخلوقات بعضــها ببعض وما يخيم على العلاقات من مظاهر الرحمة والقسوة والقوة والضعــف والأمن والفزع والجمال والجلال والحسن والانسجام واللذة والألــم والعــدل والظلم والفضيلــة والرزيلة والإيثار والأنانية والبطولة والنذالــة والشــجاعة والجبن وينهى حديثة التأملى بقولة :-

(إن عالمنا هذا بنى على الخير والشــر ، واللــذة والألــم والفضيلــة والرزيلة والسعادة والشقاء وكل منهما كأحد جانبى الوجه لا يكمل إلا بجانبــه الأخر ، ولا يفهم إلا بالآخر ، فمن أراد عالما لا ألم فيه فليطلبه فى غير هــذا العالم ، وعلى غير هذا النظام كله وتبارك الله رب العالمين) والمقال التــأملى يتناول ظاهرة كونية أو نفسية ويدرس أسبابها ليستنبط أسرارها وهو لهذا يعـد من مقالات أهل الفكــر .

---

[١] سورة لقمان أية ٢٧

المقال الوصفــى :-

يصف الكاتب فيه مظاهر البيئة التى أثرت فـــى نفســـه وحركـت انفعالاته وعواطفه وجسدت أمامه مشاهد ولوحات حية قاطعة ومـــن المقـال الوصفى (بجوار شجرة الورد) لآحمد آميـن قال فيـــه :-

(أخذت قلمى وورقى ، وجلست بجوار شجرة الـورد فـى حديقتـى الصغيره المتواضعه استمليها ، ما أكتب فأوحت إلى بهذه الخطرات .

هذه شجرة الورد تمتد وتشرئب وتتفرع وترتشف - فى نهم - ما تقدمه لها الشمس من ضوء وحرارة ، وتشرب كأس الحياة إلى الثمالـة .

فليت الناس يعملون عملها ، فيفتحوا قلوبهم للضوء والحرارة ، ويمدوا فروعهم ما استطاعوا ليمتصوا غذاءهم ، وينمو قواهم وملكاتهم ويشربوا كأس الحياة مترعــة .

وهذه شجرة الورد تمد جذورهــا ، وتفرز ما يعرض لها فتختار مـــا يصلحها وينفعها وتتقى ما يضرها ويسمها . فليت الناس يســيرون ســيرها ، ويعلمون أن حولهم غذاء صالحا يجب أن ينالوا منه ماوسعهم ، وان حولـــهم سموما يجب أن يتجنبوها ما أمكنهم وأن أمامهم كئوســـا مختلفـة الألـوان مختلفة الطعوم ، ومختلفة الصلاحية ، بعضها شراب صالح وقد يكون مـرا ، وبعضها شراب سام وقد يكون حلوا ، غذاء شجرة الورد سهل يســير ، فمـا عليها إلا أن تحول ما حولها إلى عناصر أوليــة فتمتص ماناسبها وترفض ما خالف طبعها ، ولكن غذاء الإنسان فى عواطفــه وميوله وغرائزه ومشاعره، مركب معقد ، حتى قد يكون الغذاء داء ودواء معا ، هذا الطموح الحالم يبعث على الجد ، وهذا التواضع النبيل يدعو إلى الخمول .

ها أنت قد تقيدت بطينتك ، ونزلت على حكم ترتبــك فــلا تســتطين الخلاص منها والخروج عنها جيدة كانت أو رديئـــة صالحــة أو فاســدة ، فوطنت نفسك على الرضا بما كان والانتفاع بالكائن حسب الإمكـــان ، ولــم تمنعك ذلك أن تثورى على ما قدرلك وتحاولى التخلص منه والتحايل عليــه ، فخرجت من ظلام الأرض إلى نور السماء ومن مقبرة الباطن إلـــى مســرح الظاهر ومن سكون الجذور إلى لعب الغصون ، ومن عبوس المنبـــت إلـــى ضحك الثمرة - وهكذا كان أخوك الإنسان ، خضع للقدر كما تخضعين وثـــار كما تثورين ، فاجتمع له جبر البيئة واختيار الإرادة ، وعمل على أن يخـــرج من الظلمات إلى النور وخلق من الطين ، وتطلع إلى السماء وبلغ من تطـوره أن كاد يكون ملكا كريما أو شيطانا رجيما ، وكل ميسر لما خلق له .

يعجبنـــى منك أنك دفنت فسكنت ، وتكونت فى الخفاء ولم تجزعى من الظلام ، ولم تظهـــر إلا بعد أن تم نضجك واكتمل وجودك ، واســـتطعت أن تغالبى الأحداث ، وتقفى أمام العواصف - فليت أخاك الإنسان يعمـــل عملـــك فيدفن نفســـه حتى تكتمل قواه ، ولا يظهر إلا بعد أن تتضح ملكاته ، ويحسن استعداده ، ويقوى على مصارعة الزمان ومغالبة الصعاب ؟ فمن ظهر قبل أن يتم نضجة لم يرج خيره ، والقيمة الحقه ولو قليلة ، خير من الشهرة الزائفـــة ولو واسعـــة .

أعجب ما فيك صبرك و عملك المتواصـــل حتـــى تـــأتى بـــالمعجزة ومعجزتك أنك رسمت خطتك فى صمت وسكون ومازلت تكدين وتجديـــن ، وتختنقين ثم تظهرين ، وإذا بك قد استخرجت الحمأ المسنون والطين الـــلازب ألوانا زاهية تستخرج العجب ، ورائحة عطر تنعش النفس ، وجمالا فتانا يأخذ

باللب فما أبعد مرماك أو ما أقدر على تحويل القبح إلى جمال ، والظلمة إلى نور وكراهة الرائحة إلى عطر ! فمن استطاع من الناس أن يأتي بمثل ما أتيت به فيفيض على الناس جمالا ونورا وشذى كان - ولاشك - عظيما أى عظيم.

يحدثني علماء النبات عنك أن أخطر الأوقات عليك وعلى أمثالك يوم يجرى الماء فى جذعك وعيدانك ، فإذا صادفك إذ ذاك جو شاذ من سموم أو صقيع كنت أشد تعرضا للهلاك - كذلك عصر الشباب أشد العصور على الإنسان خطرا ، إذ يجرى فيه ماء الحياة فيشعر بحرارة الشوق ، وحرارة العواطف ، وتتعرض حياته يومذاك إلى أشد الأخطار ، ويستولى عليه نوع من القلق خوفا من أن تتثلج عواطفه أو تقوده إلى المهالك هذه أنت زهرة وشوق كلاكما من بذرة واحدة تسقى بماء واحد ثم يجرى الماء فى الجذوع والأغصان ، فيكون مرة زهرة وادعة ضاحكة ، وتارة شوكة حادة قاسية عابسة فعلمتنا أن الجمال محفوف دائما بالأشواك وأن الخير دائما ممزوج بالشر ، والذى أنزل الكتاب فيه هدى ورحمة أنزل الحديد فيه بأس شديد ، ولابد أن يقلم شوكك ليكثر زهرك هكذا نفس الإنسان زهرة جميلة محاطة بالأشواك ويجب أن تقلم أشواكها ليتفتح زهرها ، فإذا أهملت وتكاثر شوكها كانت كلها شوكا لازهر فيه . ما أكثر نفوس الناس التى يجد الإنسان فى الهرب منها حتى لا يتعلق بأشواكها ، أولئك كل مظاهرهم ومخبرهم شوك لا خير فيه وشر لا نفع فيه . إن كل نفس تحيط بها أشواك من رغبات وشهوات وميول وإرادات وأعمال ، وما التهذيب والتربية والديانات ونظم الحكومات الصالحة إلا عمليات تتحد فى الغرض ، وهو تقليم هذه الأشواك لتتفتح الزهرة

جميلة نقيـــة تشع الخير والسرور والرحمـــة من حولها ، وبعض النفوس لم تقلم أو ساءت تربتها ، أوساء محيطها ، فكثر شوكها ، وقل انعدام زهرهـــا ، وبعض النفوس قلمت وصلحت تربتها فأنبتت الزهرة الجميلة يعجب لونـــها ، وينفتح عطرها ، فهى جذابـــة لمن رآهـــا أو سمعها أو قرب منها وهى بلسم لجراحات الزمان وطعنات السنان .

ها أنت يمر عليك دور تتكوين فيه لنفسك وتبحثين عن غذائك لنفســك وتمدين جذورك لنفسك وتتفرعين فروعا لنفسك ، وعلى الجملة تعيشين لنفسك ، فإذا أزهرت فقد وصلت إلى الغاية فتجاهلت نفسك لنفع غيرك ، ووزعـــت خيرك وجمالك على من حولك فملأت محيطك بعبيرك ، وأشـــععت جمـــالك على كل من له عين تنظر وقلب ينبض وهكذا أخوك الإنسان يبدأ حياته لنفسه ولا تشغله من الحياة إلا نفسه ، فهو أنانى مستأثر وقد يقع حياته كلها فى هـذا الدور فيكون مثلك إذا شوكت ولم تزهـــرى أما إن هـــو قطـــع دور أنانيتـــه وتوجه قلبه لخير الناس ، وحب الناس ، وأخذ يفكر ويعمل لنفع النـــاس أولا ونفسه ثانيا فقد بدأ يزهر ، وقد يصل به الخير أن يرى سعادته فـــى ســـعادة الناس ، أو أن يدخل السرور على الله بإدخال السرور على الناس ، فتكـــون وردته قد بلغت الغايـــة فى نفح الطيب وإشعاع الجمال - غمرتنـــى الشـــمس وغمرتها ، ورأيت من الذوق أن أتركها تنعم بحرارتها وضوئـــها فأســـتأذنت فأذنت ، ورجوتها أن تسمح بنشر الحديث ، فسمحت غير أنها أومأت إلـــى أن عندها أحاديث أخرى لا تسمح لكل الناس ، وأن معاينها تنوء بالألفاظ مـــهما

سلست ورقت ، وإنما تنتقل باللاسلكى من زهرتها المتفتحة إلى القلوب المنفتحة)[1]

يطالعنا مقال بجوار شجرة الورد بوصف حى لهيئة الشجرة ومنظرها البديع الساحر الذى ينتج من امتصاصها الصالح لغذاء جذورها وساقها وأوراقها وثمارها وبذورها وينبع ذلك من تكوينها الطبيعى واستعدادها السوى ثم يربط بين منهجها فى الحفاظ على كيانها وبين الإنسان وكيانه الذى يبنى من العواطف والميول والغرائز والطموح الجاد ونبل التواضع .

ويثنى أحمد أمين فى مقاله الوصفى على شجرة الورد لقدرتها على التكيف بظروفها والرضا التام بطبيعة تكوينها مما جعلها تبدد ظلمات الأرض وترتفع شامخة تتلجى أنوار السماء .

ويستمر الكاتب فى وصفه لشجرة الورد وما تتمتع به من عمل متواصل وصبر دائم وعطاء متجدد وخير يفوح بالإيثار على الكون وقد ربط الكاتب فى هذا المقال الوصفى بين طبيعة عطاء شجرة الورد والعطاء الإنساني فى وصف تحليلى بديع :-

أتت زهرة وشوق كلا كما من بذرة واحدة تسقى بماء واحد ثم يجرى الماء فى الجذوع والأغصان فيكون مرة زهرة وادعة ضاحكة وتارة شوكة حادة قاسية عابسة فعلمتنا أن الجمال محفوف دائما بالأشواك وأن الخير دائما ممزوج بالشر والذى أنزل الكتاب فيه هدى ورحمة أنزل الحديد فيه بأس شديد

---

(1) فيض الخاطر – أحمد أمين – مكتبة النهضة المصرية جـ٣ الطبعة السابعة ١٩٧٤م ص٢١٢ ٢١٥

ولابد ان يقلم شوقك ليكثر زهرك هكذا نفس الإنسان زهرة جملـــة محاطـــة بالأشواك ويجب ان تقلم أشواكها ليتفتح زهرها ، فإذا أهلمت وتكاثر شـــوكها كانت كلها شوكا لازهر فيه ما أكثر نفوس الناس التى يجد الإنسان فى الهرب منها حتى لا يتعلق بأشواكها أولئك كل مظاهرهم ومخبرهم شوك وشر لا نفع فيه إن كل نفس تحيط بها أشواك من رغبـــات وشـــهوات وميـــول وإرادات وكأعمال وما التهذيب والتربية والديانات ونظم الحكومات الصالحة إلاعمليات تتحد في الغرض وهو تقليم هذه الأشواك لتتـــفتح الزهرة جميلة نقيـــة تشـــع الخير السرور والرحمة من حولها وبعض النفوس لم تقلم أو ساءت تربتـــها أو ساء محيطها فكثر شوكها ، وقل أو انعدم زهرها ، وبعض النفـــوس قلمـــت وصلحت تربتها فأنبتت الزهرة الجميلة يعجب لونها ، وينفتح عطرهـــا فـــهى جذابة لمن رأها أو سمعها أو قرب منها –) .

والفقرة السابقة وصفت تأثر الكاتب بالطبيعة وسنتها التى تطابق ســـنة الإنسان فقد وصف النفس البشرية بالشجرة التى تحاط بالاشواك وأنـــها فـــى حاجة الى التوعية لتطهيرها لتثمر الصفاء القلبى والنقاء الروحى وقـــد ابـــدع •صاحب المقال الوصفى حينما صور النفس البشرية النقية بالزهرة الجميلـــة التى تشع الخير والسرور من حولها .

وهكذا فالمقال الوصفى يكشف تأثر الكاتب بمظاهر بيئتـــه العامـــة أو الخاصة فيتحدث عما فيها من ملامح جمالية وآيات ابداعية .

• فيض الخاطر – احمد أمين – جـ٣ – ٢١٤ .

ومن المقالات الوصفية البديعة مقال (جمال الطبيعة) للعقاد [1] حيث وصف جمال الطبيعة فى الربيع وأثر جمالها على المخلوقات .

والمقالات الوصفية تعتمد على استقصاء جمال مظهـــر من مظاهـــر الطبيعة الغناء في أسلوب تصويري يبعث على البهجـــة والتخيل .

[1] الفصول – العقاد – دار المعارف ص ١١٢ .

المقال الموضوعى :-

يعالج المقال الموضوعى كل ما فى الحياة من اتجاهات علمية ونظرية حيث ينظر إلية الكاتب بنظرة موضوعية فيتناول أفكاره ومعانيه بعيدا عن عواطفه الخاصه وانفعالاته الشخصية فيركز الضوء على مادة المقال معتمدا على الاستقصاء والاستنباط مدعما لمادة مقاله بالأدلة والحجج والبراهين والأراء الواعية وقد شجع على انتشار المقال الموضوعى وجود الصحف والمجلات التى اتسعت صفحاتها لجميع فروع العلم وبهذا شمل المقال الموضوعى العلوم الإنسانية والعلمية فسجل أفكاره فى التاريخ وعلم النفس والفلسفة والجيولوجيا والظواهر الطبيعية والمسائل الطبية والأحداث السياسية والمواقف العسكرية والفنون بأنواعها الصوتية والتشكيلية والتمثيلية والأدبية والنقدية والاجتماعية ... الخ .

والمقال الموضوعى ينبع من الأفاق الإنسانية التى يباشرها العقل المتفتح المتجدد والفكر المثقف ومن هذا النوع المقالات الآتية : يا شباب [١] العرب لمصطفى صادق الرافعى ، (قيمة الثقافة) [٢] (والجامعة كما اتصورها)[٣] ، (كتابة المقالات)[٤] لآحمد أمين .

---

[١] وهى القلم – مصطفى صادق الرافعى – ١٩٣٦/ص٢ ص ٢٥٨ .

[٢] فيض الخاطر أحمد آمين – جـ ١ – ص٢٥٧ ، ٢٦٠ .

[٣] فيض الخاطر أحمد آمين – جـ ١ – ص٦٥، ٦٩ .

[٤] فيض الخاطر أحمد آمين – جـ ١ – ص١٧٨ ، ١٨٣.

(والتمثيل فى مصر) [1] ، و(الثقة بالناس) [2] ، و(الرجاء)[3] و(الاحترام)[4] للعقاد و(الفن بين الصعودوالهبوط)[5] لأحمــــد حســـن الزيـــات ، و(حـــراس الشريعة) [6] لجمال بدوى ، (نقطة فوق حرف ساخن)[7] ...الخ.

ومن المقال الموضوعى (ياشباب العرب) للرافعى قال فيه :-

(يقولون : إن فى شباب العرب شيخوخة الهمم والعزائم ، فالشـــباب يمتدون فى حياة الأمم وهم ينكمشـــون .

وإن اللهو قد خف بهم حتى ثقلت عليهم حياة الجد ، فأهملوا الممكنات فرجعت لهم كالمستحيلات .

وإن الهزل قد هون عليهم كل صعبة فاختصروها ، فإذا هزءوا بالعدو فى كلمة فكأنما هزموه فى معركة .

وإن الشاب منهم يكون رجلا تاما ، ورجولة جسمه تحتج على طفولـــة أعمالـــه .

---

(١)مطالعات عباس العقاد ، دار المعارف – ص ٢٥٩ .
(٢)الفصول – عباس العقاد – دار المعارف ص ٤٩ .
(٣)الفصول – عباس العقاد – دار المعارف ص ٢٣٦ .
(٤)مطالعات – عباس العقاد – دار المعارف ص ٣٠٠ .
(٥)وحى الرسالة – أحمد حسن الزيات – جـ٤ ص ١٢٤ .
(٦)صحيفة صوت الازهر – العدد ١٨ /٢٠٠٠/١/٢٨ .
(٧)صحيفة المساء – ٢٠٠٠/١/٢٦م ص ١٠

ويقولون : إن الأمـــر العظيم عند شباب العرب الأ يحملوا أبدا تبعـــة أمر عظيم .

ويزعمون أن هذا الشباب قد تمت الألفـــة بينه وبين أغلاطه ، فحياتـــه حياة هذه الأغلاط فيه .

وأنه أبرع مقلد للغرب فى الرذائل خاصة ، وبـــهذا جعلـــه الغـــرب كالحيوان حصورا فى طعامه وشرابه ولذاته .

ويزعمون ان الزجاجة من الخمر تعمل فى هذا الشرق المسكين عمـــل جندى أجنبى فاتح .

ويتواصون بأن أول السياسة فى استعباد أمم الشرق ، أن يترك لـــــهم الاستقلال التام فى حرية الرذيله :

ويقولون : إنه لابد فى الشرق من التيـــن للتخريـــب ! قـــوة أوربـــا ورزائل أوربا .

يا شباب العرب ! من غيركم يكذب ما يقولون ويزعمون علـــى هـــذا الشرق المسكين ؟ .

من غير الشباب يضع القوة بازاء هذا الضعف الذى وصفوه لتكـــــون جوابا عليـــه ؟ .

من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة ، تكون المادة الأولي فيـــها : قدرنا لأننا أردنـــا ؟ .

ألا إن المعركة بيننا وبين الاستعمار معركة نفسية ، إن لم يقتل فيها الهزل قتل فيها الواجب ! .

والحقائق التى بيننا وبين هذا الاستعمار إنما يكون فيكم أنتم بحثها التحليلى ، تكذب أو تصدق .

الشباب هو القوة ، فالشمس لا تملأ النهار فى آخره كما تملؤه فى أوله.

وفى الشباب نوع من الحياة تظهر كلمة الموت عنده كأنها أخت كلمة النوم .

وللشباب طبيعة أول إدراكها الثقة بالبقاء ، فأول صفاتها الإصرار على العزم .

وفى الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة أثمارها ، وبعد ذلك لا تضع الأشجار كلها خشبا ...

يا شباب العرب ! اجعلوا رسالتكم : إما أن يحيا الشرق عزيزا وإما أن تموتوا .

أنقذوا فضائلنا من رذائل هذه المدينة الأوربية تنقذوا استقلالنا بعد ذلك وتنقذوه بذلك .

إن هذا الشرق حين يدعو إليه الغرب ، " يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ، لبئس المولى ولبئس العشير "

لبئس المولى إذا جاء بقوته وقوانينه ، ولبئس العشير إذا جاء برذائله وأطماعه أيها الشرقى ! إن الدينار الأجنبى فيه رصاصة مخبوءة ، وحقوقنا مقتولة بهذه الدنانير أيها الشرقى ! لا يقول لك الأجنبى إلا ما قال الشيطان: (وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى) .

يا شباب العرب ! لم يكن العسير يعسر على أسلافكم الأولين كان فـــى يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها .

أتريدون معرفـــة السر ؟ السر أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلــــوق ، فصاروا عملا من أعمال الخالق .

غلبوا على الدنيا لما غلبوا فى أنفسهم معنى الفقر ، ومعنى الخـــوف، والمعنى الأرضـــى .

وعلمهم الدين كيف يعيشون باللذات السماوية التى وضعت فى كل قلب عظمته وكبرياءه .

واخترعهم الإيمان اختراعا نفسيا ، علامته المسجله على كل منهم هذه الكلمة . لايذل .

حين يكون الفقر قلة المال ، يفتقر أكثر الناس ، تتخذل القوة الإنســـاية وتهلك المواهب .

ولكن حين يكون فقر العمل الطيب ، يستطيع كل إنســـــان أن يغتنـــى وتنبعث القوة ، تعمل كل موهبـــة .

وحين يكون الخوف من نقص هذه الحياة والآمها ، تفسر كلمة الخوف مائة رذيلة غير الخوف .

ولكن حين يكون من نقص الحياة الآخرة وعذابها ، تصبـــــح الكلمـــة قانون الفضائـــل أجمـــع .

هكذا اخترع الدين إنسانة الكبير النفس الذى لا يقال فيه انهزمت نفسه.

يا شباب العرب ! كانت حكمة العرب التى يعملون عليها " اطلب الموت توهب لك الحياة .

والنفس اذا لم تخش الموت كانت غريزة الكفاح أول غرائزها تعمل وللكفاح غريزة تجعل الحياة كلها نصرا ، إذ لا تكون الفكرة معها الإ فكرة مقاتلة .

غريزة الكفاح يا شباب ، هى التى جعلت الأسد لا يسمن كما تسمن الشاه للذبح .

وإذا انكسرت يوما بالحجر الصلد إذا ترضرضت منه قطعة كانت دليلا يكشف للعين أن جميعه حجر صلد .

يا شباب العرب إن كلمة (حقى) لا تحيا فى السياسة إلا إذا وضع قائلها حياته فيها .

فالقوة القوة يا شباب القوة التى تقتل أول ما تقتل فكرة الترف والتخنث.

القوة الفاضلة المتسامية التى تضع للأنصار فى كلمة (نعم) معنى نعم . القوة الصارمة النفاذة التى تضع للأعداء كلمة (لا) معنى لا .

يا شباب العرب ! اجعلوا رسالتكم : إما ان يحيا الشرق عزيزا وإما أن تموتوا) [١]

يرى المتلقى أن الكاتب حدد فكرته التى سيناقشها من العنوان (ياشباب العرب) وبدأ بعد النداء الذى يحمل نبرات العتاب وأصوات التحذير ثم

---

(١) وحى القلم – مصطفى صادق الرافعى الطبعة الاولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والانشر ١٩٣٦ ج٢ ص ٢٥٨ : ٢٦٢ .

يعرض موضوعه بأفكار مرتبة مرتبطة بالشباب ومشاكله وما نزل بهم من إهمال وتدهور وتكاسل وما حل عليهم من رذائل الغرب خاصة شرب الخمر وينادى الشباب بصوت حاد ليذكرهم بدورهم فى الحياة وما يجب عليهم التحلى به مثل الإصراروالعزيمة والقوة والإرادةوالثقة والصبر ثم يناجى فيهم شرف الشرق وما له من عزة وفضائل وقيم ويحذر من الاندماج فى عادات وتقاليد الغرب التى تعد بالنسبة للشرق رصاص دمار وقد أحسن عندما ربط بين تقاليد الغرب التى تتنافى وعادات وقيم الشرق بهذا التصوير الجيد .

(ايها الشرقى لا يقول لك الأجنبى إلا ما قال الشيطان " وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى) .

والكاتب هنا لا يرمى إلى أن الغرب كله شر وإنما يدعو إلى تجنب ما لا يناسبنا من عاداته وتقاليده مثلما كان يفعل أسلافنا الذين تميزوا بسلامة الفطرة وصحة الإرادة ووعى الاختيار وذكاء الفكر .

ويتنهد كاتب المقال الموضوعى ليستند على برهان تعليلى يبين فيه مكانة السلف :-

(كان فى يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها ، اتريدون معرفة السر ؟ السر أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق فصاروا عملا من أعمال الخالق) .

وفى العبارة السابقة دعوة للايمان بالقدرة الإلهية والتمسك بها ففى هذا التمسك المدد والعون والنصر والأمل فالدين بما له من قيم وقوانين قوة للنفس وشموخ للروح وغذاء للروح .

وفى المقال الموضوعى السابق اعتمد الكاتب علـــى تكـرار النـــداء (ياشباب العرب ليبين أن موضوعه سطره لهم لأنهم مـــدد الأمـــة وصرحـــها وعليهم أمانة الدفاع عنها وبناء كيانها .

وقد حذر الرافعى الشباب من الضعف والتخاذل والخـوف و دعـــاهم للتمسك بالإيمان اليقينى بما أنزل الله من قيم وحقوق وواجبات وبما رزقهـــم من قدرات ومواهب تفجر طاقات القوة الخلاقة ثم ختم مقاله بقولة :

(يا شباب العرب اجعلوا رسالتكم إما ان يحيا الشرق عزيزا وإمـــا ان تموتوا) .

والمقال الموضوعى السابق عالج بين سطوره لمحـــات مـــن الواقـــع المصرى الاجتماعى والسياسى ومقال الرافعى بما فيه من أفكـــار ومبـــادئ يتجدد عند أصحاب الفكر ورواد الدعوة فقد كتب د/طه مصطفى أبو كريشـــة رسالة لشباب مصر [(١)] فى مقال موضوعى تعرض فيه للحقوق والواجبـــات كما بين لهم الأســـرار التى تبنى الكيان الوطنى وتدعـــم العـــزة الإســـلامية والمصرية والعربيـــة وقد ذكر سيادته دور شباب الأزهـــر خاصـــــة فـــى تشييد القيم الدينية والاجتماعية [(١)] والمقال يحمل سمات الموضوعية التربوية . ومن المقالات الموضوعيـــة الجيده ما كتبه أحمد أمين بموضوعية حية ومنها مقال(الجامعة كما أتصورها) قال فيـــه :-

---

(١)مجلة الازهـــر والعلوم العدد الثانى مايو ١٩٩٩ م .

(١)الأزهـــر والعلوم العدد الثانى ص ١١ . .

للجامعة - كما أتصور - وظيفتان : وظيفة علمية ووظيفة خلقية ،
ظيفتين متصلة بالأخرى أتم اتصال ، فالضعف العلمي يتبعه ضعف
خلقى والعكس ، كما أن القوة العلمية تتبعها قوة خلقية والعكس .

فمن الناحية العلمية أرى أن وظيفتها تخالف الوظيفة للمدارس الابتدائية والثانوية ، ففيها توجه العناية إلى وسائل التعليم أولا ، وكمية من العلم أثبت العلم صحتها ثانيا - أما فى الجامعة فوسائل التعليم فيها ثانوية ، وإنما القصد الأول إلى البحث العلمى ووضع القضايا العلمية والأدبية موضوع البحث والنظر ، من أجمل هذا لا يمكنك أن تتصور مدرسة ابتدائية أو ثانوية من غير طلبة ، لانه لا يمكن تعليم من غير متعلم ، ولكن يمكنني أن أتصور دراسة فى كلية أو جامعة من غير طلبه ، وذلك بعكوف طائفة من العلماء ومساعديهم يبحثون وينقبون - بل ولو كان هناك طلبة فالجزء الأهم من الجامعة لا يقضى بن الفصول ولكنه يقضى فى مكاتب الأساتذة والمكاتب العامة والمعامل .

وقديما قالوا : " العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك " وهذا أكثر انطباقا على العلم الجامعى والبحث الجامعى فأستاذيه الجامعة - كما أتصورها - نوع من الرهبنة ، فكما ينقطع الراهب للعبادة فى دير ينقطع الأستاذ للعلم وخدمته ، أو بعبارة أخرى إن الراهب يعبد الله عن طريق الصوم والصلاة وهذا يعبده عن طريق العلم أيضا .

فإذا شغل الراهب بالمال وطرق تحصيله وحب الشهرة و الرياسة والجاه فهو راهب فسد ، وكذلك العالم إذا شغلته العلاوات والدرجات وحب الشهره والجاه فهو عالم فسد ، إنما يجب على الأمة والحكومة أن توفر له وسائل راحته الضرورية التى تتناسب مع تفرغه للعلم وتضحيته لذائذ الحياة من أجل العلم ، فإن هو بعد ذلك ضل عن منهجه العلمى فاللوم عليه .

هذا العالم - فى هذا الوضع - قد وطن نفسه على خدمة العلم وخدمة الأمة عن طريق العلم ، وخدمة الإنسانية من طريق العلم ، لاغرض له فى الحياة إلا ذلك ، العلم مثله الأعلى ، والعلم لذته العظمى ، والعلم يشغل أهم جزء فى حسه ، فى أكله فى شربه وراحته ورياضته وأحيانا فى نومه ، وهو يحب الحقيقة كما أحب المجنون ليلى يرى أنه لا يخفف الآمه الإنسانية إلا الإخلاص فى الفكر ، والإخلاص للعلم ، ومواجهة الحقائق كما تبدو له ، كائنه ما كانت ولو خالف الناس جميعا .

من أجل هذا كله تتطلب حياته الاستقلال التام . بل ان الاستقلال له ألزم من الاستقلال السياسى ، لأن العلم لا يمكن أن ينهض إلا إذا كان حراً والعالم لا يعد عالما إلا إذا عشق الحق ، سواء كان ما اعتقده حقيقة يرضى الحكومة أولا يرضيها ، يرضى السياسة أو لا يرضيها ، يرضى الأراء الشائعة اولا يرضيها إن كانت السياسة تعترف بأن من وسائلها المشروعة تقريب وجهات النظر فالعلم لا يعرف ذلك ، إنما يعرف أن هذا أسود أو أبيض ولا شئ غير ذلك . أما أن يكون أغبش فلا يبيع رأيه بمال ولا بجاه ولا بمنصب بل ولا بالدنيا كلها بل ولا بحياته ، فكثير ضحوا حياتهم لنظريتهم العلمية .

هذا ما أتصوره فى الأستاذ الجامعى ، فإن كان أستاذا أو تاجرا ، ولكل ما فى الأمر أنه تاجر بعلمه ، والآخر تاجر بسلعته ، بل هو شر من التاجر البحت ، لأنه اتخذ من العلم سلعة فقلب الوضع وتاجر فى غير متجر.

من هذا الأستاذ عزيز ، وإذا ظفرنا بواحد من هذا الصنف فى كل بيئة جامعية ضمنا نجاحها لأنه إذ ذاك يصبح مثارا يهتدى به المدرسون والطلبة فى الظلمات ، هو مثل حى للتضحية ، ومثل حى فى سمو الخلق ، ومثل حى لغلبة المعنويات على الماديات ، هو خير على العلم والخلق جميعا .

هناك عامل آخر فى البناء الخلقى الجامعى يعين الأستاذ على تحقيق مثله هو الجامعة ككل ، ممثلة فى مجالس كلياتها ومجلس جامعتها ومديرها وإدارتها .

وهى أن تكون متمشية مع الأستاذ فى استقلاله ، تعمل الواجب بقطع النظر عن كل اعتبار آخر ، لا تخدم إلا شيئين : العلم والخلق ، ليست تخدم حزبا سياسيا ، ولا تخدم رغبة وزير إنما تخدم العلم كعلم عالمى لا وطن له ، وتخدم الخلق كخلق إنسانى ، فإن كان ولابد من حصر هذه الدائرة الخلقية فإنها تخدم أمتها ككل ، تتخذ لنفسها مركز النجم فى السماء يسترشد به السارى ، سواء أكان مؤمنا أم كافرا ، وسواء أكان لونه السياسى أبيض أم أسود ، تعتقد انها الجامعة المصرية لا الجامعة السياسية الحزبية ، فإذا هى موضع التقديس من كل حزب ، وموضع الإكبار من كل هيئة ، ومتى اتخذت هذا الوضع كانت كل العواصف السياسية والحزبية تهب بعيدا عنها ولا تلمسها ، تهب حولها لاعليها ، فإن أريد منها أن تتنحى قيد شعره عن هذا

النهج قال كل من فيها (لا) بملئ فيه حرة فى معالجة مسائلها حرة فى وضع برامجها ، حرة فى تصريف مالها فى صدور ميزانيتها ، حرة فى معالجة مشكلاتها كما يتراءى لها قد تخطى فى ذلك ولكنها تتعلم ، وهى بهذا تنمو من الداخل لا تنمو من الخارج ، تكون كالإنسان يكبر ويترعرع من الأكل الصحى والهواء الصحى ، لا كإنسان يضخم بكثرة الملابس عليه .

إن الجامعة إن فعلت ذلك كانت مثلا يحتذى به فى تصرفاتهم ،إنهم يخجلون ان يتخربوا إذا كان كل الجو الجامعى حولهم لا يتحزب إنهم يعودون إلى آبائهم الروحيين إذا لعبت بهم الأهواء ، إنهم يسمعون نبضات قلوب أساتذتهم كما يسمعون دقات ساعاتهم يضبطون بأعمال أساتذتهم أخلاقهم كما يضبطون على ساعة الجامعة ساعاتهم أما إن عكس الوضع وسير الخارج الأساتذة ، وسير الطلبة الأساتذة والخارج ، كان ذلك هرما مقلوبا أو كان رجلا يمشى على رأسه أو كان ضبطا لساعة الرصد على ساعة رجل الشارع، وفى ذلك إنذار بالخيبة .

بجانب أستاذ الجامعة وهيئة الأساتذة والإدارة عامل آخر من عوامل الخلق الجامعى ، هو تكوين وأى عام بين الطلبة يشعر بالواجب ويقدر المسئولية ، وأعتقد ان تسعين فى المائة من زلات الطلبة ترجع إلى فقدان هذا العامل الهام فلو أن هناك رأيا عاما يحتقر الطالب اذا كلم فتاة كلمة نابية أو نظر إليها نظرة شاذة فهل يجرؤ الطالب على ارتكاب هذا الخطأ؟ وإذا كان الرأى العام بين الطلبة يحتقر الكاذب ويحتقر المستهتر ويحتقر الهازل فما أعظم الإصلاح الذى يرجى من وراء ذلك !! .

إن معظم الزلات الخلقية من الطلبة لا تقع تحت سلطان القانون ، فليس القانون يؤاخذ على كذبه ولا نظرة نابية ولا كلمة جارحة ، ولا ضحكة مستهترة ، ولا نحو ذلك من الشرور إنما يترك ذلك كله للرأى الجامعى يعاقب عليه بالازدراء والاحتقار والمقت فما لم يوجد رأى عام من هذا القبيل واكتفى بالقانون فلا أمل فى النجاح .

ولابد من الإكثار من اجتماع الطلبة بمناسبات مختلفة يتعرضون فيها للخطأ ويهيأ الرأى العام فيها للنقد على هذا الخطأ ، حتى يتبلور الرأى العام ويأخذ سبيله فى سلطانه على النفوس يجب أن يعودوا أن يحكموا أنفسهم بتكوين قضاة منهم يحكمون على زلاتهم وينفذون قضاءهم بأيديهم وألسنتهم ، بهذا يسود فى الطلبة الشعور بالشرف والندم على الهفوة - يجب ان يكون للجامعة تقاليد قد أسست على قانون الشرف ، يخشى كل طالب كسرها كما يخشى ارتكاب السرقة أو الخيانة حكى لى أستاذى المرحوم عاطف بركات باشا أنه لما سافر فى بعثة إلى جامعة من جامعات انجلترا ، وكان حديث عهد بها ، دخن فى حجرة كان التدخين فيها محرما ، فمر بعض رجال الجامعة فى هذه الحجرة وشم رائحة الدخان ، فسأل : من المدخن ، فلم يجب أحد ولا عاطف بركات فتركهم الأستاذ وانصرف ، قال عاطف باشا : فأحسست أن كل من حولى من الطلبة ينظرون إلى نظرة فيها شئ كثير من الاحتقار فمن ذلك اليوم عظم شأن الصدق فى نفسى واستفظعت غلطتى ولم أعد بعد إلى مثلها .

ومما يتصل بهذا بث الروح بين الطلبة بشدة ارتباطهم بكليتهم ، فيفخرون بأستاذهم الشهير بعلمه ومؤلفاته ويفخرون بالنابغة فيها من أساتذتهم

وطلبتهم ، وبانتصار كليتهم فى الألعاب وفى جميع أفعال البطولة وفى ميادين الأعمال الشريفة ، ويستهجنون أعمال النذالة والسلوك الوضيع ، وعلى الجملة يشعر كل طالب بأنه جزء من كل ، يعتز بعزة الكل ويهون بهوانه .

استاذ صالح يقوم مقام المنارة فى الكلية ، وهيئة صالحة من الأساتذة والإرادة ، ورأى عام من الطلبة له سلطان على نفوسهم ، هى أهم ما أرى من عوامل الإصلاح للحق الجامعى [1].

بين الكاتب فى مقاله الموضوعى أن للجامعة وظيفتين أحداهما علمية والأخرى الأخلاقيه ثم بين ان الجامعة لابد ان تختلف فى إعدادها العلمى والاخلاقى عن المدرسة مشيرا إلى ان اهتمامات الجامعة يجب أن تتجه نحو البحث والتنقيب لتتفجر طاقات الابتكار . فالعلم من أعظم أبواب العبادة لأنه يخدم الإنسانية عن طريق صحوة الفكر ونشاط الحس ويقظة الإدراك وأعلن الكاتب أن ما سبق لا يتحقق إلا بحرية العالم واستقلاله وربط بين نهضة العلم والأحوال السياسية بموضوعية واعية قائلا :-

(العالم لا يعد عالما إلا إذا عشق الحق ، سواء كان ما اعتقده حقيقة يرضى الحكومة أولا يرضيها يرضى السياسة أولا يرضيها يرضى الأراء الشائعة اولا يرضيها ان كانت السياسة تعترف بأن من وسائلها المشروعة تقريب وجهات النظر فالعلم لا يعرف ذلك إنما يعرف هذا أسود أو أبيض).

ويستمر أحمد أمين فى استنباط العناصر المتعلقة بموضوعه من الناحية العلمية فيركز على ضرورة الإخلاص والتفانى فى القضايا العلمية

---

[1] فيض الخاطر - أحمد آمين - مكتبة النهضة المصرية ج١ ، ص ٦٥ : ٦٩ .

ثم يشير إلى الوظيفة الأخلاقية للجامعة فيرى انها تتجسد فى سلوك الأستاذ الذى يجب أن يتحلى بالعزة والعفة والتضحية ونبل الخلق وسموه حتى يكون منارا لطلابه فالأستاذ الجامعى بهذه الأخلاقيات يبنى كيان الشباب ويدعم أخلاقهم بالفضائل ويساعد على تكوين الرأى العام الناضج الذى يشجع على تحمل المسئولية الدينية والوطنية والاجتماعية ويرفض الكذب والغدر والخيانة والانحلال بكل صورة وقد شجع أحمد آمين فى مقاله الموضوعى على تكثيف الندوات والاجتماعات بقصد التوعية الطلابية كما شجع على الاشتراك فى المسابقات الرياضية مما يغرس فى نفوس الطلاب الحمية والغيرة على كلياتهم ويختم الكاتب مقاله بأن الأستاذ الصالح يقوم مقام المنارة فى الكلية وهيئة صالحة من الأساتذة والإدارة ورأى عام من الطلبة له سلطان على نفوسهم هى أهم عوامل الإصلاح للخلق الجامعى والعلم الجامعى . يرى القارئ للمقال الموضوعى السابق ان الكاتب تناول فكرته بوضوح وتسلسل وناقش أفكاره بعيدا من الانفعالات والعواطف .

ومن المقالات الموضوعية مقال أحمد آمين (كتابة المقالات) قال فيه :-

هناك أنواع من المقالات يصح أن نسميها مقالات علمية بالمعنى الواسع ، فتشمل المقالات الاجتماعية كما تشمل بحث مسألة أدبية بحثا علميا، وهذا النوع سهل على الكاتب متى تيسرت له أدوات البحث من كتب ومراجع ونحوها ، وتوفر له حسن الاستعداد من معرفة بمناهج البحث وأساليبه، فكل وقت صالح لكتابة مثل هذه المقالات وإعدادها مالم يكن الكاتب فى حالة استثنائية من مرض ونحوه .

وهناك نوع من المقالات هى المقالات الأدبية بالمعنى الخاص وأعنى بها الأدبية أدبا إنشائيا صرفا لاأدب بحث ودرس ، وهذه أصعب من الأولى من حيث إنها تتطلب فوق حسن الاستعداد " المزاج الملائم " فليس الكاتب فى كل وقت صالحا لها ، بل لابد أن يكون مزاجه ملائما للموضوع الذى يريد أن يكتب فيه ، فإن كان الموضوع فكها مرحا فلابد أن يكون مزاج الكاتب كذلك فكها مرحا وإن كان الموضوع عابسا حزينا فلا بد أن يكون مزاج الكاتب من هذا القبيل ، ولذلك قد يمر على الكاتب الأديب أوقات وخلع ضرسه أهون عليه من كتابه مقال ، وإذا هو حاول ذلك فكأنما يمتح من بئر أوينحت فى صخر ذلك لأن هذه المقالة الأدبية لابد أن تنبع من عاطفة فياضة وشعور قوى ، فإذا ما لم يتوفر هذا عند الكاتب خرجت المقاله فاترة باردة لا يشعر منها القارئ بروح ولا يحس منها حرارة وقوة . ولايكفى عند الكاتب وجود العاطفة القوية ، بل لابد أن تكون هذه العاطفة من جنس الموضوع الذى يريد معالجته ، فويل له إن أراد فكاهة وقلبه بائس حزين ، ومن أجل هذا يحاول الكتّاب أن يؤقلموا نفوسهم للموضوع أولا ، فيستلهموا كتابا أو قصيدة أو منظرا طبيعيا أو نحو ذلك من الوسائل الصناعية -إن عدموا الوسائل الطبيعية - حتى تهيج مشاعرهم من جنس الموضوع ، ثم يأخذوا فى الكتابة فتتدفق معاينهم ، وتفزر أفكارهم ومشاعرهم .

وشأنهم فى ذلك كل فنان ، من موسيقى ومصور ومثال ، فهؤلاء لايحسنون الإخراج إلا فى ساعات خاصة هى ساعات هياج مشاعرهم من جنس موضوعهم .

إما موضوع (المقالات الأدبية) فكل شئ فى الحياة صالح لأن يكـــون موضوعا ، من الذرة الحقيرة إلى الشمس الكبيرة ومن الرذيلة إلى الفضيلـــة ، ومن كوخ الفلاح إلى قصر الملك ، ومن الماضى إلى الحاضر إلى المستقبل، ومن أقبح قبيح إلى أجمل جميل ، ومن الحياة إلى المـــوت ، ومـــن الزهـــرة الناضرة إلى الزهرة الذابلـــة ومن كل شئ إلى كل شئ .

والكاتب الفنى من استطاع أن يجد من كل شئ موضوعا يجيـــد فيـــه ويستخرج إعجاب القارئ ، ومن استطاع أن يجد من كل شئ نـــواه يؤلـــف حولها ما يصلح لها حتى يخرج موضوعه منسقا تنسيقا يبهر السامع والقـــارئ وهو فى تأليفه قد يضم الشئ إلـــى إلفـــه ، وقـــد يضمـــه إلـــى نقيضـــه ، وقد يصل به الكلام فى الذرة إلى الكلام فى الشمس ، وقد يصل به الكلام فـــى النملة إلى الكلام فى الله ، ولكن القارئ لا يشعر بمفارقات ولايشعر بهوة بين أجزاء الكلام ، ويسير مع الكاتب كأنه فى حلم لذيذ أو قصة محبوكة .

والفرق بين كاتب وكاتب فى شيئين : التلقى والإذاعة الفرق فى التلقى هو أن الكاتب قد يكون دقيق الحس يسمع حفيف الأشجار ودبيـــب النمـــال ، ويرى دقيق الأشياء فى الظلماء ويرى قلوب الناس فى أعينهم ، ودخائلهم فـــى صفحات وجوهم ، وقد يرى بأذنه ويسمع بعينه ، وقد يرى مالايرى النـــاس ويسمع مالا يسمع الناس ، وقد يدرك الجمـــال بتفاصيلـــه ، ويـــدرك القبـــح بتفاصيله ، حتى كأنه قد منح الحواس مالم يمنحه الناس وكأن حواسه ليســـت خمسا وانما هى خمسون أو خمسمائة أو ماشئت ، على حين أن أخاه الكاتب

الأخر لم يمنح هذا القدر من الحس ، ولم يبلغ هذا المبلغ من الذوق ، قد فاق المألوف من الناس ، ولكن إلى حد ، وتسامى ولكن بمقدار .

ويفضل الكاتب الكاتب أيضا فى التلقى من ناحية أن كاتبا قد تتعدد مناحى إدراكه تعددا متشعبا ، فالطبيعة توحى إلية بأسرارها ، والمجتمع يملى عليه بواطنه والحياة كلها لا تضن ، عليه بخفاياها ، والملح والفكاهات تدخرله أحسن ما لديها ، والجد لا يضن عليه بخير ما عنده ، فهو مستودع الأسرار ، وملتقى البحار والأنهار ، ومن يأمنه كل على سره ، ويفضى إليه بما يضن به على غيره ، على حين أن أخاه الكاتب فى يصل إلى بعض الأسرار ، ويدرك بعض الاتجاهات ويعجز عن إدراك البعض ، قد يجيد فهم الطبيعة ، ولا يفهم للمجتمع سرا ، وقد يجيد فهم الجد ولا يفهم الدعابة ، ذكى فى أمر وغبى فى آخر منير فى جانب مظلم فى جانب .

وأما اختلاف الكتاب فى (الإذاعة) فعلى هذا النحو أيضا : منهم من يجيدها إلى أقصى حد ، فصوته صاف جميل يأخذ بالألباب ، ويستخرج منك العجب والإعجاب وهو فى كل ما يغنى معجب مطرب ، سواء أحزن أو أسر وأضحك أو أبكى ، وسواء غنى على العود أو الكمان أو البيان ، وسواء غنى عاليا أو واطئا ؟ ومنهم من يجيد نوعا دون نوع ، هو فى أحد الأنواع ممدوح الضبع حميد الأثر ، وفى الأخر معيب مستهجن ، يحسن العود ولا يحسن الكمان ، يبنى فى ناحية ويقوض فى أخرى ، يواتيه الطبع فى باب ، فيأتى بالعجب العجاب ولا يزال يواتيه فى أخر ، فمهما اصطنع وتكلف فلا يأتى إلا بما تستك منه الأسماع . ومن اختلاف الكتاب فى التلقى والإذاعة معا

ويتحدون فى القيمة كالمغنين يختلفان فى (الصوت) الذى يغنيانه وفـــى الالآت التى يوقعان عليها ، ولكن لا تستطيع أن تميز أحدهما عن الآخر فى درجـــــة الرقـــى .

فهذا كاتب يجيد فى ناحية من النواحى ، وذاك يجيد فى ناحية أخرى ، وهما فى درجة الإجادة سواء هذا كاتب بعنى كـــل العنايـــة بشـــكل المقالـــة ومظهرها فتخرج من يده مرتدية بالملاحة موسومة بالظرف ، لها بهاء مونق ، ورونق معجب ، قد قيست كل جملة منها بالمسطرة حتى تكون وفق قرينتها ، إن كان فى إحدى أذنيها قرط كان فى الأذن الأخرى قرط مثله ، يوافقة فـــى الحجم والشكل والطول ، كحلت إحدى عينيها فلابد أن تكحل الأخرى علــــى نمط الأولى فى دقة وضبط ، حتى تبرز كأنها دميـــة عاج ، ثم هى بعد خفيفة المعنى فاترة الروح تشغل الأفكار بالنظر إلى شكلها عن النظر إلى روحـــها - وهذا كاتب آخر لا يعنى فى مقالته بزى ولا شكل ، فتخرج نظيفة فى غــــير جمال لا يقف عليها الطرف ، ولا تأخذ بالأبصار ، ولكنها عميقـــــة المعنـــى رائعة الفكر ، جميلة الروح ، هى كالغانية تستغنى بحسن ذاتها عن زينتـــها ، حسنها كما قال أبو الطيب (حسن غير مجلوب) وجمالها غير مصنوع. ومـــع الاختلاف بين هذا وذاك فلكل جماله ولكل قيمتـــه الأدبيـــة ، هـــذا يرضـــى الخاصـــة وذاك يرضى العامة ، ولابد فى الحياة الأدبية من النغمتين معا .

وليس يشترط فى إجادة الكاتب أن يطرق موضوعا جديدا لم يسبق إليه ، بل كل موضوع صالح لأن يكتب فيه ولو تداولته أقلام الكتاب من قبل فمـــن مبدأ خلق الإنسان وهو يحب ، ومن مبدأ خلق الأدب والحب موضوع لـــلأدب ، ومع هذا لم تنفذ مادته ، ولا يزال الشعر والنثر والغناء والتصوير تستقى

من منابعة ، وتكرر أناشيده ، ولكن لا يعد الكاتب فى الموضوع المعاد مجيدا إلا إذا أتى بجديد غاية الأمر أنه لا يشترط جدة الفكر ، بل يكفى فى ذلك جدة المعرض ، وأكثر الأدب من هذا القبيل أفكار مألوفة وأراء معروفة ، ولكن الأديب يستطيع أن يصوغها صياغة جديدة حتى يخيل للقارئ من جودة الصياغة أنها جديدة الفكرة ، بل إن الكاتب إذا كثرت أراؤه الجديدة خرج عن أن يعد أديبا شعبيا أو أديب أمة وصار أديبا للخاصة لا يقوم إلا فى أوساط قليلة فالوردة الجميلة تعجب الناظر ولو سبق للحديقة أن أنبتت من قبل أمثالها و(الدور)يغنيه المغنى الحديث يطرب ولو سبقه أحد بغنائه وكل ما يطلب من الفنان أن يجيد العرض ، وأن يكون عرضه ملائما لشخصيته . انظر فى ذلك إلى الروايات الجيدة تجد معاينها فى أغلب الأحيان معروفة ينطق بها العامة والخاصة ، وتجرى على ألسنة الجهلاء والعلماء ، ومع ذلك استطاع الأديب الفنان ان يجعل منها رواية رائعة أو قصة بديعة أو مقالة شائقة ، وليس له فى ذلك إلا الصياغة وحسن العرض ، قد أخذ الفكرة التى يراها كل الناس ، ولكنه عرف كيف يلعب بها ويجيد اللعب ويقلبها على وجوهها المختلفة ويلبسها لباسا جديدا قد أسبغ على الفكرة من عواطفه وشعوره ما جعلها جذابة أخاذة ، وهذا هو الجديد فى الموضوع ، فإن لكل أديب نفسه وعواطفه وأسلوبه وشخصيته فإذا مزج الفكة بذلك كله كان فى الناتج جده وفى الموضوع طرافة ، كحروف الهجاء ، كل الناس ينطقون بها ، ولكن اختلفت مناطقهم ، وأصواتهم وحناجرهم فكانت كأن كل إنسان ينطق بها نطقا جديدا ، وكأن الحروف لم تخلق بشكلها الخاص إلاله ، والقطعة من الذهب إنما يتفاوت الصائغون بالمهارة فى صياغتها والذهب هو الذهب فى أيديهم جميعا .

وأخيرا خير الكتاب من استطاع أن يفهم نفسه ويعرف استعداداته في أي النواحي يجيد وفي أيها يضعف ، ومتى يرقى ومتى يسف ، قد جرب نفسه أولا في ضروب الأدب المختلفة من قصة وشعر وكتابة اجتماعية وكتابة أدبية ، ونقد وإنشاء ، وقلب نفسه على وجوهها المختلفة ، ولاحظ ذلك في دقة وعمق ، وعالج مواضع الضعف منها ، ثم استقر بعد السياحة الطويلة الشاقة إلى شئ اطمأن إليه ، وهو أن ملكاته واستعداداته يوافقها شئ ولا يوافقها اخر وتنبع في مواضع وتجمد في أخرى .

فإن هو أنس من نفسه ذلك اكتفى بما منحه القدر وغنى فقط نوع من الأناشيد التي يحسنها ، وطلب السمو في النواحي التي تواتيه فيها ملكاته ، وإلا أضاع نفسه من كثرة ما يحاول فيما يعجز عنه ويقصر فيه ، فالفلاسفة إلى الأن لم يعثروا على الإكسير الذي يجعل الفضة ذهبا أو الحديد فضة ، فخير لنا أن نبذل جهدنا في إظهار الفضة بخير مظاهرها من أن تحاول - مع الفشل الدائم - أن نقلبها ذهبا) .[1]

تناول أحمد آمين فن كتابة المقالات تناولا موضوعيا واعيا فبين ان كتابة المقالات تنقسم الى قسمين : أولهما علمي والثاني أدبي وصرح بأن النوع العلمي يحتوي المقالات التي يتناولها الكاتب من زاوية بحثية فهذا النوع يشمل المقال الطبي والفلسفي والاجتماعي والنقدي والأدبي من منطلق إلقاء الضوء على فكرة ومحاولة إظهار عناصرها أما النوع الثاني فهو الأدبي الإنشائي الذي يحتاج لصفاء المشاعر وتجاوب الأحاسيس وصدق الانفعالات

(١)فيض الخاطر - أحمد أمين - مكتبة النهضة المصرية جـ١ ص ١٧٨ : ١٨٣ .

وعمق العواطف حتى يتمكن الكاتب من تصوير المشاهد تصويرا فنيا يمس وجدان القارئ ويخضع هذا النوع للاستعداد الفنى والموهبة الحية وذلك لأن المقال الآدبى ينبع من عواطف فياضة وشعور قوى متدفق بالمعانى الناطقة والصور المعبرة إلى جانب ضرورة التناسق بين نوع العاطفة والموضوع سواء كان الموضوع يصور الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية أو المشاعر الإنسانية وقد ذكر أحمد آمين ضرورة التناسق العاطفى مع الموضوع حتى فى المقال الساخر والفكاهى .

ويرى القارئ أن الكاتب تناول فكرته عن موضوع (كتابة المقالات) بإسلوب منطقى يمتاز بالترتيب المقنع والتسلسل الواضح المنسجم فقد بين فى عرضه أن المقال يمكن أن يكتب فى كل الموضوعات من الذرة إلى الشمس المهم أن يشعر قارئ المقال بالترابط والتناسق والانسجام بين أجزاء الكلام ومعاينة وأبعاده ثم أشار إلى وجود الفرق التأليفى بين كاتب وآخر وبين أنه فى عنصرين :-

- التلقى .
- الإذاعه .

وقد تناول أحمد أمين معنى التلقى فركزه فى عمق الإحساس وصدق العواطف واستقبال أسرار الجمال واختراق حدود الزمان والمكان وتصور ما وراء الكون يهمس والوجدان ونداء العواطف وتفحص الكاتب هذه الفكرة الموضوعية فذكر أن هذا الكاتب تتنوع مناحى إدراكه وتتشعب ولكنه قد يجيد فى زاوية ويخفف فى أخرى ويسترسل الكاتب فى فكرة التلقى وما يتعلق بها

من أسرار الجودة ويعلن أن الموضوع الواحد يمكن أن يتناوله الكتاب فلكـــل ذوقه وميول وملامحه وبصمته .

ثم تحدث عن الاذاعة وركز فى تأثير مقالها على الصـــوت ونبرتـــه ونغمته وأثرها على الأسماع وما للصوت الإذاعى من قيمـــة فـــى الايحـــاء الدلالى..

ويجد القارئ أن أحمد آمين فى موضوعه المقالى تناول فكرته معتمـدا على الاستنباط والإتيان بالأدلـــة والبراهين وعرض معاينة بذكـــاء وتسلســل منطقى مما جعل مقاله يتسم بالصفة الموضوعية وهل أدل علـــى ذلـــك مـــن ربطة بين الاستعداد والموهبة والملكـــة وبين قدرة الكاتب وفهمـــه الواعـــى لنقطة انطلاقه وتميزه بين الكتاب .

ومن المقالات الموضوعية ما كتبه العقاد تحت عنوان (الثقة بالنـــاس) قال فيـــه :-

(الثقة بالناس عقيدة كثير من حكماء الناس وبلهائهم ، وهى إن أريد بها الثقة بما فى الإنسانية من خير مودع ، وامال مرجوة ، مذهب لا سلطان لنـــا علية ، ولا خوف علينا منه ، ولا مطمع للرأى فى تفنيده لأنه هوى متمكن من فطر النفوس ، راسخ فى جبلاتها .

أما أن أريد الثقة بهؤلاء الذين نبصر وجوههم ونســـمع أصواتـــهم ، ونغدو ونروح معهم ، فلنا فيه قول قد لا يوافقنا عليه إلا الذين عجموا عود

الناس كما عجمناه ، وبلوا من مواربة الإنسان بينه وبين غيره وبينه وبين نفسه ما قد بلوناه .

الناس أشرار أو أبرار فأما الأشرار فحكمهم معروف وأمرهم مفروغ منه .

وأما الأبرار فهم على الفضيلة طرائق وفي اجتناب الرذيلة مشارب فرجل طيبته جهل بالشر فلو عرفه لاندفع فيه .

ورجل طيبته عجز من الشر فلو قدر عليه لما قعد عنه

ورجل طيبته مغالبة للشر ، فهو يصرع الشر والشر يصرعه ، ويملك نفسه آنا ويخذله الطبع أحيانا وأنت لا تعرف متى يكون غالبا فتأمنه وقت غلبته ومتى يكون مغلوبا فتحذره وقت هزيمته . ثق بالجاهل حتى يعرف الشر وبالعاجز . حتى يقوى عليه وأياك أن تثق بمصارع الشر وإن كان لهو أصوب من رفيقيه فكرا وأرحب منهما نفسا ، فإنك إن وثقت به كنت كمن يخاطر على المعركة بغير بينه ، وكنت كمن يصحب الغارة ليغم فيصبح وهو في يد الأعداء غنيمة .

وما ظنك بمعركة لا يعرف القلب الذي هو ميدانها كيف تدور الدائرة فيها ولا يدري شاهدها موقف الخصمين منها إلا كما يدريه غائبها . وإنما هي حرب البراقع - ولو ظهر كلا العدوين لكان للحدس مجال وللتقدير حساب ولكنهم لا يظهرون إلا خلف قناع من العنبر المثار ، ولا يضربون بسلاح

تعرفه إلا ريثما يتقلدون سلاحا غيره قد تجهله . ذلك أن (العارف) عرضـــه للشك وهدف للحيرة ولا ينتاب الشك نفسا إلا زعزع أركانها وأحال معالمـــها فلا تدرى أيها جانب الشر وأيها جانب الخير فإن كان لابد من الثقة بهذا فثـق به حيث يكون نفعك نفعا له وضررك راجعا ولو بعضه إليه .

وإن أردت الأمان ، فثق بالناس جميعا وكن على حذر من الانسان)[1]
أشار العقاد أن الثقة بالناس عقيدة عامة مرجعها إلى الشعور الراسخ بوجـــود الخير ثم يصنف الناس إلى أشرار وأبرار و ينطلق ليتحدث عن أنواع الأبرار وطبائع أخلاقهم ويربط بينها وبيـــن الشـــك والحـــيرة ليصـــل إلـــى نتيجـــة موضوعه:-

(فإن كان لابد من الثقة بهذا فثق به حيث يكون نفعك نفعاله وضررك راجعا ولو بعضه إليـــه .

وإن أردت الأمان فثق بالناس جميعا وكن على حذر من الانسان) .

وهكذا عرض العقاد فكرة الثقة بالناس من زوايـــا عقليـــة وبإســـلوب منطقى مقنع .

ومن المقالات الموضوعيـــة ما يتناول أحوال الفن كمقال أحمد حســـن الزيات فى مؤلفه الرائع من وحى الرسالة فقد كتب تحت عنوان (الفـــن بيـــن الصعود والهبوط) هذه الأفكار :-

(يتحدث بعض السادة الأدباء في هذه الأيام عن مكان الفن من الحياة : أيظل في المصعد الأعلى من السماء ليرتفع إليه من يحسبه ، أم يـــنزل إلـــى

---

[1] الفصول – عباس العقاد – دار المعارف – ص ٤٩ :٥٠ .

المهبط الأدنى من الأرض ليتناوله كل من يريده ؟ ولا أدرى على وجه اليقين ماذا يريدون بصعود الفن وهبوطه إن كان القائلون بالصعود يريدون أن يترفع الفن على حياة العامة فلا يتخذ من حوادثها قصصه وموضوعاته ، ولاينتزع من مشاهدها صور وتصوراته ، فقولهم باطل ، لأنهم يحصرون عبيره ونوره في ناحية من نواحى الحياة لا هى أجمل ولاهى أفضل ... وإن كان القائلون بالهبوط يريدون به أن يجرد الفن من قواعده وخصائصه وعبقرياته ليفهمه الغبى والبليد والساذج فقولهم كذلك باطل ، لأنهم يخرجون من طبيعته وحقيقته ليكون عبثا من العبث لا يوحى ولا يمتع ولا يرفع .

إن الفن فى كل مكان هو الفن مادام يعبر عن مشاعر النفس ومشاهد الطبيعة ووسائل العيش وتعبيره الحى القوى الصادق الجميل بالكلمة بالصورة أو بالنغمة أو بالمثال . و لا فرق فى ذلك بين أن يكون موضوعه علبة الجواهر فى قصر ملك أو صينية البطاطس فى دار سوقة . المهم أن يظهر فى الصورة المختارة وروح الفنان وشعور الإنسان وجمال الحقيقة .

كان كتاب الإغريق ومن تبعهم من كتاب الفرنج الاتباعيين (كلاسيك) يقصرون موضوع (المأساة) وأبطالها على حياة السراة والملوك ، ويرون أن جرائم هؤلاء ومصائبهم أفعل بالنفس وأشغل للقلب من جرائم السوقة ومصائب العامة .

فلما ابتذلت أفنية الملوك وعلت كلمة الشعوب وغلب نظام الديمقراطية ، أصغر الناس الفجائع فى القصور وأكبروها فى الأكواخ وجاء الابتداعيون (رومانتيك) فاستحدثوا (الدرامة) ونزلوا بها إلى سواد الشعب فصوروا حياته

كما هى ومثلوا أبطاله كما هم وغضب الاتباعيون لكرامة الفن فنشـبت بيـن الفريقين حرب شعواء كانت معركتها الفاصلة فى مسرح (الكوميدى فرنسـيز) ليلة مثلت (هرفانى) لفكتور هوجو ، وهى درامة شعرية بطلها قاطع طريـق وكان الخلاف بين الارستقراطيين والديمقراطيين قائما على الموضوع والطبقة لاعلى الوضع والتطبيق . أما الفن فى ذاته فقد ظل فى علوه ودنـوه بارعـا رائعا عند هؤلاء وأولئك .

وكان ابن الرومى شاعرا شعبيا يخالط الدهماء والغوغـاء ويلابـس الصناع والباعة ، فيهبط بشعره إلى أن يقول فى صانع الرقاق :-

ما أنس لا أنس خبازا مررت به يدحو الرقاقـة مثل اللمح للبصر

ما بين رؤيتها فى كفة كـرة وبين رؤيتها قوراء كالقمـر

إلا بمقدار ما تنداح دائـرة فى لجة الماء يلقى فيه بالحجـر

وإلى أن يقول فى صانع الزلابيـة :-

ومستقر على كرسيه تعـب روحى الفداء له من منصب نصب

رأيته سحرا يقلـى زلابيـه فى رقة القشر والتجويف كالقصب

كأنما زيته المقلى حين بـدا كالكيمياء التى قالـوا ولم تصـب

يلقى العجين لجينا من أناملـه فيستحيـل شبابيكا من الذهـب

ثم يصعد بشعره إلى أن يقول فى وصف الشمس قبيل الغروب وهـو وصف لا تجد له نظيرا فى الأدب العربى ولافيما نعرف فى الآداب الأخرى.
وقد رنقت شمس الأصيل ونفضت

على الأفق الغربى ورسا مزعزما .

وودعت الدنيا لتقضى نحبها .

وشول باقى عمرهـا فتشعشهـا

ولاحظت النوار وهى مريضـــــة

وقد وضعت خدا إلى الأرض أضرعا

كما لاحظت عوادة عين مدنـــف

توجع من أوصابه ما توجعــــــــا

وظلت عيون النور تخضل بالنـدى .

كما اغرورقت عين الشجـى لتدمعـا

يراعينها صورا إليها روانيـــــــا

ويلحظن ألحاظا من الشجو خشعـــا

وبين أغضاء الفــــراق عليهــــا

كأنهم خــــلا صفـــــاء تودعـــا

وقد ضربت فى خضرة الروض صفرة

من الشمس فاخضر اخضرارا مشعشعا

وأذكى نسيم الروض ريعان ظلـــــه

وغنى مغنى الطير فيـــه وسجعـــا

وغرد ربعى الذباب خلالــــــــه

كما حثحث النشوان صنجا مشرعـــا

فكانت أرايت الذباب هناكمــــو

على شدوات الطير ضربا موقعـــا

فأنت ترى ان الشاعر قد ارتفع بشعره إلى أسمى مجالى الطبيعـــة ثــم انخفض به إلى أدنى مشاغل الناس ولكنه بقى فى الحالين فنانا صادق الحــس بارع الوصف رائق الأسلوب . وقل مثل ذلك فى ابن المعتز الشاعر الخليفـــة وابن الحجاج أو أبى العبر الشاعر الصعلوك ، فإن ابن المعتز كــان يؤلــف

صورة من ترف الملك وابن الحجاج أو أبى العبر كان يؤلف صـــــورة مـــن مباذل السوق ولكن الفن كان عند الرجلين واحدا يختلف فى الخامة ولا يختلف فى الصنعة ، ويتفاوت فى الطبقة ولا يتفاوت فى القيمة وهذا ما نفهمه مــــن صعود الفن وهبوطه ، ننزل به إلى الطبقة العاملة والحياة العامة فنجد له مـن الطفولة المعذبة والشيخوخه العاجزة والزمانة المعدمة والكرم فـــى الأخــلاق والشهامة فى البؤس ، والإيثار فى الخصاصه ، مواقف قوية التــأثير شــديدة الروعة . فإذا وصفناها أو حللناها أحسها العامى أبلغ الإحساس ، وتأثر بـــها أشد التأثر وشعر فى الوقت نفسه بأن فى هذا الأدب الذى يصور نفسه ويصف دنياه قوة خفية ترفعه إلى أعلى وتدفعه إلى أبعد ، أما أن ننسخ له صور الفـن فنكتب له الأدب بقلم الحاج سيد ، ونعزف له الموســيقى بشــبابه الراعـــى ، ونرسم له الجمل والمحمل بفرشه النقاش ، فذلك تقدم إلى الخلف ، وتطور إلى الأقبح !! .

إن رسالة الفنون الرفيعة أن تجمل الحياة وتهذب الحضـــارة وتســمو بالإنسان وإذا كانت الفنون الآلية قد اخترعت لتخدم الجسد ، فإن الفنون الآدبية قد اصطنعت لتخدم الروح فهى إذن ضرورية وحاجة ، لاكمالية ومتعـة ، ولا يتسنى لها أن تؤدى هذه الرسالة إلا إذا احتفظت بالجزء الإلهى الذى يقـــرب الأدب من الدين ، ويربط الأرض بالسماء ويصل الفنان بالملك ذلك الجــــزء الالهى الذى يتحقق فى الإلهام هو الذى يحمل من الإنسان نبيا أو مصلحـــا أو أديبا على حسب ما تقتضيه الحال ، وهو ما نسميه بالاستعداد . وقديما قــــال الشعراء . إنهم يتصلون بالملا الأعلى عن طريق الجن، كما يتصل الأنبياء به عن طريق الملائكة . وهذا الاتصال الروحى أو الإلهام الذهنى أو الاســتعداد

الفنى متى أوتيه انسان سما بملكاته على الناس فلا يفكر تفكيرهم ولا يشعر شعورهم ولا يعبر تعبيرهم .

ولو أردناه على أن يتدلى إليهم ويندمج فيهم لنفر نفور نفور الجنس الغريب وتميز تميز الكائن المستقل ومن هنا سار المثل اللاتينى القائل :" كل الشعراء أرستقراطيون " .

ولعمرى كيف يستطيع الفنان ان يرفع النفوس إلى مراقى الكمال إذا لم يترفع هو عن حقارة الحياة الدنيا ، ويصور للناس المثل العليا فمن الجمال والفضيلة ليرتفع الشعب إلى سمائه بدل أن يسف هو إلى حضيضة ودهمائه.

فلنطمئن إذن على أن الدعوة إلى ابتذال الفن لن تجد لها سميعا ، وإذا وجدته فلن يكون إلا من الأدعياء الذين لا تساعدهم كفايتهم ولا ثقافتهم على السمو إلى الفن فيحاولون أن ينزلوه إليهم وهو إن نزل لا يكون فنا ، وإنما يكون زبدا لا يلبث أن يذهب وظاهرة لا تمكث إلا ريثما تغيب [1] .

يدرك القارئ أن حسن الزيات تناول فكرة اجتماعية وهى الفن ووضعه فى المجتمع باعتبار انه ظاهرة اجتماعية تجسد ذوقه وتعبر عن أحداثه المختلفة وقد ناقش الزيات فكرة صعود الفن وهبوطه بمنظور موضوعى فطرح سؤالا يدور حول كيفية الهبوط والصعود والمعنى المراد منهما ثم بين أن الفن مراة صادقة لمجتمعه حيث يصور جميع الفئات المهم أن يتحقق فى العمل الفنى جمال الحقيقة الذى يبرز من الصدق فى التعبير فعلو

---

[1] وحى الرسالة – أحمد حسن الزيات – الطبعة الثانية ١٩٥٨ م . مكتبة النهضة جـ٤ ص ١٢٤ : ١٢٨ .

الأثر الفنى وروعته لا ترتبط بتصوير أهل القصور وأصحاب الجواهر إنما علوة وروعته وإبداعه فى المصداقية وعمق العواطف ووضوح عناصر الموضوع فى وجدان وخيال الفنان فالفن الناضج المبدع يعالج الحياة الارستقراطية والديمقراطية وضرب الزيات مثلا بابن الرومى الذى عبر عن الحياة الشعبية وكان فنة بديعا رائعا يتصف بالعلو الفنى فقد صور أشكاله وهيئاته وألوانه من الحياة الشعبية فجاء فنه ينبع من جمال الحقيقة وهذا ابن المعتز ألف صورة من شموخ العز وترف الثراء وجاء فنه بديعا وصورة رائعة لما فيه من جمال الحقيقة ويرى الزيات ان الفن يصور الحياة فهو (يختلف فى الخامة ولا يختلف فى الصنعة ، ويتفاوت فى الطبقة ولا يتفاوت فى القيمة وهذا ما نفهمه من صعود الفن وهبوطه ننزل به إلى الطبقة العاملة والحياة العامة فنجد له من الطفولة المعذبة والشيخوخه العاجزة) .

وبهذا فالفن قضية تأثير وتأثير سواء كان الموضوع يصور الراعى للغنم أو العازف على الأوتار لأن رسالته تهذيب الحياة والرقى بالسلوك فى كل الاتجاهات وجميع النزعات وكافة التيارات وقد أعلن صاحب المقال ان الفن ضرورة وحاجة لبناء الهيكل الاجتماعى والفكرى والسياسى والدينى والعاطفى ولهذا فالفن نداء الإلهام ونبض الاستعداد .

ويرى القارئ أن الزيات عالج موضوعه بإسلوب واضح محدد مدروس وعبر عن فكرته الاجتماعية بالحوار الفكرى الجيد الذى ضاعف من جودته تعبيره عن الفن بأنه دعوة للفضيلة بكل صورها واذا لم يحقق هذه الغاية لا يكون إلا زبدا لآ يلبث تم يذهب وظاهرة لا تمكث إلا ريثما تغيب) .

وللمقال الموضوعى شمول وتشعب حى فهو بعبر عن القضايا المادية والمعنوية ويناقشها بوضع الحلول والمقترحات التى يرى أنها إيجابية النتيجة مثل الرسالة التى أرسل بها قارئ للمنفلوطى ونشرت فى النظرات تحت عنوان (الوفاء) قال فيها :-

يا صاحب النظرات :-

تزوجت منذ سنة من زوج صالحة طيبة القلب والسريرة ، فاغتبطت بعشرتها برهة من الزمان ، وقد عرضَ لها فى هذه الأيام رمد فى عينيها فذهب ببصرها فأصبحت عمياء ، وأصبحت أعمى بجانبها ، وقد بدا لى أن اطلقها واتزوج من غيرها ... فما ذا ترى ؟ .

(إنسان)

أيها الإنسان : لا تفعل ، فإنك إن فعلت كان عليك أثم الخائنين ، وجرم الغادرين ، وكن اليوم أحرص على بقائها بجانبك منك قبل اليوم ، لتستطيع أن تدخر لنفسك عند الله من المثوبة والأجر ما يدخر أمثالك من الصابرين المحسنين .

لا تقل إنها عمياء فلا خير لى فيها ، ولا غبطة لى بها ، فإنك ستجد بين جنبيك من لذة المروءة والإحسان والجود والإيثار ما يحسدك عليه الناعمون بالحور الحسان فى مقاصير الجنان .

اجلس اليها صباحك ومساءك ، وحادثها محادثة الصديق صديقة ، بل الزوج زوجه ، وتلطف بها جهدك وروح عن نفسها ما يساورها من الهموم

والكروب وقل لها : لا تجزعى ولاتحزنى ! فإنما أنا بصرك الذى به تبصرين ونورك الذى به تهتديــن .

أعيذك أيها الإنسان بالله ورحمته ، والعهد وزمامه ، ألا تجعل لـــهذا الخاطر السيئ - خاطر الطلاق والفراق - سبيلا إلى نفسك ، فإنها لـــم تســئ إليك فتسئ إليها ، ولم تنقض عهدك فتنقض عهدها ، فإن كنت لابـــد ثـائرا لنفسك فاثأر من الغدر ان استطعت إليه سبيــلا .

إن عجزا من الرجل وضعفا أن يغضب فيمد يده بالعقوبة إلى غير من أذنـــب إليه ويعتدى عليــه .

ان لم يكن احتفاظك بزوجك وابقاؤك عليها عدلا يسألك الله عنه فليكـن احسانا تحاسبك الإنسانية فيه .

إنك قد خسرت بصرها ، ولكنك ستربح قلبها ، وحسب الإنسان من لذة العيش وهناءته فى هذه الحياة قلب يخفق بحبه ، ولسان يهتف بذكرة .

أنها أسعدتك برهة من الزمان ، فليخفق قلبك رحمة بها ، بقدر ما خفق سرورا بعشرتها .

لا أحسب أنها كانت تاركتك ، أو غادرة بك ، لو أن هذا السهم الـــذى أصابها قد أصابك من دونها ، فاحرص الحرص كله على ألا تكـــون أمـــرأة ضعيفة أسبق منك إلى فضيلة الصدق والوفاء كيف يهنأ لك عيش ، او يغمض لك جفن ، إذا أظلك الليل فذكرتها وذكرت إنها تقاسى فى وحدتها من الوحشة مالا قبل لها باحتماله ، وانها ربما طلبت جرعة ماء فلا تجد من يقدمها إليها ،

أو كسرة خبز فلا تجد من يدل عليها ، أو ربما قامت من مضجعها فى سكون الليل وهدوئه تتلمس الطريق إلى حاجة من حاجاتها فاخطأ تقديرها فصدمها الجدار فى جبينها صدمة أسالت دمعها حتى امتزج بدمعها .

أيها الإنسان ان لم تكن عادلا ولا فيا ولا محسنا فارحم نفسك من هذا الخيال الذى لابد انه سيساورك ، ويفت فى عضدك ويزعجك من مرقدك ، فإن لم تكن هذا ولا ذاك فغيرك أخاطب لأنى لا أحسن إلا مخاطبة الإنسان .

إنى محدثك عن صديق لي من كرام الناس وأفيائهم تزوج امرأة حسناء فاغتبط بها برهة من الزمان ثم أصابها الدهر بمثل أصاب به زوجك، ولم يترك لها من ذلك النور الذاهب إلا كما تترك الشمس من الشفق الأحمر فى حاشية الأفق ، فلم يقنعه من الوفاء لها ان استبقاها واستمسك بها ، بل كان يحرص جهده على ألا تعلم أنه ينكر من أمرها شيئا فكان يعتب عليها فى بعض الأحايين فى أشياء لا يؤاخذ بها عادة إلا الناظرون المبصرون ، يريد بذلك أن يلقى فى روعها انه لا يزال يعدها ناظرة مبصرة ، وأنه لا يرى شيئا جديدا طرأ عليها رحمة بها وإبقاء على ما كانت تحب ان تحاوله من الاعتداد بنفسها والإذلال بمزاياها .

ولقد قرأت جملة صالحة من نوادر العرب فى آدابهم ومكارم أخلاقهم ورقة شعورهم ولطف وجدانهم ، فلم أر بينها نادرة اوقع فى النفس ، ولا أجمل أثرا فى القلب ، من قول أبى عيينه الكاتب المعروف فى عهد الدولة العباسية ، وكان كفيف البصر : اختلفت إلى القاضى أحمد بن إبى دؤاد

أربعين عاما فما سمعته مرة يقول لغلامه عند تشييعى ، خذ بيده ياغلام بـــل يقول أخرج معه يا غلام .

فإن كنت تريد أن يسجل لك من الوفاء فى صفحات القلوب ما ســجل لأحمد بن أبى دؤاد فى صفحات التاريخ ، فلا تطلق زوجك ، ولا تنقم منـــها أمرا قد خرج حكمه من يدها ، وإن أبيت إلا ان تأخذ لنفسك حظها من لذائـــذ العيش، فاعلم انه ما من لذة يتمتع بها الإنسان فى حياته إلا ويشوبها الكـــدر ، أو يعقبها الألم ، إلا لذة البر والإحسان) [1] .

والمقال السابق موضوعى طرحت فيه مشكلة واقعية لزوج أصيبـــت زوجته برمد فقدت بسببه بصرها ففكر الزوج فى طلاقها لما يجده من عنـــاء ومشقة تناول المنفلوطى هذه المشكلة وعرضها بموضوعية اجتماعية يحفـــها الجانب الإنسانى فحث صاحب الرسالة على التمسك بزوجته من باب الشهامة والرجولة والمروءة والإيثار والكرم والوفـــاء ثـم تعـرض لمعنـــى النبـل الأخلاقـــى عبر حوار إنسانى رفيع جعله بين الزوج وزوجه حينما طلب منـه أن يروح عنها برقة ولطف ورحمة فالرجولـــة عطاء وتضحية وقد استرسـل المنفلوطى فى رده على موضوع الرسالة استرسالا منطقيـــا إنســـانيا جعـل القارئ يتعاطف مع الزوجـــة فقد بسط الرسالـــة بسطا جيدا فى إسلوب أدبـى متناسق ضرب فيه على أوتار المشاعر الحية مع استخدام البرهـــان والدليـل على صحة نصحة وبعد نظرة فيما يدعو له من سلوك .

---

[1] النظرات – مصطفى لطفى المنفلوطى – دار الثقافة بيروت ص ١١٨ – ١٢١ .

وإذا كان المقال الموضوعى يتناول الاجتماعيات بكل فروعها فـــهناك أيضا المقال الموضوعى الذى يعرض قصة قصيرة تحمل سمات الموضوعية الاجتماعية الدينية مثل مقال (الله أكبر) للرافعى قال فيه :-

الله أكبـــــر

(جلست وقد مضى هزيع من الليل ، أهيئ فى نفسي بناء قصة أديرها على فتى كما أحب - خبيث داعر ، وفتاة كما أحبت عذراء متماجنة كلاهما قد درس وتخرج فى ثلاثة معاهد : المدرسة ، والروايات الغرامية ، والســـــينما وهو مصرى مسلم ، وهى مصرية مسيحية ، وللفتى هنات وسيئات لا يتـــنزه ولا يتورع ، وهو من شباب كالماء يغلى ومن أناقته بحيث لـــــم يبـــق إلا أن تلحقه تاء التأنيث - وقد تشعبت به فنون هذه المدنية ، فرفع الله يده عن قلبه لا يبالى فى أى أوديتها هلك ، وهو طلب نساء ، دأبـــة التجوال فـــــى طرقـــهن يتتبعهن ويتعرض لهن ، وقد ألفته الطرق حتى لو تكلمت لقالت : هذا ضـــوب عجيب من عربات الكنس ... !

وللفتاة تبرج وتهتك ، يعبث بها العبث نفسه ، وقد اخرجتها فنون هـــذا التأنيث الأوربى القائم على فلسفة الغريزة ، وما يسمونه " الأدب المكشـــوف " كما يصوره اولئك الكتاب الذين نقلوا إلى الإنسانية فلسفة الشهوات الحرة على البهائم الحرة - فهى تبرز حين تخرج من بيتها لا إلى الطريق ولكــــــن إلـــى نظرات الرجال ، وتظهر حين تظهر ، مصورة لا بتلوين نفسها مما يجـــــوز ومما لا يجوز ، ولكن بتلويـــن مرآتها مما يعجب وما لا يعجب .

و كلا اثنيهما لا يقيم . وزنا للدين، والمسلم والمسيحي منها هو الاســـم وحده ، إذ كان من الوالدين (رحمهما الله) والدين حرية القيد لا حرية الحرية

، فأنت بعد أن تقيد رذائلك وضراوتك وشرك وحيوانيتك - أنت من بعد هـــذا حر ما وسعتك الأرض والسماء والفكر ، لأنك من بعد هذا مكمل لإنســانية ، مستقيم على طريقتها ، ولكن هب حمارا تفلسف وأراد أن يكون حرا بعقلــه الحمارى ، اى تقرير المذهب الفلسفى الحمارى فى الأدب فهذا انمــا ينبغــى إطلاق حريته ، اى تسليط حماريته الكاملة على كل ما يتصل به من الوجود.

وتمضى قصتى فى أساليب مختلفة تمتحن بها فنون هذه الفتاة شــهوات هذا الفتى ، فلا يزال يمشى من حيث يصل ، ولا تزال تمنعه مــن حيــث لا ترده ، وما ذلك من فضيلــة ولا امتناع ولكنها غريزة الأنوثــة فى الأنوثــة فى الاستمتاع بسلطانها واثباتها للرجل ان المرأة هى قوة الانتظــار ، وقــوة الصبر وإن هذه التى تحمل جنينها تسعة أشهر فى جوفها تمسك رغبتها فــى نفسها مدة حمل فكرى اذا هى أرادت الحياة لرغبتها ليكون لوقوعها وتحققــها مثل الميلاد المفرح .

ولكن الميلاد فى قصتى لا يكون لرذيلة هذه الفتاة ، بل لفضيلتها فــإن المرأة فى رأيى - ولو كانت حياتها محدودة م جهاتها الأربــع بكبــائر الإثــم والفاحشة - لا يزال فيها من وراء هذه الحدود كلها قلب طبيعته الأمومــة أى الاتصال بمصدر الخلق ، أى كل فضائل العقيدة والدين ، وما هو الا أن يتنبه هذا القلب بحادث يتصل به فيبلغ منه ، حتى تتحول المرأة تحول الأرض مــن فصلها المقشعر المجدب ، إلى فصلها النضر الأخضــر .

ففى قصتــى تذعن الفتاة لصاحبها فى يوم قد اعترتها فيــــه مخافــة ونزل بها هم وكادتها الحياة من كيدهــا ، فكانت ضعيفة النفس بما طرأ عليها

من هذه الحالة وتخلو بالفتى وفكرها منصرف إلى مصدر الغيب ، مؤمل فـــى رحمة القدر ويخلبها الشاب خلابة رعونته وحبسه ولسانه ، فيعيطها الألفـــاظ كلهـــا فارغة من المعانى ويقر بالزواج وهو منطو على الطلاق بعد ســاعة ، فإذا أوشكت الفتاة ان تصرع تلك الصرعة دوى فى الجو صوت المؤذن " أالله أكبر " .

وتلسع الفتاة فى قلبها ، وتتصل بهذا القلب روحانية الكلمـــــة ، فتقــع الحياة السماوية فى الحياة الأرضية وتتنبه العذراء إلى أن الله يشهد عارهـــا ، ويفجؤها أنها مقدمة على أن تفسد من نفسها ما لا يصلحه المستحيل فضلا عن الممكن ، وترنو بعين الفتاة الطاهرة من نفسها إلى جسم بغى ليست هى تلـــك التى هى ، وتنظر بعين الزوجة من صاحبها إلى فاسق ليس هو ذاك الذى هو ويحكى لها المكان فى قلبها المفطور على الأمومة . حكاية تثور منها وتشمئز ، ويصرخ الطفل المسكين صرخته فى أذنـــــها قبـــل أن يولـــد ويلقـــى فـــى الشارع..... ! .

الله أكبر ! صوت رهيب ليس من لغة صاحبها ولا من صوته ولا من خسته ، كأنما تفرع السماء فيه مل سحابة على رجس قلبها فتنقيه حتى لبس به ذرة من دنسه الذى ركبة الساعة . كان لصاحبها فى حسن أعصابـــــها ذلـــك الصوت الاسود ، المنطفئ ، البهم ، المتلجلج مما فيه من قوة شهواته وكـــــان المؤذن صوت أخر فى روحها ، صوت أحمر مشتعل كمعمعـــــة الحريـــق ، مجلجل كالرعد ، واضح كالحقيقة فيه قوة الله .

سمعت صوت السلسلة وقعقعتها تلوى وتشد عليها ، ثم سمعت صـوت السلسلة بعينها يكسر حديدها ويتحطم .

كانت طهارتها تختنق فنفذت اليها النسمات ، وطارت الحمامة حيـن دعاها صوت الجو ، بعد أن كانت اسفت حين دعاها صوت الأرض . طارت الحمامة لأن الطبيعة التفتت فيها لفته أخرى ويكرر المؤذن فى ختام أذانـه :" الله أكبر الله اكبر " فإذا .. وتبلد خاطرى ، فوقفت فى بناء القصة عنـد هـذا الحد ولم أدر كيف يكون جواب " اذا ... " فتركت فكرى يعمل عمله كما تلهمه الواعيه الباطنه ، ونمت ....

ورأيت فى نومى أنى أدخل المسجد لصلاة العيد وهو يعـج بتكبـير المصلين : " الله أكبر الله أكبر !" ولهم هدير كهدير البحر فى تلاطمـة وأرى المسجد قد غص بالناس فاتصلوا وتلاحموا ، تجد الصف منهم على اسـتوائه كما تجد السطر فى الكتاب ممدودا محتبكا ينتظمه وضـع واحـد ، وأراهـم تتابعوا صفا وراء صف ، ونسقا على نسق ، فالمسجد بهم كالسنبلة ملئت حبـا ما بين أولها وأخرها كل حبه هى فى لف من أهلها وشملها ، فليس فهن علـى الكثرة حبة واحدة تميزها للسنبلة فضل تمييز لا فى الأعلى ولا فى الاسفل .

وأقف متحيرا متلدد ألتفت ههنا وههنا ، لا أدرى كيف أخلـص الـى موضع أجلس فيه ، ثم امضى اتخطى الرقاب أطمع فى فرجة اقتحمها ومـا تتفرج ، حتى انتهى إلى الصف الأول ، وأنظر إلى جانب المحـراب شـيخا بادنا يملأ موضع رجلين ، وقد نفح منه ريح المسلك المسك وهو فى ثياب من سندس خضر ، فلما حاذيته جمع جمع نفسه وانكمش فكأنما هو يطوى طيـا ،

ورأيت مكانا وسمعنى فحططت فيه إلى جانبه ، وأنا أعجب للرجل كيف ضاق ولم أضيق عليه ، وأين ذهب نصفه الضخم وقد كان بعضه على بعض زيما على زيم [1] وامتلاء على امتلاء .

وجعلت أحدس عليه ظنى ، فوقع فى نفسى أنه ملك من ملائكة الله قد تمثل فى الصورة الادمية فاكتتم فيها لأمر من الأمر وضج الناس :" الله أكبر الله أكبر" فى صوت تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم غير أن الناس فما ألقوا الكلمة ومما جهلوا من معناها - لا يسمعونها إلا كما يسمعون الكلام؟ أما الذى إلى جانبى فكان ينتفض لها انتفاضة رجتنى معه رجا ، إذ كنت ملتصقا به مناكبا له ، وكأن المسجد فى نفضه إيانا كان قطارا يجرى بنا فى سرعة السحاب ، فكل ما فيه يرتج ويهتز. ورأيت صاحبى يذهل عن نفسه ، ويتلألأ على وجهه نور لكل تكبيرة . كأن هناك مصباحا لا يزال ينطفئ ويشتعل ، فقطعت الرأى انه من الملائكة .

ثم أقيمت الصلاة وكبر الإمام وكبر أهل المسجد ، وكنت قرأت أن بعضهم صلى خلف رجل من عظماء النفوس الذين يعرفون الله حق معرفته ، قال : فلما كبر قال :" الله ...." ثم بهت وبقى كأنه جسد ليس به روح من إجلاله لله تعالى ، ثم قال "اكبر" يعزم بها عزما ، فظننت أن قلبى قد انقطع من هيبة تكبيره .

قلت أنا : أما الذى إلى جانبى ، فلما كبر مد صوته مدا ينبثق من روحه ويستطير ، فلو كان الصوت نورا لملأ ما بين الفجر والضحى .

---

[1] أى كتلا على كتل ، والزيم المتفرق من اللحم .

وعرفت والله معنى المسجد مالم أعرف ، حتى كأنى لم أدخله من قبل فكان هذا الجالس إلى جانبى كضوء المصباح فى المصباح ، فانكشف لى المسجد فى ثوره الروحى عن معان ادخلتنى من الدنيا فى دنيا على حدة. فما المسجد بناء ولا مكانا كغيره من البناء والمكان ، بل هو تصحيح للعالم الذى يموج من حوله ويضطرب إن فى الحياة أسباب الزيغ والباطل والمنافسة والعداوة والكيد ونحوها وهذه كلها يمحوها المسجد اذ يجمع الناس مرارا فى كل يوم سلامة الصدر ، وبراءة القلب ، وروحانية النفس ولا تدخله إنسانية الانسان إلا طاهرة منزهة مسبغة على حدود جسمها من أعلاه وأسفله شعار الطهر الذى يسمى الوضوء ، كأنما يغسل الإنسان أثار الدنيا عن أعضائه قبل دخوله المسجد ويخشعون خشوعا واحدا ، ويكونون جميعا فى نفسية واحدة ، وليس هذا وحده، بل يخرون إلى الأرض جميعا ساجدين لله ، فليس لرأس على رأس ارتفاع ، ولا لوجه على جة تمييز ، ومن ثم فليس لذات على ذات سلطان وهل تحقق الانسانية وحدتها فى الناس بأبدع من هذا ؟ ولعمرى أين يجد العالم صوابه إلا ههنا .

فالمسجد هو فى حقيقته موضوع الفكرة الطاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع هو فكر واحد لكل الرءوس، ومن ثم فهو حل واحد لكل المشاكل ، ولما يشق النهر فتقف الأرض عند شاطئيه لا تتقدم ، يقام المسجد فتقف الأرض بمعاينها الترابية خلف جدرانه لا تدخله .

وما حركة فى الصلاة إلا أولها " الله اكبر " وآخرها "الله اكبر " ففى ركعتين من كل صلاة احدى عشرة تكبيرة يجهر المصلون بها بلسان واحد ،

وكأنى لم أفطن لهذا من قبل فأى زمام سياسى للجماهير وروحانيتها اشد وأوثق من زمام هذه الكلمة التى هى أكبر ما الكلام الإنسانى ؟

ولما قضيت الصلاة سلمت على الملك وسلم على ورأيته مقبلا محتفيا ورأيتنى أثير فى نفسه ، وجالت فى رأسى الخواطر فتذكرت القصة التى أريد أن أكبتها وان المؤذن يكرر فى خاتمة أذانه :" الله اكبر الله اكبر " فإذا وقلت لأسألنه ، وما أعظم أن يكون فى مقالتى أسطر يلهمها ملك من الملائكة ، ولم أكد أرفع وجهى إليه حتى قال :

" ... فإذا لطمتان على وجه الشيطان ، فولى مدبرآ و لم يعقب ووضعت الكلمة الإلهية معناها فى موضعه من قلب الفتاة فلآيا بلآى مانجت.

إن الدين فى نفس المرأة شعور رقيق ولكنه هو الفولاذ السميك الصلب الذى تصفح به أخلاقها المدافعة .

الله أكبر أتدرى ماذا تقول الملائكة اذ سمعت التكبير إنها تنشد هذا النشيد :

<u>بين الوقت والوقت من اليوم تدق ساعة الاسلام بهذا الرنين</u> :-

الله اكبر الله اكبر ، كما تدق الساعة فى موضع ليتكلم الوقت برنينها.

الله أكبر ! بين ساعات وساعات من اليوم ترسل الحياة فى هذه الكلمة نداءها تهتف : أيها المؤمن ! إن كنت أصبت فى الساعات التى مضت ، فاجتهد للساعات التى تتلو ، وان كنت اخطأت فكفر وأمح ساعة بساعة ،

الزمن يمحو الزمن ، والعمل يغير العمل ، ودقيقة باقية فى العمر هى أمـــل كبير فى رحمة الله .

وبين ساعات وساعات يتناول المؤمن ميزان نفسه حين يســـمع : الله أكبر ، ليعرف الصحة والمرض من نبته كما يضع الطبيب لمريضـــه بيـــن ساعات وساعات ميزان الحرارة .

اليوم الواحد فى طبيعة هذه ألارض عمر طويل للشر ، تكاد كل دقيقة بشرها تكون يوما مختوما بليل أسود ، فيجب ان تقسم الإنسانية يومها بعـــدد قارات الدنيا الخمس لان يوم الأرض صورة من الأرض ، وعند كل قســـم : من الفجر ، والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشـــاء تصيـــح الإنســـانية المؤمنة منبهة نفسها : الله أكبر ، الله أكبر بين ساعات وساعات مـــن اليـــوم يعرض كل مؤمن حسابه ، فيقوم بين يدى الله ويرفعه إليه وكيف يكون من لا يزال ينتظر طول عمره فيما بين ساعات وساعات - الله أكبر ... ؟!

بين الوقت والوقت فى النها رو الليل تدوى كلمـــة الـــروح الله أكـــبر ويجيبها الناس : الله اكبر ، ليعتاد الجماهير كيف يقادون إلى الخير بســـهولة وكيف يحققون فى الإنسانيـــة معنى اجتماع أهل البيـــت الواحـــد ، فتكـــون الاستجابة إلى كل نداء اجتماعى مغروسة فى طبيعتهم بغير استكـــراه.

النفس اسمى من المادة الدنيئة ، وأقوى من الزمن المخرب ولا ديـــن لمن لا تشمئز نفسه من الدناءة بأنفة طبيعية ، وتحمل همـــوم الحيـــاة بقـــوة ثابتـــة.

لا تضطربوا هذا هو النظام ، ولا تنحرفوا هذا هو المنهج لا تتراجعوا ، هذا هو النداء - لن يكبر عليكم شئ مادامت كلمتكم :الله أكبر[1]!.)

فالمقال السابق موضوعه قصصى يتناول تصوير سلوك بعض الشباب والشابات الذين تأثروا بالتقاليد الأوربية واعتنقوا فلسفة الأدب المكشوف ويصور الكاتب استغراقه الفنى فى مقدمة القصة وموضوعها وشخوصها يعرضها عرضا جيدا يعتمد فيه على تصاعد الصراع النفسى والاجتماعى ودراما المواقف والأحداث وقد كثف الكاتب درجات الصراع حتى تصل إلى غايتها المتجسدة فى صوت المؤذن (الله أكبر) فتفجر فى نفسية الفتاة والفتى ينابيع النبل الإنسانى لما فى التعبير (الله اكبر) من جلال وهيبة ونداء ايمانى يهز الوجدان ويمس الأحاسيس ويرقى بالنفوس إلى ملكوت نورانى .

ويستمر الكاتب فى وصف آثار هذا النداء الطاهر على القلوب والعيون والمشاعر قد اعتمد فى وصفه على السرد التصويرى والتخيلى فنقل الصراع القصصى إلى لحظات صمت واسترخاء دفعه إلى نوم حالم تجلت فيه الأنوار الربانية والمباهج الايمانية التى تشع من أنوار (الله اكبر) وخاصة فى صلاة العيد ويستمر الحلم الإيمانى فيقصى الرافعى عن طريق الوصف عظمة أصوات التكبير والتهليل للمصلين وأثرها على النفس والروح والفكر والسلوك.

---

(1) وحى القلم - مصطفى صادق الرافعى - الطبعة الاولى - لجنة التأليف والنشر ١٩٣٦ م جـ١ من ص ٣٤٣ : ٣٥٠ .

كما صور هذا المقال الموضوعـــى القصصـــى أهميـــة المســجد وضرورة الالتزام به ففيه صلاح لكافة المشاكل فهو نور يشع بالنور ويخــرج الإنسان من دنيا إلى ضياء فالمسجد ليس كغيره فى البناء والمكان وانما هــو ساحة تصحيح ونداء مستمر للصلاح والطهر الإنسانى فــى أعلــى صــوره ويستقظ الكاتب من رؤيته الملائكية ليعلن أن الديـــن هـــو أســـاس اســتقرار المجتمعات ومنبع القيم ونبض الفائل وان (الله اكبر) دواء من كل داء وشفاء للنفوس وبشرى للقلوب وشرف للإنسانية ويصل فى نهاية المقال فيرفع صوته قائلا (لاتضطربوا هذا هو النظام ، ولا تنحرفوا هذا هو النهج لا تـــتراجعوا هذا هو النداء لن يكبر عليكم شئ مادامت كلمتكم : الله اكبر) .

يرى القارئ أن المقال الموضوعى القصصى السابق حمل خصـــائص الاتجاه الاجتماعى والتيار الدينى واعتمد فى تأسيس هيكله البنائى على :-

*الموضوع .

- التكاثف الاجتماعى للأحداث .
- التصاعد الدرامى .
- صراع الشخوص .
- العقدة .

الحل المتمثل فى التمسك بالديـــن .

كما اعتمد المقال على حسن الربط وجمال العرض ومنطقية الأحداث.

وقد يحمل المقال الموضوعى سمة الملامح الذاتية مثل مقال (يـوم لا انساه) لمحمود تيمور [1]قال فيه :-

سئلت عن اليوم الذى لا انساه ، وليس السؤال بالغامض ولا بالغريب ، فما من امرى الا مرت به أحداث لها خطر فى مجرى حياته ، فأيامها ماثلـــة أمام عينيه على مر الزمن لا تنسى ! , د

وهذه الأيام أشتات من مظاهر الحياة ، فيها الهزيمة والنصر ، وفيـــها الدمع والابتسام ، وفيها الحرج والخلاص والمرء يصيبه من هـــذه الأشـــتات نصيبه المقدر وإني حينما أتلفت ورائي ، لأعرض ما سلفت من أيامى أشـــهد كثيرا من الأحداث بين حلوة ومرة ، ولكننى لا أعرف فيها حدثا يتميز عـــن بقية الأحداث ، ويأخذ منها مكان الصدر ! ... وإنما هى طعوم متباينة ، لكـــل مكانة وأثره فلو جاز لى أن أعتبر منها اليوم الذى لا أنساه لكـــان علـــى أن اسرد سلسلة موصولة من الحلقات من أيام حياتى !! ..

على أننى فتشت . فيما انقضى من هذه الأيام - عن يوم حققــت فيــه أمالى ، وأصبت أهدافى ، لعلى أجد بريقه يتلألأ فى ظلمات السنين الخاليـــة ، فأستخلصه لأقلده زعامة الأيام التى لا تنسى ، وعلى الرغم من أننى لم أكن

---

[1] محمود تيمور ١٨٩٤ ١٨٩٤ -١٩٧٤م كاتب قصصى نابغة مصرى مولده فى القاهرة ووفاته مصطافا فى لوزان بسويســــرا . أثـــاره متنوعـــة منـــها القصـــة والمسرحية ترجم كثيز من أعماله الى اللغات الفرنسية والانجليزية والألمانية و مـــن كتبه المطبوعة قال الراوى ، دنيا جديدة ، نداء المجهول ، صقر قريـــش ، واليـــوم خمر ، والنبى الانسان الإعلام - الزركلى - دار العلم للملايين المجلد السابق - ص ١٦٥ - بيـــروت .

فاستخلصه لأقلده زعامة الأيام التى لاتنس ، وعلى الرغم من أننى لم أكن متجنيا فى تصوير هذه الأمال ، ولامتطاولا فى تعيين تلك الأهداف - رجعت بعد طول التفتيش خاوى الوفاض من ذلك اليوم المنشور ؟ .

ولقد كان طبيعيا ألا أعثر على أثر فلكل إنسان مهما يكن من شأنه مطامح وأحلام ، يصبو إلى تحقيقها فى يوم من الأيام ومثل الإنسان معها كمثل من يتقاذف كرة فى ميدان مسحور ، كلما ظن أنه بلغ بها المرمى تعددت أمامه مرام أخرى تفتن بصره ، وتتقاسم اهتمامه ... وإذا كنت قد فقد اليوم الذى لا أنساه ، فيما مربى من أمس فإنى لم أفقد انتظارى له فى ساعة من ساعات أحلامى ... ما برحت مملوء النفس تشوقا إلى تحقيق أمالى وبلوغ أهدافى ، فأنا دائم التطلع إلى الغد ، أرتقب أن يحمل إلى هذا اليوم " اليوم الذى هو سراب يخطف العين بالتماعه ، وهيهات أن يفوز طالبة بطائل- وسيظل حظى منه دائما مجرد التطلع والانتظار ، ولعل ذلك سر ما جعلنى اعتبره اليوم الذى لا أنساه) [1]

ومقال محمود تيمور السابق يتناول فكرة موضوعية طريفة بها لمحة ذاتية تترجم همسات وجدان الكاتب وطبيعة رؤيته للأحداث وفلسفته للمواقف فقد كان رده على سؤال وجه إليه وهو .

ما اليوم الذى لا ينساه ؟

فقال : سيظل حظى منه دائما مجرد التطلع والانتظار ولعل ذلك سر ما جعلنى اعتبره اليوم الذى لا أنساه .

---

[1] عطر ودخان – محمود تيمور – المطبعة النموذجية – ٣٧ : ٢٣٨ .

يقف الدارس على تسلسل رد محمود تيمور على السؤال في إطار فلسفي بسيط جذب المتلقى ورسم على وجهه ابتسامة القبول لمنطق الكاتب الذى صرح بان فى حياته كلها الأيام التى تحمل المطامح والاحلام والأحزان والأفراح والآمال والأمانى ولكنه مازال يتطلع ليوم لا ينساه .

وفى هذا دعوة للأمل وبشرى بقدوم غد مشرق .

والمقال الموضوعى الذاتى السابق من المقالات التى تجذب كثير من القراء لسرعتها - وبساطتها ومن الجدير بالذكر ان المقال الموضوعى يعالج القضايا النقدية والفلسفية والنفسية والعسكرية والتاريخية والطبيعية والفلكية والجغرافية والاجتماعية والفنية ومنه أيضا المقال الصحفى والإذاعى ويندرج تحته مقال المعارضةأوالمقال النزالى وهوالمعروف أيضا باسم الحملة الصحفية ويعتمد هذا النوع من المقالات على الصراع العقائدى والمذاهبى أو الفكرى ويركز على اختلاف الأراء تجاه التيارات والنزعات والمعاصرة ولهذا يحتاج كاتب هذا النوع الى الوقوف على ما يستجد من الأحداث والأراء التى تعارضها و تساندها ومعرفة أسباب المعارضة أو القبول كما يجب ان يتمتع كاتبه بسعة الاطلاع وتفتح الإدراك والقدرة على المناقشة الواعية المنبثقة من صحة الأدلة ووضوح البراهين وصدق المقدمات ويتجلى هذا النوع من الحملات الصحفية فى الصحف السياسية وصحف الأحزاب .

والآن الى القارئ الكريم ملامح سريعة لعناوين مقالات بعض الصحف المصرية.

جاء فى الأهـــرام :-

مصرتطالب مجلس الأمن بإلزام اسرائيل بالتراجع عن توسيع القدس .

مندوب مصر فى الأمم المتحدة .

الخطة الإسرائيلية تنسف عملية السلام وتهدد بدفع المنطقة إلى دوامـــة مـــن العنف مجلس الامن بدأ مناقشاته على الرغم من طلب أمريكا التأجيل [١].

جاء فى الوفـــد :-

- مصر ترفض استغلال أمريكا لأحداث قرية الكشح . القـــاهرة رفضـــت السماح لوفد الكونجرس بالتحقيق فى أســـباب الاضطرابـــات اتصـــالات لترتيب زيارة وفد رسمى مصرى إلى واشنطن .
- للرد على مزاعم اضطهاد الأقباط قبل زيارة (مبارك) .
- تحرك سياسى مصرى عاجل للتصدى لمحاولات استصدار قرار أوربـــى حول أحداث الكشـــح .
- **وفى الوفـــد :-**

مصر وبريطانيا ترفضان العدوان الروسى على الشيشان [١]

وفى الأخبار :-

المفاوضات السورية الاسرائيلية مستمرة حتى الأحـــد .

اولبرايت تستغيث بكلينتون لاعطاء دفعة لعملية السلام .

---

(١)الأهرام – الأربعاء – ١٩٩٨/٧/١ م العدد ٤٠٧٤٩ ص ١ .

(٢)الوفد – الجمعة – ٢٠٠٠/١/٢١ العدد ٤٠٢٨ ص ١ .

(١)الوفد العدد ٤٠٢٨ ٢٠٠٠/١/٢١ الجمعة .

تقدم فى العلاقات والترتيبات الأمنية وصعوبات فى الحدود والمياه .

عضو بالوفد السورى يتهم إسرائيل بالمناورة والمماطلة [١]

وفى جريدة الجمهورية :-

الصلح فى الكشح ، الأهالى يتبادلون الزيارات وشيوخ القبائل تعـــهدوا ببحث أسباب الأحداث المسلمون والمسيحيون نزلوا الأسواق للبيع والشراء.

- المشير طنطاوى للرئيس مبارك [٢] .
- القوات المسلحة حريصة على حماية المقدسات وصون عزة الوطن .
- وتحمل الصحف المصريـــة إلى جانب العنصر السياسى لمحات قوميـــة ووطنية ففى جريدة المساء صدر هذا الخبر لمقال موضوعى .

فى المســـاء :-

الزعيم والقائد مع رجال الشرطة فى عيدهم ومع مبدعى ومثقفى مصر [٣]

فى وطنى :-

علماء النفسى يكشفون أسرار تقلبات المزاج [٤]

فى الايام :-

اللغه أهم المشاكل التى تواجه الدعاة [٥] .

بعثات الأزهر إلى الجاليات الإسلامية لا تتوقف .

---

[١] الأخبار ١٤٨٨٠ ٢٠٠٠/١/٧ الجمعه

[٢] الجمهورية العدد السابق ص ١

[٣] المساء العدد (١٥٦١١) ٢٠٠٠/١/٢٦ ص ١

(٤) وطنى ٢٠٠٠/١/٢ العدد (١٩٨٤) ص ٩ .

(٥) الايام ٢٠٠٠/١/٥ ص ٥ (العدد ٥١) .

فى اللواء الإسلامــى :-

رابطة العالم الإسلامى تستنكر الغزو الروسى للشيشان .

شيخ الأزهــر :-

يزور الجمهوريات الإسلامية [١] .

فى أول تجربة لجامعة الأزهر ٢٠٠ طالبة بــاكورة قســم الصاحفــة والإعلام بكلية البنات بالأزهر يتم إعدادهن لعمل فى الحقل الإسلامى[٢]

فى عقيدتى :-

مع بداية مناقشات قانون الأحوال الشخصية الأسرة المصرية فى حالة (خلع) . صك الشرعية للزواج العرفى [٢]

- الحضارة الإسلامية والمدنية الاوربيــة (٣) .

فى صوت الأزهــر :-

- التحديات الإعلامية التى تواجه الأمةالاسلامية فىالقرن الحادى والعشرين .

الابتهالات فن قديم يجدد الطاقة الروحية ويدفع الإنسان إلى اتقان العمل (٤)

---

(٢)اللواء الإسلامى العدد (٩٢٧) ١٩٩٩/١٠/٢٨ ص ١٦ .

(٣)عقيدتى العدد ٣٧٤ ٢٠٠٠/١/٢٥ .

(٤)عقيدتى العدد ١٩٣ ١٩٩٦/٨/٦ .

صوت الأزهر العدد (١) أول اكتوبر ١٩٩٩ ص ١٥ مقال للدكتور جمال عبد الحى النجار .

(٢) صوت الأزهر العدد (٤) ١٩٩٩/١٠/٢٢ ص ١٢

-تجربة أحمد زويـــل [1]

-الفن فى عيون بريئـــة . فنون الأطفـــال ذوى الحاجات الخاصه (٢) .

- معرض القاهرة الدولى للكتاب الأربعاء القادم مشاركة ٧٥ دولة من بينــهما ايران والعراق والسودان وفضيلـــة الإمام الأكبـــر يدلـــــى بشـــهادته حـــول تحديات القرن الحالى .

(١)صوت الأزهر العدد (١٣) ١٩٩٩/١٢/٢٤ ك ص١ مقال للأستاذ جمال بدوى عن حصول أ.دالكميائى أحمد زويل على جائزة نوبل .

(٢)صوت الأزهر العدد ٢٠٠٠/١/٢١/١٧ ص ١٣ .

(٣)صوت الأزهر العدد ٢٠٠٠/١/٢١/١٧ ص ١٣ .

هذا إلى جانب البرامج التعليمية التى تعرضها الصحـــف لطلبـــة الشـــهادات الابتدائية والإعدادية والثانوية العامة وقد أثارت الصفحة التعليمية للشـــهادات العامة نظر طلبة الشهادات الأزهرية فقد ورد فى صحيفة صوت الأزهر هـذا العنوان :-

التليفزيون يتجاهل طلاب الأزهـــر لماذا ؟

البرامج التعليمية للشهادات العامة فقط وإذاعـــة القـــرآن الكريـــم لا تكفى[1] .

وبعد فالمقالات فى صحف جمهورية مصر العربية تغطى الأحـــداث والمواقف والاحتياجات المحليـــة والعالمية بحس صحفى وذكاء فنـــى فـــهى تناقش بموضوعية وتعـــالج بمصداقيـــة النواحـــى السياســـية والاقتصاديـــة والاجتماعيه والعسكرية والدينية والفكريـــة والأدبيـــة ويحمـــد لصحـــف جمهورية مصر العربية تميز بعضها بالجانب الدينى الواعـــى الـــذى ينظـــر لقضايا المجتمع نظرة ايمانيـــة متفتحة فاضت من أنوار القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفـــة مثل اللواء الإسلامى وعقيدتى ، وصوت الأزهـــــر هـــذا بالنسبة للسمة الدينية الإسلامية وهناك الصحف التى تحمل الطابع المســـيحى مثل صحيفة وطنى كما تتميز بعض الصحف بالجانب الأدبـــى مثـــل أخبـــار الأدب وفى نهاية هذا الفصل نرسل تحية تقدير وإجلال للصحـــف المصريـــة كافة بإعتبارها الجانب الإعلامى المشرق الذى يعكس درجة تحضـــر الأمـــة وسيرها فى موكب النهوض العلمى .

---

[1] صوت الأزهر - العدد ١٧ ٢٠٠٠/١/٢١

شبكة الإتصالات الدولية وأثرها الابداعى على فن المقال

خلق الله تعالى الإنسان لعبادته وطاعته فيسر له سبحانه سبل الوصول إليه جل علاه والتى يعد العلم من أعظمها قال تعالى فى كتابه الكريم :" بسم الله الرحمن الرحيم (إنما يخشى الله من عبادة العلماء [١]) صدق الله العظيم

وقال المصطفى صلى اللة عليه وسلم(طلب العلم فريضة علىكل مسلم ومسلمة) ومن منطلق هذه الدعوة القوة الصريحة انطلق الإنسان الأول منذ فجر حياته يبحث عن الحقائق كافة فأخذ يمعن الفكر ويحرك العقل فى مراحل حياته حتى وصل بفكره . فى البحث عن : الحياة ، والموت ، والأرض وما فى باطنها وما عليها والرياح ، والعواصف ، والأمطار ، والبراكين والزلازل ، النجوم والكواكب والأقمار ، وطبقات الغلاف الجوى والسماء وحقيقة تكوينها وقد أخبر الحق سبحانه بأنه مهد لعباده طرق البحث وسخر لهم كثيراً من مخلوقاته حيث قال تبارك وتعالى فى سورة الجاثية :

بسم الله الرحمن الرحيم

(وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[٢] صدق الله العظيم . فالتدبر والتفكير فى السموات والأرض أعمق الصور للعباده وأرقى السبل لطاعة الله سبحانه ولا يتم التدبر والتفكير إلا عن طريق البحث والتنقيب واستنباط الأحكام للوقوف على الحقائق والوصول إلى أفضلا السبل وكلما ضاعف الإنسان من السعى والتدبر

---

(١) صورة فاطر جزء من أية ٢٨ .

(٢) الجاثية أية ١٣ .

والتفكير كلما من الله عليه باكتشاف ملامح من أسرار صنعته الإلهية وهذا ما نجده فى تقدم الفكر البشرى على مر الفترات الزمنية حتى وصل الآن إلـــى دنيا الكمبيوتر وعالم الإنترنت ويعد هذا العطاء العلمى هبة عاليـــة وفضـــل عظيم من الحق سبحانه لعباده .

ومن الجدير بالذكر أن العلماء أطلقوا على الألفيـــة الثالثـــة عصـــر المعلومات ودنيا الكمبيوتر والإنترنت وقد شمل هذا الفتـــح العلمـــى قضايـــا المعاملات الإنسانية كما ضم قطاعات متنوعة من العالم الأدبى فقد ورد فـــى أخبار الأدب العنوان الاتى :-

نقطة عبور

الشعر على الإنترنيت ،،،

كتبت من قبل عن مشروع المجمع الثقافى بأبى ظبى ، إدخال موسوعة الشعر المصرى إلى شبكة الاتصالات الدولية ، الإنترنت ، لكننى لم أتعامل معـــها ، ذلك أننى مازلت اتعامل مع وسائل الثقافة التقليدية ، اكتب بالقلم الحبر ومتعتى القصوى فى قراءة كتاب ، أما الوسائل الحديثة فارقب أبنائى أو أخـــى وهـــم يتعاملون معها بدهشة وكأننى من كوكب أخر ، أو زمن مغاير .

منذ أيام خطر لى أن اكتشف الموسوعة ، فطلبت المعاونة من شـــقيقى خبير الاتصالات ومن يتقن التعامل مع هذه الوسائط الحديثة بدا بـــأن كتـــب العنوان على الشاشة وهو كما يلى :-

انتظرنا قليلا ، ثم ظهرت صفحة على الشاشة تعلن عن موقع المجمـع الثقافى والموسوعة الشعرية ، وبرامج المجمع وانشطته وكان يتصدر الصفحة خبر ملون عن موسوعة الدكتور ثروت عكاشة . " العين تسمع والأذن تـرى" الصادرة بأجزائها الثلاثة عن عصر الباروك . من المجمع ، حرك أخى السهم إلى كلمة "الموسوعة الشعرية ، ثم ظهرت على الشاشة ، عبارة ، انتظر مـن فضلك حتى يتم استدعاء الملفات . استمر ذلك حوالى عشر دقـائق ، بعدهـا كان أمامنا فرصـة الاطلاع على مليون وثمانمائة الف بيت شعر عر بى من العصر الجاهلى حتى الشعر الحديث .

أمامنا ظهر جدول إلى يمين الشاشة أشبه بفهرس عليه أسماء الشعراء ، يمكن تحريكه إلى أعلى أو أسفل ، ويحـدد السـهم الشـاعر المطلـوب ، ويضغطة بسيطة نجد على الصفحة أمامنا الأشعار ، فإذا أردنا قصيدة معينـة فأمامنا فى جدول أخر عدة محاور يمكن التعامل معها .

العروض وتوضح ميزان الشعر والقافيـة ، ومنها يمكـن الوصـول فورا إلى بيت الشعر المطلوب وإلى القصيدة .

الشعراء ومنه يمكن معرفة تفاضيل حياة كـل شـاعر والمعلومـات المتوافرة عنه .

الألفاظ ومنها يمكن معرفة الألفاظ ودلالاتها ، فإذا أردنـــا أن نعـــرف مثلا عدد المرات التى ترددت فيها كلمة (حنين) فى شعر المتنبـــى ، عندئـــذ يمكن ان نكتب الكلمة والمطلوب فيظهر لنا خلال ثوان .

الاستماع : إذا اردت الاستماع إلى القصائد ، فيتم ضغـــط مفتـــاح ، عندئذ نصغى إلى القصيدة بأصوات أشهر المتخصصين .

المراجع : إذا أردنا أن نعرف كافة المراجع المتخصصة فى دراســـة شاعر معين أو عصر معين ، يمكن استدعاؤها على الفور .

هكذا ، خلال دقائق معدودات ، يمكن التوصل إلى نتائج كان البـــاحث يقضى من أجلها أسابيع وربما شهورا ، تضم الموسوعة الأن .

من الشعراء الجاهلين ٣١٢ ، الشعراء الاسلاميين ٧٣ ، من الشـــعر الأمويين ١٢٨ ، من الشعراء الفاطميين ٢٥ ، من الشعراء الأيوبيـــن ٢٣ ، من الشعراء العباسيين ١١ ، من الشعراء الأندلسيين ١٣٦ ، مـــن الشـــعراء المملوكيين ٢٤ ، من المحدثين ١٣٥ .

خلال دقائق تم الضغط على مفتـــاح التحكـــم ، فـــانتقلت محتويـــات الموسوعة إلى اسطوانة وزنها ثلاثة جرامات ، احتوت على مليون وثمانمائـــة ألف بيت من الشعر العربى ، أى ما يتجاوز الألف ديوان شـــعر ، بعضـــها العثور عليه الآن من أصعب الأمور ، ويكلف الأمر مالا جسيما ، مرة أخرى عاودنى الشعور بالفرح والغيظ أيضا ، أما الفرح لاننى لأول مرة أرى بـــأم عينى إلى أى حد أفادت الوسائط الحديثة الثقافة ، وجعلتها ميسورة ، ســـهلة ،

مجانية ، فالموسوعة الشعرية تظهر مجانا ويتم تخزينها مجانا ، أمـــا الغيــظ فلانني انفقت عمرا كاملا فى محاولة اقتناء نصف هذا العدد وبذلت مالا كثيفا لاجمعها وتشغل الآن حيزا كبيرا فى بيتى ، وهاأنا اراها فى رقيقة معدنيــة ، بل أضعاف ما عندى " مقروءة ومسموعة أيضا ، نفس الشعور تكرر عندمـا قمنــا باســتدعاء برنـــامج الـــوراق الـــذى اعـــده المجمــــع وعنوانـــه كالاتـــى :- www alwar aq com .

كما ورد فى اخبار الادب ما يلــى :-

هديـــة هيئة الاستعلامات وأخبار الأدب إلى أدباء مصر مواقع للأدباء على الانترنيت .

صرح د / نبيل عثمان رئيس الهيئة العامة لاستعلامات انه بالتنســيق مع أخبار الأدب سيتم إنشاء مواقع لأدباء مصر على شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) ويضم كل موقع معلومات دقيقة عن الأدب بـــالغتين المصريـــة والانجليزية سيتم ذلك خلال الموقـــع الـــهام الـــذى انشـــأته الهيئـــة العامـــة للاستعلامات لتقديم أخبار مصر إلى العالم وسائر ما يتعلـــق بالموضوعـــات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بحيث تقدم صورة متكاملة عن مصر للعالم ويزور الموقع يوميا عدة ملايين من المشتركين الذيـــن يســـتخدمون شـــبكة الاتصالات الدولية وسيبدأ فريق متخصص فى إعداد الملفات المطلوبة للموقع من خلال المعلومات المتاحة بالنسبة للأدباء الراحلين ، ومباشرة من الأدبـــاء المعاصرين وسيكون الموقع جزءا من برنامج مصر [1]

---

[2] أخبار الأدب ٢٠٠٠/١/٩ ص ٣ العدد ٣٢٩ .

وعن هذا الفتح العلمى كتب الأستاذ الدكتور جمــــال النجــار المقـــال العلمــى الآتى:- (*)

الكمبيوتر وعصر المعلومات

أن العصر الذى نعيشه الآن يعرف بظاهرة انفجار المعلومات وتعنــى اتساع المجال الذى تعمل فيه المعلومات ليشمل كل جوانب الحياة البشـــرية ، وأصبح انتاج المعلومات عبارة عن صناعة لها سوق كبير لا يختلف كثـــيرا عن أسواق السلع والخدمات ، وتنفق الدول الصناعية الكــبرى علــى انتــاج المعلومات أموالا أكبر مما تنفقه على العديد من السلع الاستراتيجية المعروفـة فى العالم .

وقد أسهمت الحاسبات الالكترونية فى توجيه عائد ثورة المعلومات هذا إلى الأفراد والمؤسسات فقد أصبحت المعلومة قادرة على الانتشـــار بشـكل جماهيرى واسع عن طريق الحاسبات الشخصية كوسائط اتصاليــة فقد مثــل الحاسب الشخصى التكنولوجيا الرابعة الممكنة فى عصـــر المعلومـــات بعــد ظهور اشباه المواصلات والأقمار الصناعية والألياف الضوئيـــة .

وبوجه عام فقد أصبحت الحاسبات الألية او الألكترونية أبرز وعـــاء لتداول المعلومات فى الوقت الحاضر ، وقد تشكل فـــى المســتقبل الوعــاء الاتصالى الوحيد ، خصوصا فى ظل التطورات التكنولوجية المتلاحقة التـــى تطرأ عليها ، والتى تضعها فى إطار انظمة الوسائط المتعددة والتـــى يطلــق

(*) الأزهر والعلوم العدد الثانى مايو ١٩٩٩ م ص ٣٤ .

عليها ما ليتمديا Multimedia والتي أذابت الحدود الفاصلة بين وسائل الإعلام بشكلها التقليدى . ومن أبرز مجالات تطبيق استخدام الحاسبات الشخصية فى مجال الاتصال الجماهيرى يتمثل فى البريد الالكترونى والمؤتمرات التى تعقد بواسطة الحاسبات ، والاستخدام البسيط لمؤتمرات الحاسبات شبيهة إلى حد كبير باستخدام البريد الالكترونى ، والذى يعنى بث رسائل معينة من جانب مرسل إلى مستقبل معين ، والتطورات الحديثة فى مجال البريد الالكترونى تمثلت فى تحويلة إلى بريد صوتى ، والذى يتم من خلاله تحويل الاتصال الصوتى الى أرقام ويتم اختزالها حتى يستطيع المستقبل سماعها مرة أخرى عندما يريد ، ويتمير مؤتمر الحسابات بتوفير إمكانية لدى أكثر من شخص للوصول إلى ملف مشترك يتضمن معلومات معينة ، وتختلف هذه لنوعية من الأنظمة الاتصالية بشكل كبير عن أنظمة الاتصال بشكلها التقليدى .

ويعتبر البريد الالكترونى إحدى وسائل تبادل الرسائل بين الأفراد مثل البريد العادى ولكن بسرعة وكفاءة وفاعلية باستغلال إمكانية الشبكات المختلفة التى تعتمد اعتمادا أساسيا على الحاسبات ، هذا بالإضافة إلى إتاحة أنماط أخرى لإرسال الرسائل مثل إرسال نفس الرسالة لعدد كبير من المشتركين بصورة سهلة وسريعة ، ويمكن استخدام أنظمة البريد الالكترونى بالنسبة لجميع أنواع الشبكات سواء الشبكات التى تعمل على توصيل الحاسبات المتواجدة فى مبنى واحد او مؤسسة فى مكان واحد أو الشبكة التى تغطى مساحة جغرافية أوسع من ذلك ، وقد تم تقدير عدد مستخدمى البريد الالكترونى فى الولايات المتحدة الامريكية فقط عام ١٩٩٥ بحوالى ٣٨ مليون

مستخدم . وهناك برمجيات متعددة تساعد المستخدم علـــى صياغـــة رســـالته وإرسالها ، وكذلك ترتيب وتصنيف البريد الذى يصله أو التخلص من الرسائل القديمة التى لا يريدها . ولتسهيل عملية النشر الالكـــترونى علـــى الشـــبكات وتصفح الكم الكبير من المعلومات الكبيرة المتاحة عليها ، ثم وضـــع أنظمـــة متطورة للمساعدة فى ذلك من ذلك نظام يسمى " جوفر " وهو مبنى على نظام القائمة "Menu – driven " والثانى يسمى WWW أى شبكة العالميـــة العنكبوتية والتى تبنى على نظام النصـــوص الزائـــدة او الوســـائط الزائـــدة Hypermedia ويسمى اختصارا Web هذا بالإضافة الى تقديم بعـــض الطرق الخاصة بالبحث الألى . نظام جوفر يتيح هذا النظام خدمة تقليـــب او تصفح المعلومات المتاحة على شبكة الانترنت وهى خدمـــة تفاعليـــة تســـمح للمستخدم بالاتى : تحديد أماكن الحاسبات البعيدة التى تحتوى على المعلومـات التى يريدها وعرض هذا المعلومات وقراءة توصيف الملفات المتاحـــة ، ثـــم طباعة البيانات أو المعلومات او المعارف التى اختارها كما يمكنه أيضا تتبـــع المعلومات من حاسب إلى أخر على الشبكة ، وقد بدأ هذا النظام فى جامعـــة مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية . نظـــام النشـــر والتصفـــح WWW بالإضافة إلى الخدمة التفاعلية التى يتيح للمستخدم تصفح المعلومـــات علـــى شبكة انترنت ، فإن هذا النظام يسمح بأن تكون المعلومات فى شكل النصوص الرائدة او الوسائط الزائدة ، وعلى هـــذا الأســـاس يمكـــن الحصـــول علـــى المعلومات ذات الأشكال المتعددة من نص وصورة وصوت وفيديـــو والتـــى تعرض على شاشة الحاسب الخاص بالمشترك فى هذه الخدمة .

وفى مجلة الأزهر والعلوم ورد المقال العلمى التالـــــى :- عالم الانترنيت [١] إعداد رامى محمد حرب كلية الهندســـة .

تعد البذرة الأولى والأساسية لنشاة الانترنت فى أواخر الستينات عندما طلبت وزارة الدفاع الأمريكية من إحدى شركات الكمبيوتر تصميـــــم شـــبكة للحاسبات بحيث تضم مجموعة كبيرة من الحاسبات لا تعتمد هذه الشبكة علـــى جهاز واحد . وعام ١٩٧١ يعد هو العام الفعلى لبدء الشبكة حيث قامت شركة Indepent بتصميم أولى الشبكات والتى تتكون من مجموعة من الشـــبكات الصغيرة .

ولقد اتسعت شبكة الانترنت فى هذه الأيام لتشمل جميـــع دول العـــالم وملايين المشتركين من الاشخاص والشركات .

وتكون الشبكة من مجموعة من الادوات الخاصة بها مثل :-

(١) صفحات الويب WWW (WORLD Wide Web).

وتكو لكل صفحة من هذه الصفحات العنوان الخاص بها والتى يمكـــن الذهاب إليها عن طريقه ويتم فى هذه الصفحـــة نشـــر الأخبـــار والمقـــالات وعرض المنتجات والسلع وكذلك تحتوى على المعروضات الفنية بـــالصوت والصورة الثابته والمتحركة أيضا . ويتم التنقل بين هذه الصفحات عن طريق برنامج يسمى متصفح الشبكات . ومن أمثلة ذلك صفحة الأزهـــر الشـــريف على الإنترنت .

---

[١] مجلة الازهر والعلوم العدد الثانى مايو ١٩٩٩م ص ٣٤ المقال .

HttP : / / WWW.ALazhar .Com .

(٢) البريد الالكترونى e-mail

يوجد لكل مشترك بالانترنت عنوان بريدى خاص به ويتم استقبال الرسائل على هذا العنوان حتى وإن لم يكن المشترك موجود على الشبكة فى هذا الوقت فعند دخوله يقوم بالذهاب إلى الصندوق الذى يحول الرسائل ويقوم بالاطلاع على الرسائل الخاصة به و الرد عن طريق نفس المكان . ومثال هذا العنوان .

name @ domain. Com

(٣) بروتوكول نقل الملفات FTP (File Transfer Protocol)

هذا النوع من الأدوات يعد وسيلة نقل الملفات بين أجهزة الكمبيوتر التى تستخدم الإنترنت ، ويمكن من خلاله نقل جميع أنواع الملفات كملفات النصوص المكتوبة وملفات الصوت أو الصورة وكذا البرامج.

(٤) محادثة الانترنت IRC (Internet Relay Chat).

وهذا النوع من الأدوات يمكن مستخدميه من التحدث مع بعضهم الأخر أما عن طريق الكتابة أو عن طريق الصوت والصورة ، ومن الجديد بالذكر ان بعض رجال الأعمال فى هذه الأوقات يقومون باستعمال هذه الخصائص فى إقامة مؤتمرات بالصوت والصورة ويتم الاتفاق وعقد الصفقات عن طريق هذه المؤتمرات . — وتعد من أحدث تقنيات الشبكة هى إستعمالها فى كوسيلة للاتصال التليفونى أو الفلكس عبر الخطوط الدولية وبنفس تكلفة المكالمات المحلية .

<u>**مسوغات الاشتراك بالانترنت :-**</u>

(١) جهاز كمبيوتر مجهز بكارت الاتصال التليفونـــى (Fax Mdem) والبرامج المتخصصة للتشغيل .

(٢) خط تليفونـــى .

(٣) اشتراك مع أحد موزعى خدمة الانترنت – ISP, Internet Ser) Vice Provider) فإما ان تتصل به ويقوم هو بادخالك على الشـــبكة او تقوم باستئجار خط تليفونـــى فـــورى للانـــترنت منـــه دون الحاجـــة للاتصال به .

وبعد هذه اللمحة العابرة عن شبكة الاتصالات الدوليـــة والتى كشـــفت الضوء عن أهمية التعامل مع الانترنيت لما له من تنمية المـــدارك وتنشـــيط الفكر واذكاء المواهب تبين للقارئ الحصيف إنه مـــن الضـــرورى تخزيـــن المقالات التى يمكن تخزينها على اسطوانات (CD.Rom) مـــن العصـــور الأولى للأدب حتى العصر الحديث بحيث يسهل الاستدعاء الموضوعى لـــها كما يشترط تغذية شبكة الاتصالات بطبيعة المقالات وكيفية فنيتها وظروفـــها البيئة الزمانيـــة والمكانية ومالها من قيم جمالية وملامح تصويرية تتجلى فـــى الأداء الصوتى والتعبيرى والتشكيلى ومالها أيضا من مصداقيـــة وواقعيـــة تغرس طاقات الإبداع فى كتابها مما يسير عليـــهم وعلـــى البـــاحثين ســـبل التحصيل وخاصة إذا كانوا من الذين يدرسون فن المقال وتطوره وعنـــاصره وملامحه الفنية وشروطه ففى هذا توفير للوقت والجهد مما يدفع الرغبة فـــى الابتكار والتجديد ويحث على تغذية الإحساس وترقية الذوق .

الفصل الثالث

أ – الصدى الجماهيرى لمقالات صوت الأزهـــــــر

ب – أسماء بعـــض صحف جمهورية مصر العربيـــة

الصدى الجماهيرى لمقالات صوت الأزهـــر

يعد الأزهر الشريف الصوت الواعى للدعوة الإسلامية الرفيعة العاليـة فهو المنبر المشرق الذى يشق بصوته الصادق الأمين أرجاء العالم مبينا جمال التوحيد وعظمة الإيمان وجلال الأسرار الكامنه فى الحقيقة الشريفة التى تبـدد ظلمات القلوب الآ وهى :-

(أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)

فهذا النور الربانى الذى ينطلق من قلب المسلم ليرسم على فمه ووجهه وساما رفيعا شريفا كله عزة وبهاء هذا الوسام الربانى الذى يحيـــط بالمســلم ويجعل فيه جمال الشموخ وضياء الكبرياء تشرف الأزهر بالدعوة الواعية لــه وبيان ما فيه من فوز عظيم ونصر مبين لما فى التمسك به وحملـــه من جــهد وكفاح وعمل لأنه ليس عبادة تردد أنما هى فتح للبشـــرية وتجديــد لآمالـــها وآمانها وسعادتها وتفتحها ومن منطلق إحساس الأزهـــر بعمق الأمانـــة .

صدرت صحيفة صوت الأزهر لتوعية الفكـــر الإســـلامى الإيمـــانى وتنقيته من الشوائب التى تمس كرامة الحقائق الإسلامية :-

وصوت الأزهر صحيفة أسبوعية شاملة الإشراف العـــام لفضيلـــة أ . د أحمد عمر هاشم وأ.د فوزى فاضل الزفزاف ورئيس التحرير أ.جمـــال بدوى الذى صرح فى مقال (رسالة هذه الصحيفة) بقولـــه :-

(رسالتنا أن نوقظ العيون الغافلة ونحرك العقول الجـــامدة ونزعـــج النفوس الراكدة حتى تتخلى عن السلبية والخنـــوع والجهالـــة ولا تنشـــغل

بسفاسف الأمور التى حطمت بنيانها العقلى وترتفع إلـــى مســتوى العصـــر وتنطلق بهم إلى أفاق أبعد وقضايا أخطر .... مهمـــة هـــذه الجريـــدة أن تأخذ بأيدى الناس إلـــى ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم وتدلهم علـــــى الطريـــق الصحيح إلى السعادة الحقيقيـــة والحياة الكريمة والقيم الفاضلة وهو الطريـــق الذى سلكه السلف الصالح فدانت لهم الدنيا حتى عمروهـــا بـــالعدل والحـــق والمدنية وذلك مصداقا لقول رسولنا صلى الله عليه وسلم " لاتزال طائفة مـــن أمتى قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله " . والحـــق الذى نفهمه من قول نبينا ليس مقصورا على العبادة الروحية ولكنـــه يشـــمل العبادة العلمية التى تقتضى من المسلم استفراغ الجهد فى التفكـــير والتدبـــر والاتقان والصبر والجلد ، واستخدام العقل فى اكتشاف سنن الكون حتى يملـك المسلمون ناصيةالعلوم وهىميسرة لكل من يحمل فىقلبه ذرةمن إيمان وجرعة من العزم الشديدونصيبامن الصدق والجديةوالإخلاص فىالقول والعمل)[1] .

ومن الكلمات السابقة للأستاذ جمال بدوى يتبين للقارئ الكريم هـــدف مقالات صوت الأزهر وأبعاد موضوعاتها التى تشغل الصحيفة وهى أبعـــاد تتجلى من الرؤية الإسلاميـــة فى تناولها لكافـــة الموضوعـــات السياسيـــة والاجتماعية والاقتصاديـــة والفكرية والنفسية وقد أعجبنى مقال جمال بـــدوى وكلماته التى تحمل روح الإيمان الواعى والعزيمة الصادقة وقد أكد الدكتـــور محمود فهمى حجازى مالصوت الأزهـــر من دور عظيم فى مرحلة عصـــر المعلومات فذكر أن (هذه الجريدة سيكون لهادوركبيرعندربطها الاسلام بالحياة المعاصرة هذه القضيـــة التى نجد بداياتها فى كتاب رفاعه الطهطاوى وهـــو

---

[1] صوت الازهر – العدد (١) ١/١٠/١٩٩٩ م ص ١

أزهرى فى تكوينه الأساسى ثم نجد امتدادا لها فى كتاب أعلام مفكرينا من محمد عبده إلى مصطفى عبد الرازق وطه حسين والعقاد وهذه الرؤية لم تنقطع بموت هؤلاء بل هى مستمرة عند أعلام المفكرين المعاصرين حفظهم الله ، الاسلام والحياة المعاصرة موضوع منهم نريد أن نرسخ عند القراء قضية أساسية وهى أن الاسلام لكل زمان ومكان وأن الأسس العامة للإسلام تعد من أهم الأسس لبناء المستقبل وهناك قضية ثالثة أتوقع لها مكانا فى هذه الجريدة تتصل بالثقافة العربية الإسلامية ودعم الانتماء فالتراث العربى متنوع وكله فى اطار حضارة اسلامية شاملة التراث العربى فيه تراث علمى وتراث طبى وتراث شعبى وتراث أدبى وتراث لغوى إلى جانب التراث فى علوم التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك كل هذا يمثل تراثا انسانيا كبيرا يجب التوعية به وبمكانه بإسلوب علمى رصين بسيط يعمل انتماء المواطن لثقافته بشكل يجعله ينجز انجازا راقيا والمعالجة هنا لابد أن تكون برؤية معاصرة فيها الوضوح والتركيز والعلمية وبلا مبالغات .... ولهذا كله أحيى هذه الجهود الهادفة إلى إصدار هذه الجريدة التى نتمنى لها كل ازدهار وهذا الأمل يرتبط بدور مصر التاريخى فى إطار الثقافة العربية الإسلامية ودور مصر المعاصر أملا فى تشكيل منظومة جديدة للعالم يكون للعرب فيها دور مناسب فى إطار التعاون مع كل الشعوب الإسلامية من أجل مستقبل أفضل [١] . وعبارات د/محمود فهمى حجازى تبعث التحية لصحيفة صوت الأزهر وتحمله مسئولية الدعوة بكشل عصرى يجمع بين النظريات الواعية والتطبيق

---

[١] صوت الازهر والعدد (١) ١٩٩٩/١٠/١ م ص ١٦ .

الإيمانى المتفتح مع تجنب الغموض و التقليد و المحاكاة فالإسلام دين حضـــارة ورقى ودين العقل والقلب فى كل زمان ومكان .

و تجد عزيزى القارئ بعد الكلمات السابقة صحيفة الأزهر تعالج فـــى مقالاتها القضايا المتنوعة ومن عناوينها :-

علماء الإسلام يطالبون مبارك بدعم الديمقراطيـــة وترســيخ الأمــن والاهتمام بمشاكل الشباب ومساندة القضايا الإسلاميـــة .

- المخابرات الأمريكية تبحث عن خطـــاب .
- بريطانيا تعطى الضوء الأخضر للاستنساخ البشـرى .
- خطة سعودية لزيادة عدد المعتمرين إلى ١٠ ملايين سنويا [١]

فى الصفحة الخامســة من نفس العدد :-

- شيخ الأزهر لوفد الجامعة الأنطوانية بلبنـان .

لا تفرقة فى الحقوق والواجبات بين المصريين مسلمين ومســيحيين أمـــا العقائد فمرجعها إلى الله .

- خطة لتطوير المعاهد الأزهريـــة وتزويدها بالكمبيوتـــر أستكمال معـــامل العلوم وتحديث المكتبات .
- العلماء يؤكدون فى ندوة اقتصاديـــة .

ضرورة وجود قوانين تحافظ على المال العام .

– المجلس الإسلامـــى العالمى يناشد الهيئات الطبية تقديم المساعدات لمنكوبى السودان .

---

[١] صوت الازهر العدد (١) ١٩٩٩/١٠/١ م ص ١

وفى الصفحة السادسة من نفس العـــدد :–

- داخل لجنـــة الفتوى بالأزهـــر .
- نائب رئيس جامعة الأزهـــر يجيب عن سؤال قارئه :–
- هل (السونار) يتعارض مع أية
- (ويعلم ما فى الأرحام) ؟
- وفتاوى على الإنترنيت .

حتى فى أمريكا يسألون عن الزواج العرفى !! .

وفى الصفحه السابعـــة :–

– الإخلاص فى القول والعمل	د / سيد طنطاوى .
– المعجم الفقهـــــــــى .	د / عبد الحى عزب .
– لوجه اللـــــه .	د / محمد وهـــــدان .

ويسير القارئ مع الصحيفـــة فيجد هذه العناويـــن :–

– المسالة الكردية والأمن القومى العربى .
- فى رحاب الأزهر تخرج علماء الأكراد ورواد الثقافة العربية [١] .
- الأنديـــة والمنتخبات تحتفل بعيد اكتوبر (٢) .

ومن عناوينها فى العدد الثانى :–

– ماذا نريد من الحكومة الجديدة أ . جمال بدوى .
- اتهام المطرب مارسيل خليفة بالإساءة إلى الإسلام يفجـــر معركـــة بيـــن القيادات الدينيـــة فى لبنان [١] .

---

[١] صورة الازهر العدد (١) ١٩٩٩/١٠/١ ص ١١.

(١) صورة الازهر العدد (١) ١٩٩٩/١٠/١ ص ١٩.

- رجال الأزهر يروون زكرياتهم عن حرب اكتوبر المجيدة (٢) .
- الأزهـــر بـــرئ طـــلاب البـــلاد الأســـيوية التـــى تعرضـــت لأزمـــات مالية خانقة(٣) .
- الأزهر برى من تهمة مصادرة الفكر والحجر على الإبداع (٤) .
- العالم يغزوا الفضاء ونحن نتحدث عن الخرافات (٥) .
- الإعلام الإسلامى والغزو (٦)
- الوظيفة لابد أن تعطى لمن يستحقها (٧)
- المطالبة بصياغة نظرية إسلامية لحقوق الإنسان (٧)
لانهـــا منحة الهيـــة وليست من المجتمع والحكام .
- التدخين لم يرد نص صريح فى حرمته .
ولكنه يصل الى درجة الحرمة لثبوت أضراره . (٤)

---

(١)صوت الازهر العدد الثانى ١٩٩٩/١٠/٨ م ص ١
(٢)العدد السابق . ص ٢
(٣)العدد السابق . ص ٢
(٤)العدد السابق . ص ٣
(٥)العدد السابق . ص ٣
(٦) صوت الازهر العدد (٢) ١٩٩٩/١٠/٨ م . ص ٤
(٦)العدد السابق . ص ٤
(٧)(٧) العدد السابق . ص ٢
(٨)العدد السابق . ص ٤

(٤) العدد السابق . ص ٤

- الأوقاف تشارك فى مكافحة البلهارسيا [٥]

- بدء تنفيذ مشروع الطالب المنتج لأول مرة بجامعة الأزهـــر [٦] .

- وكيل الأزهر بعد عودته من لندن .

إيفاد مبعوثين من الأزهـــر إلى الكلية الإسلاميـــة بلنـــدن لابـــد مـــن وجود فكر إسلامى موحد للائمة والخطباء [٧]إلى جـــانب صفحـــة الفتـــاوى ، من تراث الشيخ الشعراوى ، القاعدة الفقهيـــة [٢] ولو وعمود لوجه الله[٣]

<u>ثم يطالع القارئ هذه العناوين</u> :-

- الفيلم الدينى متى يعود إلى ملايين المشاهدين .

١٢ فيلما إسلاميا فقط من بين ٨٠٠ فيم انتجتها السينما هل أزمة إنتاج أم نصوص أم رقابة ؟ [٤] .

- الإغنيـــة الدينية خرجت ولم تعد

الفنانون لا يقبلون عليها ووسائل الإعلام تتجاهلها [١]

---

[٥] العدد السابق . ص ٤

(٣) العدد السابق . ص ٥

[٧] العدد السابق . ص ٥

(٨) العدد السابق . ص ٦

(٩) العدد السابق . ص ٧

(١٠) العدد السابق . ص ١٢

[١] العدد السابق ص ١٢

وفى العدد الثالث وردت العناوين الاتيـــة :-

- (زويل) جعل العالم يرى مالايرى فاستحق جائزة نوبل [٢]
- خدعوك فقالوا :- خريجو الأزهر ليسوا فى مستوى خريجى الجامعـــات الأخرى [٢] .
- رسالة جامعية تطالب باستراتيجية للإعلام البيئى [٣] .
- قصة آية (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده [٤] د / مهجة غالب .
- دعوة زويل لمحاضـــرة فى الأزهـــر [٥] .
- لغتنا الجميلة فى خطـــر [٦] .
- من يحمـــى بناتنا من مخاطر الزواج الفاســد [٧] .
- كليات جديدة بجامعة الأزهر لمواكبة عصر المعلومات [٨] .
- خلاف بين العلماء حول ترجمة القرآن الكريم [١]

---

[٢] صوت الازهر العدد (٣) ١٩٩٩/١٠/١٥ ص ١
(٣) العدد السابق ص ٢
(٤) العدد السابق ص٥
(٥) العدد السابق ص ٧
(٦) العدد الرابع ١٩٩٩/١٠/٢٢م ص ١
(٧) العدد الرابع ص ٢
(٨) العدد الرابع ص ٣
(٩) العدد الخامس ١٩٩٩/١٠/٢٩م ص ١
(١)صوت الأزهـــر العدد (٥) ٢٠٠٠/١٠/٢٩ ص ٢
(٢)العدد السابق ص ٣
(٣)العدد السابق ص ٧

المعارضون : الترجمة تعطى فرصة لأعداء الإسلام لتشويهه .

المؤيـــدان : ترجمة القرآن مفيدة للقارئ غير العربى .

-حمايـــة الأثار الاسلامية قضية قومية عاجلة [٢] .

- اهدنا الصراط المستقيم أ . د طه مصطفى ابو كريشـــه [٣] .

يفسر أ.د طه ابو كريشـــة - المعانى العالية للأدعيـــة القرآنيه .

ويربط فى عرضـــه لمقالاته الصحفية بين المفهوم الإيمـــانى الرفيـــع وبين متطلبات الحياة .

- مجمع البحوث الإسلامية يجيز عدة مسلســـلات تعـــرض خـــلال شـــهر رمضان [٤].

- حمى الفوازير متى نشفى منها ؟ [٥] تحقيق / منى عبد الجليل .

فى مؤتمـــر ١٠٠ عام على تحرير [١]
هل تحررت المرأة بالفعـــــــل ؟!

- تجربـــة أحمد زويل أ . حمال بدوى

خصصت صحيفة صوت الأزهر عمودا لتفسير الأدعيـــة القرآنيـــه وقد حمل أمانـــة هـــذا التفسير فضيلة أ.د طه مصطفى أبو كريشة نائكب رئيس جامعة الأزهـــر .

(٤) العدد السابق ص ١٢ .

(٥) العدد السابق ص ١٢ .

[١] صوت الأزهر العدد (٥) ١٩٩٩/١٠/٢٩ ص ١٣ .

كتب أ . جمال بدوى تحت عنوان مقاله : .

(لقد وجد أحمد زويل التكريم الذى يستحقه على المستوى الرسمى وأنعم عليه السيد رئيس الجمهورية بقلادة النيل التى لا تمنح الا لروساء الدول كما قوبل بالفرحة الصادقة من كل أبناء مصر ، وبقى أن نضعه فى إطار الخطة التى تتيح له المشاركة فى نهضة مصر العلمية وقد تكون مسرفين فى الخيال إذا تصورنا انه يملك تحت يده ذرا اذا ضغط عليه تحقق المراد من رب العباد — اما الذى يملكه أحمد زويل فهو عمق التجربة التى صنعت منه عالما فذا وهى تجربة قاسية ومرهقة استغرقت منه سهر الليالى وجدية البحث والعمل بروح الفريق والإخلاص لما نذر نفسه له) [٢] .

وقد اصاب أ . جمال بدوى فالنصر الذى حققه هذا العالم المصرى ليس من باب الصدفة والحظ وانما تولد عن ايمان يقينى بقيمة العلم واثره على التقدم الحضارى وفى مقال جمال بدوى دعوة للصحوة العلمية .

- مشروع قانون الاحوال الشخصية أمام اللجنة التشريعية .
- النقد هذا المتهم دائما من المبدعين أ . د / صاح فضل (٣) وهكذا يرى
- القارئ الكريم أن مقالات صحيفة صوت الأزهر تجمع بين طياتها متطلبات الحياة وتعرضها عرضا ايجابيا قائما على الوعى الدينى والفكرى وأن كتابها من الرواد الذين يحملون أمانة الدعوة ويحرصون على الصحوة الإسلامية فهم يسجلون بأقلامهم — على صفحات صوت الأزهر

---

[٢] صوت الازهر العدد (١٣) ، ١٩٩٩/١٢/٢٤ م ص ١ .

(٣) العدد السابق ص ١ .

(٤) العدد السابق ص ١٣.

– ما يرقى بالفكر ويهدى الوجدان فصحيفة صوت الأزهر تجمـــع بيـن المقالات السياسية والاجتماعية والاقتصاديـــة والدينية والأدبيـــة .

ومن المقالات التى جذبت نظرا القـــراء :–

* منبر الجمعـــــة . فضيلة أ.د سيد طنطاوى .
* فى رحاب السنـــة . فضيلة أ.د عمر هاشم .

- داخل لجنة الفتوى بالأزهر (مجموعة من العلماء) .
- مقالات (تختلف باختلاف الأحداث) أ.جمال بدوى .
- أدعيـــة القرآن الكريم . فضيلة أ.د طه مصطفى أبو كريشة .
- من تراث الامام الشعراوى .
- الاعلام الاسلامى د / جمال النجار .
- لوجه الله . د /محمــد وهــدان .
- مداخـــلات . د / أسامـــة ابو طالب .
- ليل ونهـــار حازم هاشـــم .
- الحقيبة الفقهيـــة د / عبد الحى عزب .
- قصـــة آيـــة د / مهجـــة غالــب .
- علامة تعجـــب محمد جـــلال .

وقد اختلفت نسبة القبول الجماهيرى على المقالات الســـابقة وارتبــط الاختلاف بطبيعة التكوين ، والمرحلة العمرية والمستوى الثقافى ، والميـــول الشخصيـــة .

ومن خلال الاستبان رأى بعض القراء ما يلى :–

(١) طلاب المعاهد الأزهريه به يطالبون بضرورة تخصيص صفحة كاملة للبرامج التعليمية وخاصة للمواد الأتيـــة :-
النحو ، والصرف ، والبلاغـــه ، والأدب مع عـــرض لامتحانـــات الأعوام السابقة لهذه المواد .

(٢) يطالب بعض أولياء الأمور بتخصيص صفحة ترفيهية وثقافية تســاعد على تنمية مدارك الطفل بإسلوب بسيط جذاب يعتمد على الرســومات الناطقـــة والألوان المعبرة لأنها صحيفة المجتمع والأســـرة .

(٣) جذب الأقلام على المستوى الإسلامى العالمى فلا يجوز أن تقتصـــــر الصحيفة على رواد الأزهـــر لأنها صحيفة دعوى عالمية .

(٤) يرى طلاب كلية الأداب جامعة عين شمس ومن بينهم الطالب محمـــد السعيد عبد العزيز ضرورة اهتمام الإعلام الإسلامى بهذه الصحيفـــة والدعوة لها من خلال الفقرات الإعلانية للتلفاز والمذيـــاع وعـــرض لمحات من موضوعاتها .

(٥) يرى طلاب جامعة الأزهر ومن بينهم الطالب أحمد عبد العزيز قســم التاريخ والحضارة ضرورة تخصيص صفحة للشباب فقط تعرض فيها

المواهب المختلفة إلى جانب عرض دقيق لمشاكلهم المختلفة بقصد التوعية الدينية والاجتماعية والسياسية حتى لا يقع الشباب فريسة لمخططات تهدف لهدم شباب مصر وذلك مثل الظاهرة التى تناولتها صحيفة إشرافات من زواج الشباب المصرى من بنات صهيون[1] .

واخيرا يتمنى الجميع لصوت الأزهر التوفيق والسداد فهى صوت الدعوة الاسلامية الواعية .

---

[1] اشرافات ٧ فبراير ٢٠٠٠ العدد (٢٩) .

أسماء بعض

صحف جمهورية مصـــر العربيـــة

(١) الأهرام	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير إبراهيم نافع
(٢) الأخبار	رئيس مجلس الإدارة إبراهيم سعده رئيس التحرير جلال دويدار
(٣) الجمهورية	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير سمير رجـــــب
(٤) المساء	رئيس مجلس الإدارة سمير رجب رئيس التحرير محمد فودة
(٥) الوفـــــد	رئيس مجلس الإدارة فؤاد سراج الدين رئيسا التحرير عباس الطرابيلى - سعيد عبد الخالق
(٦) أخبار اليوم	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير ابراهيم سعـــــده

(٧) أخبار الحـــوداث	رئيس مجلس الادارة ابراهيم سعده ورئيس التحرير محمد بركات
(٨) الأيام العربيـــة	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير أشـــرف عامـــر
(٩) الحياة المصريـــة	رئيس مجلس الإدارة والتحرير محمد عمر الشطبـــى
(١٠) الأحـــرار	أسسها مصطفى كامل مراد رئيس التحرير صلاح قبضايا
(١١) حديث المدينـــة	رئيس مجلس الادارة حسنى رشوان رئيس التحرير أسامة الكـــرم
(١٢) الخميـــــــس	رئيس مجلس الإدارة عمرو الليثى رئيس التحرير محمد حسن البنـــا

(١٣) العربـــى	رئيس مجلس الإدارة ضياء الدين داود رئيس التحرير عبدالله إمام
(١٤) الرأى	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير جلال عيســى
(١٥) الملتقى الدولـــى	رئيس مجلس الإدارة ياسر فرحات رئيس التحرير هالة شعبان
(١٦) المواجهـــة	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحريـــــر وحيد غازى
(١٧) العروبة	رئيس مجلس الادارة ورئيس التحرير جمال عبد السميع
(١٨) الأهالــى .	رئيس مجلس الادارة د . رفعت السعيــد رئيس التحرير نبيل زكى

(١٩) الميدان	رئيس مجلس الإدارة محمود الشناوى رئيس التحرير محمد حسن الألفــى
(٢٠) الاسبوع	رئيس مجلس الأدارة ورئيس التحرير مصطفى بكـــرى
(٢١) السياسى المصــرى	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير سلامة أبو زيــد
(٢٢) مايــو	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير سمير رجــب
(٢٣) مصر الغـــد	رئيس مجلس الإدارة محمود عطيـــة رئيس التحريـــــر د . محمد زيـــن
(٢٤) العمـــال	رئيس مجلس الإدارة السيد راشـــد رئيس التحريـــر أحمد حـــرك
(٢٥) الوقائع العربيـــة	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير أسامـــة شرشـــر
(٢٦) البـــلاغ	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير عبد المجيد الشوادفى

(٢٧) اللواء العربـــى	رئيس مجلس الإدارة سامى حجازى رئيس التحرير عيد حامـــد
(٢٨) النـــاس	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير سيد وهبـــى
(٢٩) وطنـــى	رئيس التحرير يوسف سيدهم مستشار التحرير د . سامى عزيز
(٣٠) أخبار الأدب	رئيس مجلس الإدارة ابراهيم سعده رئيس التحرير جمال الغيطانـــى
(٣١) إشراقات	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير ناديـــه حمـــدى .
(٣٢) عقيدتى	رئيس مجلس الإدارة سمير رجب رئيس التحرير السيد عبد الروؤف

(٣٣) اللواء الإسلامـــى	رئيس التحرير ابراهيم راشـــد
(٣٤) صوت الأزهــر	الإشراف العام أ . د أحمد عمر هاشم رئيس التحرير جمال بدوى
(٣٥) النبأ	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير ممدوح مهران رئيس التحرير محمد عبد السلام .
(٣٦) الأمـــــة	رئيس التحريـــــر محمد حامد عمـــــارة نائب رئيس التحرير محيى الدين السيـــد
(٣٧) الحقيقـــــة	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحريــــر محمد عامـــــر
(٣٨) الشعـــــب	رئيس التحرير مجدى أحمد حسين نائب رئيس التحريـــــر طلعت رميـــح

من الأسماء السابقة لبعض الصحف الصادرة فى جمهوريـــــة مصـــر العربية يدرك القارئ أن الحياة الإعلاميـــة فى مصر تواكب الفكر الحضارى

وتحافظ على كيانها التقدمى العالمى كما يقف القارئ علـــى تنويـــع مقـــالات صحفها فرغم شمولية أكثرها إلا أن لكل صحيفة طابعها المميز الذى يجعلها تنفرد بسمات وخصائص تدل عليها وقد ذكرت اسماء الصحف السابقة ليعلـــم طلابنا درجة الصحوة الفكرية التى تتمتع بها جمهورية مصر العربية فكثـــير من طلاب الجامعات يجهلون العديد منها فقد سألت طالبا بالجامعة عن أســـماء بعض الصحف المصرية فقال لا أعرف إلا أخبار الحـــوادث ، والاهـــرام ، والجمهورية ، والمساء .

ولهذا أثرت ذكر بعضها لطلبات كليـــة الدراسات الإسلامية والعربيـــة جامعة الازهر ايمانا منى بأن طالبة الأزهر لابد أن تكون علـــى قـــدر مـــن المعرفة بما يحيط بها فهى الرمز المضئ – بإذن الله – لإسلامها ومصريتـــها وعروبتها .

الفصل الرابـــع

الفصل الرابع

المبحث الأول

المقال بين الصدق والإبداع

دراســـة تحليلية ونقديـــة

الرافعـــــى :-

الإشراق الإلهـــــى

وفلسفـــة الإســـلام

المبحث الثانـــى

الأصول الفنيـــة لكتابة المقال

المقال بين الصدق والإبداع

دراسة تحليلية ونقديـــــــة

تتبع فنية الكتابة المقالية من الموهبـــة والاستعداد والتعلم والاستمرارية في ممارسة كتابتها والمقال بأنواعه في حاجة إلى صدق العـــرض والفكـــرة والرؤيـــة وإيمان الكاتب بما يعالج من موضوعـــات فـــإذا تحقـــق الصـــدق والإيمان تولدت الاتحاديـــة بين الكاتب والمتلقـــى أى استطاع الكاتب بمقدرته الفنيـــة نقل إحساســـه وتصوره ورؤيته للآخرين وهنا يتسم الأثـــر الأدبـــى بصفة الإبداع الذى يرمى إلى جودة الكاتب واتقانه ومهارته فى نقل تجربتـــه إلى القارئ كما أن الإبداع يتحقق فى التوافق بين أسلوب العـــرض وطبيعـــة الموضوع وأفكاره وبين طبيعة القارئ ودرجة ثقافته ومـــن هـــذا المنطلـــق يتعايش كتاب فن كتابة المقال فى رحاب بعض المقالات ينظر فى عناصرهـــا ويجوب معانيها ويسبر أعماقها ليقف على درجة صدق الكاتب التى أدت إلـــى التى تحقق الإبداع الذى يفيض من القدرة فى النقل والإحـــلال والاعتباريـــة الدرامية والتفاعل المتخيل والتفاعل الرمزى بالإضافـــة إلـــى ذكـــر أدواتـــه لتفجير أحاسيس الإثارة والتشويق كى يفوز موضوع المقال بغايته .

وسوف يبدأ - بإذن الله - هذا الفصل رحلته بعرض تحليلـــــى ونقـــدى لمقال الإشراق الإلهى للرافعى وهذا فى المبحث الأول .

أما المبحث الثانى فيتناول الخصائص العامة لنجاح كتابة المقال.

الإشراق الإلهـــــى

وفلسفـــة الإســـــلام

(كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى النهار ، يولد النبى فيوجد فى الإنسانية ينبوع النور المسمى بالدين . وليس النهار إلا يقظـــة الحياة تحقق أعمالها ، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها .

والشمس خلقها الله حاملة طابعة الإلهى ، فى عملها للمادة تحول بـــــه وتغير ، والنبى يرسله الله حاملاً مثل ذلك الطابع فى عمله للروح تترقى فيـــه وتسمو .

ورعشات الضوء من الشمس هى قصة الهداية للكون فى كـــلام مـــن النور ، وأشعة الوحى فى النبى هى قصـــة الهداية لإنسان الكون فى نور من الكلام .

والعامل الإلهى العظيم يعمل فـــى نظـــام النفــس والأرض بـــأداتين متشابهتين .

أجرام النور من الشموس والكواكب ، وأجرام العقـــل مـــن الرســـل والأنبيـــاء .

فليس النبى إنسانا من العظماء يقرأ تاريخه بالفكر معه النطـــق ومـــع المنطق الشك ثم يدرس بكل ذلك على أصول الطبيعة البشرية العامة ، ولكنـــه

إنسان نجمى يقرأ بمثل (التلسكوب) فى الدقة ، معه العلم ، ومع العلم الإيمان ، ثم يدرس بكل ذلك على أصول طبيعته النورانية وحدها .

والحياة تنشئ علم التاريخ ، ولكن هذه الطريقة فى درس الأنبياء (صلوات الله عليهم) تجعل التاريخ هو ينشئ علم الحياة ، فإنما النبى إشراق إلهى على الإنسانية ، يقومها فى فلكها الأخلاقى ويجذبها إلى الكمال فى نظام هو بعينه صورة لقانون الجاذبية فى الكواكب .

ويجئ النبى فتجئ الحقيقة الإلهية معه فى مثل بلاغة الفن البيانى ، لتكون أقوى أثرا ، وأيسر فهما، وأبدع تمثيلاً ، وليس عليها خلاف من الحس.

وهذا هو الأسلوب الذى يجعل إنسانا واحدا فن الناس جميعا ، كما تكون البلاغة فن لغة بأكملها ، هو الشخص المفسر إذا تعسف الناس الحياة لا يدرون أين يؤمنون منها ، ولا كيف يهتدون فيها ، فتضطرب الملايين من البشرية اضطرابها فيما تتقبض عنه وتتهالك فيه أطماع الدنيا ، ثم يخلق رجل واحد ليكون هو التفسير لما مضى وما يأتى فتظهر به حقائق الأداب العالية فى قالب من الإنسان العامل المرئى ، أبلغ مما تظهر فى قصة متكلمة مروية.

وما الشهادة للنبوة إلا أن تكون نفس النبى أبلغ نفوس قومه ، حتى لهو فى طباعة وشمائله طبيعة قائمة وحدها ، كأنها الوضع النفسانى فى الدقيق الذى ينصب لتصحيح الوضع المغلوط للبشرية فى عالم المادة وتنازع البقاء . وكأن الحقيقة السامية فى هذا النبى تنادى الناس : أن أقبلوا على هذا الأصل وصححوا ما أعترى أنفسكم من غلط الحياة وتحريف الإنسانية .

ومن ثم فنبى البشرية كلها من بعث بالدين أعمالا مفصلة على النفس أدق تفصيل وأوفاه بمصلحتها ، فهو يعطى الحياة فى كل عصر عقلها العملى الثابت المستقر تنظم به أحوال النفس على ميزة وبصيرة ، ويدع للحياة عقلها العلمى المتجدد المتغير تنظم به أحوال الطبيعة على قصد وهدى وهذه هى حقيقة الإسلام فى أخص معانيه لا يغنى عنه فى ذلك دين آخر ، ولا يؤدى تأديته فى هذه الحاجة أدب ولا علم ولا فلسفة ، كأنما هو نبع فى الأرض لمعانى النور ، بإزاء الشمس نبع النور فى السماء .

وكل ذلك تراه فى نفس محمد (صلى الله عليه وسلم) فهى فى مجموعها أبلغ الأنفس قاطبة ، لا يمكن أن تعرف الأرض أكمل منها ، ولو اجتمعت فضائل الحكماء والفلاسفة والمتألهين وجعلت فى نصاب واحد ما بلغت أن يجئ منها مثل نفسه (صلى الله عليه وسلم) ولكأنما خرجت هذه النفس من صيغة كصيغة الدرة فى محارتها ، أو تركيب كتركيب الماس فى منجمه ، أو صفة كصفة الذهب فى عرقه ، وهى النفس الاجتماعية الكبرى ، ما ان تدبرتها رأيتها على الإنسانية كالشمس فى الأفق الأعلى تنبسط وتضحى...

وتلك هى الشهادة له (صلى الله عليه وسلم) بأنه خاتم الأنبياء ، وأن دينه هو دين الإنسانية الأخير ، فهذا الدين فى مجموعة إن هو إلا صورة تلك النفس العظيمة فى مجموعها . صلابته بمقدار الحق الإنسانى الثابت ،

لابمقدار الإنسان المتغير الذى يكون عند سبب جبلا صلدا يشمخ ، وعند سبب آخــــر ماء عذبا يجرى .

وهو دين يعلو بالقوة ويدعو إليها ، ويريد إخضـــاع الدنيـــا وحكــم العالم، ويستفرغ همه فى ذلك ، لا لإعزاز الأقوى وإذلال الأضعف ، ولكـــن للإرتفاع بالأضعف إلى الأقوى ، وفرق ما بين هذا وشرائع القوة ، أن هـــذه إنما هى قوة سيادة الطبيعة وتحكمها ، أما هوفقوة سيادة الفضيلـــة وتغلبـــها ، وتلك تعمل للتفريق ، وهو يعمل للمساواة ، وسيادة الطبيعة وعملها للتفريـــق هما أساس العبودية ، وغلبـــة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظـــم وســـائل الحرية .

ومن وهنا كان طبيعيا فى الإسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة إلا وهو يطبع عليها صورة الجنة بنعيمها الخالد ، ولارذيلـــة إلا وهو يضـــع عليـــها صورة النـــار الأبدية وقودهـــا الناس والحجارة ، فلا تنظر العين المســـلمة إلىأسباب الحياة نظرة الفكرة المنازع . يحرص على ما يكون له ، ويشـــره إلى ما ليس ، ويمكر الحيلة ، ويبدع وسائل الخداع ، ويزيد بكل ذلك فى تعقيد الدنيا - بل نظرة القلب المسالم : يخلع الدنيا ويسخر بكل مضنون فيها ، فيعفو عن كثير ، ويعرف الإنسانية ويطمع فى غاياتها العليا ، فيعفو عـــن كثـــير ، ويدرك أن الحلال وإن حل فوراءه حسابه ، وان الحرام وإن غر ليس إلا تعلل ساعة ذاهبة ثم من ورائه عقاب الأبـــــد .

ويخرج من ذلك أن يكون أكبر أغراض الإسلام هو أن يجعـــل مـــن خشيـــة الله تعالى قانون وجود الإنسان على الأرض ، فمـــن أى عطفيـــة التفت هذا الإنسان وجد على يمنته ويسرته ملكين من ملائكة الله يكتبان أعماله

بخيرها وشرها ، فهو كالمتهم المستراب به فى سياسة النفس . لا يمشى خطوة إلا بين جاسوسين يحصيان عليه حتى أسباب النية ، ويجمعان منه حتى نزوات الكبد ، ويترجمان عنه حتى معانى النظر .

وإذا قامت هذه المحكمة الملائكية وتقررت فى اعتبار النفس ، قام منها على النفس شرع نافذ هو قانون الإرادة المميزة ، تريد الحسنات وتعمل لها ، وتخشى السيئات وتنفر منها ، فإذا معانى الجسد يحكم بعضها بعضا ، لا لتحقيق الحكومة والسلطة ، ولكن لتحقيق الخير والمصلحه ، وإذا نواميس الطبيعة المجنونة فى هذا الحيوان ، قد نهضت إلى جانبها نواميس الإرادة الحكيمه فى الإنسان ، وإذا كل صغيرة وكبيرة فى النفس هى من صاحبها مادة تهمه عند قاضيها فى محكمتها ، واذا كل ما فى الإنسان وما حول الإنسان ، لا يراد منه إلاسلام النفس فى عاقبتها ، وإذا معنى السلام هو المعنى الغالب المتصرف بالإنسانية فى دنياها .

وكل أعمال الإسلام وأخلاقه وآدابه ، فتلك هى غايتها وهذه هى فلسفتها ، لا يقررها للإنسانية حسب ، بل يغرسها فى الوراثة غرسا بالاعتياد والمران الدائم ، لتكون علما وعملا فتمكن لسلام النفس بين الأسلحة المسددة إليها من ضرورات الحياة فى أيدى الأعداء المتألبة عليها من شهوات الغريزة فليس يعم السلام إلا إذا عم هذا الدين بأخلاقه فشمل الأرض أو أكثرها ، فإن قانون العالم حينئذ يصبح منتزعا من طبيعة التراحم ، فإما انتسخ به قانون التنازع الطبيعى ، وإما كسر من شرته ، ويولد المولود يومئذ وتولد معه الأخلاق الانسانية . تقرير معنى الدوام لكل أعمال النفس حتى متقال

الذرة من الخير والشر ، وضبط ذلك برياضة عملية دائمة مفروضة على الناس جميعا - هذا هو أساس العقيدة الإسلامية ، ولا صلاح للإنسانية بغيره يردها إلى سبيل قصدها ، فإن من ذلك تكون الصفة العقلية التى تغلب على المجتمع ، وتجانس بين أفراده ، فتوجه الإنسانية كلها نحو الممكن من كمالها ، ولاتزال توجهها نحو ما هو أعلى ، وتحكم فاسدها بصالحها او تأخذ عاصيها بمطيعها ، وتجعل الشرف الإنسانى غرضها الأول لأن الله الحق غرضها الأخير،فيصبح المرء -وهذادينه-كلما تقدم به العمر كمل فيه اثنان . الإنسان ، والشريعة . ولا يعود طالب السعادة النفسية فى الدنيا كالمجنون يجرى وراء ظله ليمسكه فلايدرك فى الآخر شيئا غير معرفته أنه كان فى عمل باطل وسعى ضائع .

والإسلام يحرص أشد الحرص وأبلغه على تقرير ذلك المعنى الإلهى العظيم ، لابالمنطق ، ولكن بالعمل ، ثم فى النفس وعواطفها ، لا فى العقل وأرائه ، ثم على وجه التعميم ، دون الاستثناء والخصوص ، وذلك هو سر مشقته على النفس ، بما يفرضه عليها ، فإن فلسفته ان هذه النفس هى أساس العالم ، وان النظام الخلقى هو أساس النفس ، وأن العمل الدائم هو أساس النظام وأن روح العمل الدائم تكون فيما يشق بعض المشقة ولا يبلغ العسكر والحرج ، كما تكون فيما يسهل بعض السهولة ولا يبلغ الكسل والإهمال .

وللنفس وجهان : ما تعلن ، وما تسر ، ولا صدق لإعلانها حتى يصدق ضميرها ، ولاصلاح لجهرها حتى يصلح السر فيها ، ولا يكون الإنسان الاجتماعى فاضلا بمشهده حتى يكون كذلك بغيبة وللعالم كذلك

وجهان: حاضره الذى يمر فيه ، وأتيه الذى يمتد له ، ولا يفلح حاضر منقطع، لا يورث ما قبله ، وما حاضر الإنسانية إلا جزء مـــن عمـــل النـــاس فـــى استمرار فضائلهم باقيـــة ناميـــة .

وللنظام أيضا وجهان : نظام الرغبـــة على الطاعة والأطمئنـــان لـــها ونظام الر غبة على الخشيـــة والنفرة منها ، ولا يستقيم شأن ليـــس أساســـه الطاعة فى النفس ، ولا يستمر نظام عليه خلاف من فكر العامل به .

وللعمل الدائم طريقتان : إحداهما طريقه الجاد يعمل للعاقبه يستيقنها ، فلا يجد مما يشق عليه إلا لذة المغالبة للنصر : كل مرارة من قبله هى حـــلاة فيه من بعد ، ولا يعرف للمحنة يبتلى بها إلا معناها الحقيقى وهو إيقاظ نفسه، فيصبح الصبر عنده كصبر المحب على أشياء ممن يحبسه ، صرفيـــه مـــن السحر مايكسو الحرمان فى بعض الأطيان خيال الاستمتاع ، ويذيق النفس فى العجز عن بعض أغراضها - لذة كلذة إدراكه .

تلك هى فلسفـــة الإســـلام ، لاقوام للأمـــر فيـــها ولامســـاك لـــه إلا بتقرير معنى الدوام لكل أعمال النفس ، ووضع طابع الجنة على أعمال الجنة وطابع النار على أعمال النار - وحياطـــة كل فـــرد مـــن النـــاس حياطـــة رياضيـــة عملية بين الساعة والساعة ، بل بين الدقيقة والدقيقة ، بما يكلـــف من أعمال جسمه وحواسه ، ثم أعمال قلبه ونيته - وتعظيم الشخصية الروحيه دون الشخصية المادية ، فلايحاول كل إنسان ان يجعل بطنه فى حجم مملكـــه أو مدينة أو قرية ، بما ينتقص حقوق غيره ، بل تتسع ذاتية كل فرد بما يجب له على المجتمع من الواجبات الإنسانية ، وبهذا لا بغـــيره تتعيـــن مقـــاييس

الأخلاق فى الأرض : بالمصلحة إلا باللذة ، فلا يقع الخطأ ولا التزوير ، وتنحل المشكلة الاجتماعيه ، مادامت الحياة لاتجد من أهلها كل ساعة عقدا فيها .

والاستيلاء بذلك المعنى على العقل والعاطفة هو وحده الطريقة لانشاء طبيعة الخير فى الناس على نسقها الطبيعى ، كما أنه هو وحده الطريقة لتطهير التاريخ الإنسانى من أوبائه الاقتصادية ، التى جعلته كأنما هو تاريخ الأسنان والاضراس ، وتركت الناس يهدم بعضهم بعضا ، كما يهدم الجار حائط جاره ليوسع بينه وأساس العمل فى الإسلام اخضاع الحياة للعقيدة ، فتجعلها العقيدة أقوى الحاجة ، فيكون الفقير معدما ويتعفف ، ويكون الغنى موسرا ويتصدق ، ويكون الشره طامعا ويمسك ، ويكون القوى قادرا ويحجم ، وكما قال العرب فى تحقيق ناموس الإنفة والحمية وغلبته على الناس الاقتصادى :" تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها " .

تريد الإنسانية امتدادا غير امتدادها التجارى فى الأرض وتحتاج إلى معنى يقود إنسانها غير الحيوان الذى فيه ، وإذا قاد الغراب قوما فإنما هو - كما قال شاعرنا - يمر بهم على صيف الطلاب ... والإنسانية اليوم فى مثل ليل حوشى مظلم اختلط بعضه فى بعض ، وليست معانى الإسلام إلا الإشراق الإلهى على هذه الكثافة المادية المتراكمة ، وإذا رفع المصباح لم تجد الظلام إلا وراء الحدود التى تنتهى إليها أشعته .

وقد علمنا من طبيعة النفس أن إنسانية الفرد لا تعظم وتسمو وتتخيل وتفرح فرحها الصادق وتحزن حزنها السامى - إلا أن تعيش فى محبوب ،



فإنسانية العالم لا تكون مثل ذلك إلا إذا عاشت فى نسـيها الطبيعـى ، نبـى اخلاقها الصحيحة وأدابهـا العاليـة ونظامها الدقيق ، وأين تجد هذا المحبوب الأعظـم إلا فى " محمد " ودين "محمد " .

وعجيب أن يجهل المسلمون حكمة ذكر النبى العظيم خمس مرات فـى الأذان كل يوم ، ينادى باسمه الشريف مل ، الجو ، ثم حكمه ذكره فى كـل صلاة فى الفريضة والسنة والنافلة ، يهمس باسمه الكريم مل النفـس وهـل إلا الحكمة من ذلك إلا الغرض عليهم الا ينقطعوا من نبيهم ولا يوما واحـدا من التاريخ ، ولا جزءا واحدا من اليوم ، فيمتد الزمن مهما امتـد والإسـلام كأنه على أوله ، وكأنه فى يومه لا فى دهر بعيد ، والمسلم كأنه مع نبيه بيـن يديه تبعثه روح الرسالة ، ويسطع فى نفسـه إشراق النبوة ، فيكون دائما فـى أمره كالمسلم الأول الذى غير وجه الأرض ، ويظـهر هـذه المسـلم الأول بأخلاقه وفضائله وحميته فى كل بقعة من الدنيا مكان إنسان هذه البقعة ، لاكما نرى اليوم ، فإن كل أرض إسلامية يكاد لا يظهر فيها إلا إنسانها التـاريخى بجهله وخرافاته وما ورث من القدم فهنا المسلم الفرعونى ، وفى ناحية المسلم الوثنى، وفى بلد المسلم المجوسى وفى جهة المسلم المعطـل - ومـا يريـد الإسلام إلا نفس المسلم الإنسانى .

أيها المسلم :-

لا تنقطع من نبيك العظيم ، وعش فيه أبدا ، واجعله مثلك الأعلـــى ، وحين تذكره فى كل وقت فكن كأنك بين يديه ، كن دائما كالمسلم الأول ، كن دائما ابن المعجزة [1]

التحليل :-

أطلق الكاتب على عنوان مقاله (الإشراق الإلهـى وفلسفة الإســلام) فجذب المتلقى إلى طبيعة ما يسجل من أفكار فالعبارة الإشراق الإلهى تعلـــو بالسمع والبصـــر والوجدان لملكوت من الأنوار العليا إلى جانب انتشار هـــذا الأنوار واستمرارهـــا بصورة تفوق التخيل البشرى لأنها تفيض من "الله" جل علاه وقد أجاد الرافعى حينما نسب الإشراق إلى الله حيث غرس فى المشاعر الإنسانية تفرد هذه الأنوار تفرد صاحبها العلى القدير وجلالها المســتمد منــه سبحانه وتعالى ومن العنوان يدرك القارئ أن المقال ينـــدرج تحــت المقـــال الدينـــى .

وبدأ الكاتب المقدمة بهذا المطلع :-

كما تطلع الشمس بأنوارها فتنفجر ينبوع الضوء المسمى النهار يولـــد النبى فيوجد فى الإنسانية النور المسمى بالدين) .

---

(1) وحى القلم – الرافعى – الطبعة الاولى ١٩٣٦ م – مطبعة لجنة التـــاليف والترجمـــة والنشـــر جـــ٢ ص ٣ : ١٠ .

ومن المقدمة يشعر المتلقى طبيعة المقال ونوعه وموضوعه و قد بـــدأ الكاتب مقاله بالعبارة (تطلع الشمس)ليفجر فى القارئ رؤيـــة النور ورؤيـــة الحقائق بوضوح وجلاء وهكذا فالشمس باستمرار لا تبزغ إلى للضياء وهـــذا منهجها منذ خلقها الحق تبارك وتعالـــى .

فالمشهـــد فى العبارة الأولـــى للمقال .
تطلـــع : استمـــــرار .
الشمس : أضواء هادية وأنوار أمان .

وقد كونت العبارة بملامحها داخـــل المتلقى لوحة مشرقة وربط بعـــد ذلك الكاتب المشهد بمولد النبى وإشراقات الدين .
النبى :يدعـــو ويبشر فهو كالشمـــس . .
الدين: نور هداية ونور سعادة لأنه النور للعقل والقلب .

وأكد الكاتب رؤيته المشهدية بإن الشمس تولد النهار والنـــهار يقظـــة للحياة وهكذا الدين يقظة للنفس . والتعبير باليقظة جسد طبيعة التعامل أثنـــاء الضوء فالنهار سبيل الإنسان لقضاء مصالحه و ممارسة نشاطه فـــى أمـــان وهكذا الدين يقظة وكلمة يقظة تثير فى مخيلة السامع ما يلى :-

يقظة النشاط والحيوية هى السعادة وتحقيق الكيان الإنسانى كما أنـــها صحوة صحيحة واعية واستجابة لنداء الخير .

انتقل الكاتب بعد هذه المقدمة إلى عرض أفكاره التى تربط بين الشمس والنبى والدين والنور فبين فى مشاهد عن طريق التصوير النقلى هذه اللوحات .

= الشمس خلقها اللـه لإحلال النور .
= النبى أرسله الله لرقى الروح .

وهما معا يحملان الطابع الإلهى .

يرى المتلقى الشمس ويدرك أثارها المحسوس فاستخدم الكاتب هذا الإحساس اليقينى لينقل له أثر النبى على البشرية .

كما استخدم إحساس المتلقى بالنهار لينقل له أثر الدين النورانى على النفوس وأمعن فى الإثارة التى تحرك مشاعر الاستجابة بالعبارات :

حاملة طابعة الإلهى .
والنبى يرسله الله حاملا مثل ذلك الطابع .
رعشات الضوء من الشمس هى قصة الهداية للكون فالتعبير (الإلهى) يعطى للمعنى هيبة الجلال وقدسية للأنوار وكأنه يرمى إلى ان الشمس بانوارها هادية للكون والنبى بما يبشر يحمل الأنوار للبشرية .
وقد أبدع الرافعى فى تعبيره (رعشات) :-

فهو يدل على الحدوث ثم الانقطاع ثم الحدوث والاستمرار فقد أرسل الحق موسى عليه السلام فى مشهد من نور هدية فلما انقطع النور بضلال

البشر أرسل عيسى عليه السلام فى مشهد جديد من نوره ثم انقطـــع النـــور فأرسل أنواره المتكامله فى " محمد " صلى الله عليه وسلم .

وقد صور الرافعي يقظة البشرية على يد المصطفى صلى الله عليـــه وسلم بأشعة الوحى ليربط بين هذا الضـــوء وبيـــن أنـــوار القـــرأن الكريـــم حيث قال :-

(أشعـــة الوحى فى النبى ... فى نور من الكلام)

وقد استطاع بهذا المشهد تصوير فيض من نور انبثق من أشعة الوحى على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

والقارئ الكريم للعرض المقالـــى الدينى الذى كتبه الرافعي يجد انـــه جسد مشاهد النور بذكر الشمس ثلاث مرات فى اللوحة الأولى من المقدمـــة وذكر النور ثلاث مرات وقد ذكر الكاتب لفظ الجلالـــة (مرتيـــن) وكذلـــك (الإلهى) .

فاستطاع بهذا التكاثف المعنوى المشهدى شحن الوجـــدان بتفـــاعلات نفسية واعتبارات محسوســـة بدأ بعدها بالسرد المترابط والتسلسل المنطقـــى والوضوح الإسلوبى طرح رؤيته الإيمانيـــة .

فذكر للقارئ أن النبى يتفرد عن سائر البشر فهو فيض من التجـــهيز الإلهى الذى يتكون من طبيعة نورانية ويربط بين الحياة وعلم التاريخ ليصـــل إلى أن الرؤيـــة للنبى يجب ان تتبع من أنه :-

- إشراق إلهـــى .

• حقيقة إلهيـــة .

وفى الحالتين تتكون لدى القارئ صورة متكاملة العناصر فالنبى أنوار على أنوار كما أن دعوته حقيقة جذورها ثابته الأركان لأنها إلهيـــة .

وقد رســم الرافعى برشيته هذه الصورة المرئيـــة المشهدية البديعـــة حين قال :-

(النبى إشراق إلهى على الإنسانية ، يقومها فـــى فلكـــها الأخلاقـــى ويجذبها إلى الكمال فى نظام هو بعينه صورة لقانون الجاذبية فى الكواكب).

وتعبيره (قانون الجاذبية) يثير فى المتلقى التفـــاعل لهيئـــة حركـــة الجاذبيـــة التى لا تحـــدث إلا لشـــعور المنجـــذب بتحصيـــل الخـــير تجـــاه من ينجذب له .

ويعرض الكاتب بعد تجسيد دور النبى صلى الله عليه وسلم للبشـــريه إلى تصوير الحقيقة الإلهيـــة المتمثلة فى القرآن الكريم من صفـــاء بلاغتـــه وإعجازه البيانى ليصل إلى أن التكامل فى النظم القرآنـــى الشـــريف أعلـــى المظاهر للوحدة الإنسانية كما أن هذا التكامل هو الذى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث للناس كافـــة فقد فن الناس جميعا .

ويقف القلم عند هذا التعبير (فن الناس جميعا) لقد استطاع الكـــاتب إثارة فكر المتلقى وتشويقه وصعد فى وجدانه التفاعل المركب !! ليعلن بعـــد ذلك مقولته (كما تكون البلاغة فن لغة بأكملها) أى أن رسول الله صلـــى الله

عليه وسلم النموذج المتكامل للبشر فى الروح و المادة فى الإيمان المثالـــــــى و المادة الراقية وهو المفسر الشـــريف لسـلوكيات البشـــــر فمنـــه الأمـــان و الاستقرار والرفعة والشرف و الكمال لأنـــه جاء بدين الكمال مـــن الله جـــل علاه كما أنه (التفسير لما مضى) وقد أراد الكاتب بهذا التصويـــر تجلـــــى الفضائل العالية فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولكن ما الذى مضى وما الذى يأتى ؟

لقد أقر الإسلام فضائل وجدت فى الجاهلية ووضع الأسس لفضـــــائل مستقبلية تجسدت جميعها فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد أمعن فـــى مضاعفة التفاعل فى تصويره (الإنسان العامل المرئى) وفى هذا التصويـــــر جذب جديـــر لصورة متكاملة مشاهدهـــا :-

- هو الشخص المفســـــر .
- هو التفسير لما مضى ولما يأتى .
- الإنسان العامل المرئـــــى .

فقد أعلن الكاتب فى هذه المشاهد الوجدانية أن الرسول صلى الله عليه وسلم النور الذى جاء به الله على البشريـــة منذ خلقها حتى قيام الساعة وفـــى اللوحة الثالثة بين أنه صلوات الله وسلامه عليـــه كـــان النمـــوذج الأعلـــــى لأصحابه وأبناء قومه فهو العامـــل المرئى وبالنسبـــة لأتباعـــه ماثل أمامـــهم فقد رفع الحق ذكره فى الدنيا فجعله بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وفى الأخــرة منحه حق الشفاعـــة فهو الإنسان العامل المرئى فهو الإنسان العامل لأصحابه ومعاصريه وهو المنهج السوى والهادى لاتباعه ولهذا صرح الرافعـــى بـــهذا التعبير الذى يحمل معانى القيم الجمالية :-

(قصة متكلمة مروية) فالمنهج النبوى منهج إلهى سيظل ينطق بالحق ويروى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وكيف لا فالبشرية عندما :

تضطرب ، وتتقبض ، وتتهالك لا تجد إلا محمدا صلى الله عليه وسلم فتعود إلى منهجه الإلهى فتجد ضالتها فيه فهو المفسر ومنهجه تفسير لأحداث الزمان والمتغيرات من الأحوال .

ويتسلسل الرافعى فى ترتيب أفكاره فيتحدث عن صدق النبوة والشهادة للنبى كيف تتحقق وعلى أى أساس ؟ .

فيقول (وما الشهادة للنبوة إلا أن تكون نفس النبى أبلغ نفوس قومه حتى لهو فى طباعه وشمائله طبيعة قائمة وحدها كانها الوضع النفسانى الدقيق الذى ينصب لتصحيح الوضع المغلوط للبشرية فى عالم المادة وتنازع البقاء) .

والمعانى السابقة التى ناقشها الرافعى فى عرضه للفكره تنص على تفرد النبى ما يلى :-

- الرقى الطبع وسمو الشمائل ونبلها .
- اكتمال الاتزان النفسى فلا ينطق عن الهوى .
- جمع النبى لعناصر والمادية الروحية والمادية .

وقد أكد الرافعى رؤيته بأن الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة نبيلة سامية شريفة تنبثق إلى أرجاء الدنيا لتناديها ان محمدا الحق والحقيقة وأنه من أنوار الله وجاء بنور من الإشراقات الإلهية العالية جاء بالقرآن الكريم كما

تنادى الدنيا الناس جميعا : طهروا أنفسكم من غلط الحياة وتحريف الإنسانية بالعودة إلى رحاب الحقيقة المتمثلة فى منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فهى حقيقة تجمع متطلبات الحياة جميعها فى أرقى صورها .

ويستمر الرافعى فى عرض أفكار مقاله فيعد أن بين شهادة الأصدقاء والأعداء بالنبوة للرسول " صلى الله عليه وسلم " بين ان نبوته للبشرية كلها لأن الأنوار التى جاء بها فى الإسلام تشمل الأعمال الحياتية مفصلة أدق تفصيل بصورة تحقق السعادة والاستقرار للفكر والنفس من منطلق التجدد الواعى والبصيرة المتفتحة لأن المنهج الإسلامى منهج علم وحياة .

ويصل كاتب المقال إلى الحديث عن حقيقة الإسلام ومعانيه وهدفه فى الحياة ليصف شخصية الرسول ونفسيته بحب نبيل ينبعث من قلب يرفرف بأنوار الإيمان ونفحات الرضا ونشوة التوحيد .

فمحمد صلى الله عليه وسلم (نبع فى الأرض لمعانى النور ، بإزاء شمس نبع النور فى السماء وكل ذلك تراه فى نفس محمد صلى الله عليه وسلم فهى فى مجموعها أبلغ الأنفس قاطبة ، لا يمكن أن تعرف الأرض أكمل منها ، ولو اجتمعت فضائل الحكماء والفلاسفة والمتألهين وجعلت فى نصاب واحد ما بلغت ان يجئ منها مثل نفسه صلى الله عليه وسلم ولكأنما خرجت هذه النفس من صيغة كصيغة الدرة فى محارتها ، أو تركيب كتركيب الماس فى منجمه أو صفة كصفة الذهب فى عرقه ، وهى النفس الاجتماعية الكبرى ما ان تدبرتها رأيتها على الإنسانية كالشمس فى الأفق الأعلى تتبسط وتضحى).

ولقد عاش الكاتب فى رحاب روضة الرسول صلى الله عليـــه وســـلم وذاب فى أعماق أنواره المستمده من أنوار الله فتولـــد عـــن ذلـــك الصـــدق الشعورى والإبداع التعبيرى الرفيع الذى جعله يرفرف بجناحين فـــــى عـــالم نورانى فقد غاب عن جسده وعالمه المادى وتتنفس رحيق الجمـــال العلـــوى فرأى بوحىشعورى صادق صورا تجسد أحاسيســـه وعواطفه تجاه المصطفى واستطاع بعمق مشاعره وصدق عواطفه أن يجعل القارئ يرى رؤيته التى لا تمثل إلا القليل من جلال الـــرسول صلى الله عليه وسلم لقد رسم مشهدا ينبثق منه النور ويفوح من أعماقه العلو ويترنم بنبضات الشـــــرف ويشـــرق مـــن عل اشراق الضياء الذى يجعل الرضا يسرى فى النفس والوجدان فلا يـــــرى الإنسان الا عالم من البهاء العلوى والصفاء النورانى لقد صور الرافعى جمال المنزله لرسولنا صلى الله عليه وسلم تجعله فى مشاهد ولوحات تتقســـم إلـــى معنويات وماديـــات .

فهو صلى الله عليه وسلم (نبع فى الأرض) هنا يتخيل المتلقى هيئـــة نبع صاف يتدفق منه الماء العذب الذى يروى كل طالب وهذا الماء المتدفـــق على هيئة النور فى الهدى والرضا فهو عطاء عذب وعطاء هدى وقد جعـــل للنبع صفة الثبوت حيث عبر بالجملة الإسميـــة التى تدل على ثبات الصفـــة ولزوم الدلالـــة وقد قرب هذا اللزوم عندما ربط بين نور الشمس الذى يطلـــع كل يوم وهكذا نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل لحظة ولكن أيـــها القارئ الكريم قد يأتى على الشمس الليل وتستطيع بإذن ربها ســـلخ ســـتائره رويدا رويدا لتسطع مرة أخرى وتنير الأرجاء فيرى البشر مصالحهم بـــأمن ووضوح فما العلاقة إذن بين نورها على الكون ونور الرسول صلى الله عليه

وسلم على البشــر ؟ ان نور الشمس اذا خفت فى منطقة بحكم قانون الفلــك الربانى فهو يتجلى فى جزء أخر ليعود سريعا فى المنطقة التى خفت ليجــدد العطاء وهكذا نور المنهج النبوى لا يترك مكان فى مشارق الأرض ومغاربها إلا انتشر وبدد ظلمات الجهل وأعلن الحقيقة الخالدة التى تشيع الأنــوار فــى العقل والوجدان الآ وهى (انه لا إله الا الله وان محمدا رسول الله) فإذا غفل بعض الناس عن هذه الحقيقة بفعل الأطماع الدنيوية تفجرت داخلهم الأنــوار النبوية لتجدد لهم ظلال الأمان وساحة النجاة فالرسول لا تغيب أنــواره بــل تنتشر فى الكون وهكذا الشمس لا تغيب بل تنشر اشعاعاتها من عــل علــى الكون عامة ولعل تصوير النور الإيمانى لمعانى المنهج النبوى وربطه بحركة نور الشمس وهيئتها وارتفاعها تنقل للمتخيل عظمة ارتفاع الأنوار الإلهية التى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم إذن .

فالغفلة والأطماع البشرية ما هى إلا الانصراف عن النور ولكن مــن طهر الله قلبه بالايمان يعود مرة أخرى ليرتوى من نبع الامان والاطمئنان نبع النور المتمثل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا يغيب نوره ولكــن يغفل البعض عنه ولو لحظة خاطفة !!

وبعد هذا التصوير المتخيل الذى صورة الكاتب عــن طريــق النقــل التخيلى وإثارة الانفعال الإيمانى صور نفسية الرسول صلى الله عليه وســلم بالدرة فى صفاء ونقاء وتفرد تكوينها وبالماس فى رفعـــة شــأنها وبــالذهب الخالص ليصل إلى أنها نفسية عالية تعجز الاقلأم والأفهام عن الوصول إلــى

وصفها لآنها النفس التى جهزها الله لتكون التفسير الهادى لكل مـــا يعــترى البشرية من أمور تستقيم بها حياتها .

وبعد فقد انتابت الكاتب حيرة فى وصف هذه الانوار المعجـــزة ورأى أن أنواره صلى الله عليه وسلم كالمشمس فى الأفق الأعلـــىتنبسط وتضحى .

وفى التصوير البديع السابق جسد طبيعة حركة الشمس فى توســــطها وتوهجها وانتشار اشعاعاتها التى تنثر حبات النور فى فيض متدفق من آيـــات الهدى فإذا تحقق الأمن . فى المكان كله ارتفعت فى بهاء وصفاء ليتضـــاعف الضوء فى سمو وجلال فالعبارة تنبسط : تدل على الانتشار الواسع العريـــض وامتداد الأنوار وشمولها لجميع الأجواء .

أما العبارة تضحى : فتدل على الارتفاع ووضوح الضوء فـــــى كـــل الاتجاهات مع صفاء هذا الضوء و جلاء شعاعـــه .

وهذه حقيقة فنور الإسلام ينتشر ويتجلى فى صفاء وما هذا إلا شـــهادة حقيقة لرسولنا صلى الله عليه وسلم بأنه خـــاتم الأنبيـــاء ودينـــه هـــو ديـــن الإنسانيـــة.

ويسترســـل الرافعى فى عرضه الممتع الجيد ليبين أن الإسلام الديـــن الذى أرسله الله لصلاح البشريـــه ولخير الإنسانية وذلك لأن فى .
الإسلام وتعاليمه النورانية ما يلى :-

- الصلابـــة فى الحق .
- الثبات على المبدأ العادل .

• الارتقاء بالضعيف والحفاظ على كيانـــه والوصـــول بـــه إلـــى أفضـــل مراتب القوة .
• السيادة الإنسانية الواعيـــة .
• المساواة التى تحافظ على الحقوق والواجبات . وانتشار الفضيلة التى تثمر ثمار الحرية بمفهوم صحيح وأسس عاليـــــة .

وينطلق بعد ذلك الرافعى ليربط بين مفهوم الفضيلة وبين وضعها فـــى الإسلام فيقول :-

(ومن هنا كان طبيعيا فى الإسلام ما جاء به من انـــه لا فضيلـــة إلا وهو يطبع عليها صورة الجنة بنعيمها الخالد ، ولا رزيلـــة إلا وهـــو يضـــع عليها صورة النار الأبديـــة) .

ويناقش الرافعى فكرته الجزئية ليبين أن منهج الإسلام الجـــزاء لمـــن أحسن والعقوبة لمن أساء ولو كان هذا قانون العلاقات بين البشر لاســـتقامت الروابط الإنسانية ويحذر الرافعى من النظر لمنهج الله فـــى الكـــون نظـــرة سطحية أو نظرة مادية وهو ما أطلق عليه (نظرة الفكر المنازع) ويدعو الى التمعن فى قانون الإسلام ورؤيته :
• للدنيا ومنزلتها الحقيقية .
• الإنسانية وغايتها العليا .
• الحلال والحرام وأثرهما فى تدعيم كيان المجتمع الراقى ثم يبين الرافعـــى أن أسمى أغراض الإسلام تتجلى فى (خشية الله) تجسد القانون الإلـــهى لوجود الإنسان على الأرض ويربط الرافعى بين هذا القانون وبين سلوك

الإنسان وإدراكه اليقينى بوجود محكمة ملائكية عادلة تسـجل بنورهـا مـن السلوك الإنسانى الذى ينطلق من الإرادة المميزة التى يجب أن توجه للخـير المطلق والمصلحة العامة .

كما يربط بين حقيقة الإسلام ومفهومه الكلى الشامل وبين السلام فيشير إلى أن الفلسفـة الأساسية التى تبين طبيعة العلاقة بينهما هى الإنسانية فـلا إنسانية حقيقية إلا إذا عم الإسلام بآدابه وأخلاقه وشمل الكون بتعاليمه ولاسلام قائم على العدل إلا به هنا تحمل المواليد صفة الإنسانية فى أسـمى معانيـها وأنبل صورها .

ويذكر الرافعى أن العقيدة الإسلامية بالقانون الإلـهى الواحـد الـذى يفرض على الناس جميعا والذى يشكل الصفات العقلية الكاملة التـى تنظـم العلاقة بين الأفراد مما يدفع إلى ترابطهم ووصولهم نحو الكمال الإنسانى عن طريق الفهم الصحيح للشرف الإنسانى حتى إذا تقدم العمر فى الإنسان وجـد فى نفسه الكمال الإسلامى فى :-

الإنسان بمعناه النبيـل .

الشريعة بكل أبعادهـا .

ويعالج الرافعى المعنى الإلهـى فى النفس وعواطفها مبينا فلسفـة الإسلام فى النفس وسر مشقته عليها فهى أسـاس العـالم ونظامـه وتقدمـه ونهوضه واستقراره ثم يتناول فى ترتيب منطقى تقسيم النفس إلى .

- نفس تعلـن .
- نفس تسـر .

ويربط بين صلاحهما وصلاح الحياة المتمثل فى النظــام واســتمرار الفضائل والجديــة فى العمل والصبر على الشدائد برضا واحترام الشــخصية الروحيــة دون الشخصية الماديــة واحترام الحقوق والواجبــات الإنســانية بتجنب الأخطاء جميعها ومنها التزوير حتى نستطيع القضاء على الأزمـــات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ويعلن الرافعى أن الإنسانية فى حاجة إلـــى الإنسان بمعناه المشرق الذى يجسد ملامح الكمال وتنطلق منه إشعاعات النور فقد غلب عليها الامتداد التجارى له .

ويتنهد الرافعى وسط هذه الكثافــة .

(ليست معانى الإسلام إلا الإشراق الإلهى على هذه الكثافة الماديـــة المتراكمة ، وأذا رفع المصباح لم تجد الظلام إلا وراء الحدود التـــى تنتـــهى إليها أشعتـــه .

وقد علمنا من طبيعة النفس أن انسانية الفرد لا تعظم وتسمو وتتخيـــل وتفرح فرحها الصادق وتحزن حزنها السامى - إلا ان تعيش فى محبـــوب ، فإنسانية العالم لا تكون مثل ذلك إلا إذا عاشت فى نبيها الطبيعى ونبى أخلاقها الصحيحة وآدابها العالية ونظامها الدقيق إلا فى " محمد " ودين " محمد " .

بعد أن تحدث الرافعى عن سلبيات العالم الإسلامى أعلن أن علاجـــها الشافى يكمن فى فهم حقيقة الإسلام لما له من إشراقات إلهية تبـــدد ظلمـــات النفس والعقل فهى إشراقات نورانية تنتشل الإنسان من هاويـــة الضياع فـــى الماديات لترقى به إلى عالم الرضوان والحضرة الإلهية وقد أبدع الكاتب فـــى

قوله (واذا رفع المصباح لم تجد الظلام إلا ما وراء الحدود التى تنتهى إليـــها أشعته) .

حيث أعلن أن الإشراقات الإلهيـــة والأنوار النبوية تنطلق لتنبسط فـــى النفس الإنسانية بقدر درجة استيعابها والوقوف على أسرارها والإخلاص فـــى الالتزام بها هنا تضاء النفس بأنوار ربانية وتسبح فى ملكوت الرياض العلويـــة أما اذا أخذ الإنسان من الإسلام ثمرة سريعة ولم يفهم أبعادها ومنهجها فسوف يضاء من نفسه ما يتناسب مع هذا الفهم وسوف يمتد هذا الشعاع بفضل مـــن الله محاولا اختراق جدار الجهل وعوائق الشـــيطان فـــى النفـــس ثـــم تقـــف الاشعاعات ليحاول الإنسان بالارادة الإيمانية إنارة الأجزاء المظلمة فى نفســـه فالمصباح : هو تعاليم الإسلام وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات البشرى والهدى والرحمة والنور إذا رفع : أى إذا حاول الإنسان فهمـــه واستيعابه وتطبيقه تطبيقا واعيا وجعله المنهج الإساسى فى ما وراء الحدود:- الوقوف على بعض أسرار المفاهيم الإسلامية بصـــورة متكاملـــة . وإغفـــال بعضها ففى هذا الاغفال ينتشر الظلام فى ناحية من نواحى النفس الإنســـانية وما يطبق على الإنسان يطبق على المجتمع والرافعى هنا يدعو إلـــى الأخـــذ بأنوار الإسلام جميعها لأنه كل وجمال أنواره تتجلى فى التمســـك بتعاليمـــه وتطبيقها بوعى وبصيرة فى الحقوق والواجبات على الصغير والكبير والغنـــى والفقيـــر القوى والضعيف حتى يصبح المجتمع متشابك الأطـــراف وتلاحـــم البنيان .

وقد صعد الرافعى الأحاسيس الإسلاميـــة بحس دينى نبيل فى قوله:-

(واين تجد هذا المحبوب الأعظم الا فى "محمد" ودين "محمد") .

نجد الكاتب صرح بأن الفرح الصـــادق والألــم الســامى لا يبنــى الإنسانية فى الفرد إلا إذا توجهت هذه المشاعر وعاشت فى نبيها وفى أخلاقه وآدابه ولن يكون ذلك إلا فى محمد صلى الله عليه وسلم ودين محمد صلى الله عليه وسلم . وفى العبارة دعوة عالية للتمسك بسنته صلى الله عليــه وسـلم ومنهجه الشريف ودعوة شريفة لرقى العاطفة فحب الإنسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الشعاع النورانى الذى يثمر حب الأنوار الربانية والإشــراقات الإلهيــــة .

ويستجمع الرافعي انفعالاته ويصرح فى تحذير كله تعاطف وتراحــم وتذكـــره .

ان لذكـــر النبى خمس مرات فى الأذان لحكمة بالغة آلا وهى التمسك بمنهجـــه وسنته وآدابه والتحلى بفضائله صلى الله عليه وسلم .

كما أن فى ذكره دعـــوة للوحدة الإسلامية فى كل بقاع العالم وقد ختم الرافعى مقاله الدينى بنداء شريف يحمد له على مر الأجيال حين قال :-
أيها المسلم :-

(لا تنقطع من نبيك العظيم ، وعش فيه أبدا ، واجعله مثلك الأعلــى ، وحين تذكره فى كل وقت فكن كأنك بين يديه وكن دائما كالمسلم الأول كـــن دائما ابن المعجزة) .

والدعوة السابقة تنقل للمتلقى الصدق الشعورى والتدفق الوجدانى الذى جعل المعنى يحمل أجنحة إيمانيـــة ترفرف بها القلوب الطاهـــرة .

وقد وفق الكاتب فى مقاله الدينى الإشراق الإلهى وفلسفة الاسلام وقـــد تولد تفوقه من الترابط الفنى المتمثل :-

(١) فى المقدمة :-

كان العنوان (الاشراقات الإلهيـــة وفلسفـــة الإســـلام نقطة انطـــلاق ايجابية حيث جذبت استعداد القارئ الوجدانى أولا ثم الفكرى ثانيا بالتأمل فـــى لفظة إشراقات يقف المتلقى على :-

- ان اللفظة توحى بتعدد الأضواء بما فيها من أشـــكال نورانيـــة تختلـــف بإختلاف خيال المتلقى .
- ان اقتران هذه الأنوار بكلمة (الإلهى) جعل للإشراقات والأنـــوار جـــلال وبهاء وشرف .
- ان حرف الشين فى إشراقات أوحى بانتشار هذه الأنوار والأضواء حيـــث جعلها تتغلغل داخل النفس وتغوص فى أعماق الوجدان وتضفى على الفكر نبل المعانى إلى جانب انتشارها فى المكان واختراقها لحدود الزمان .
- ان طبيعة الموضوع تجذب القلوب والمشاعر والأحاسيس قبل الفكـــر لأن العلاقة بين العبد والخالق العظيم فطرة حيث ينبض القلب بحب الخـــالق ويشعر بوجود عظيم يحكمه ويحكم الكون من حوله .

- بين العنوان أن الموضوع يدور فى فلك الأنوار الوجدانية والأراء الفكرية. والاشراقات تهز الوجدان والفلسفـــة تحرك الفكر ثم بزغـــت المقدمـــة بالعبارة .

(تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى بالنهار) فمهدت هذه العبارة الاستعداد الوجدانى لمشاهد طبيعية محسوسة .

فالشمس تطلع كل يوم بالأنواروتبدد ظلمات الليل المتكاثفـــة المتراكمة فالشمس متعددة الأنوار والأضواء فهى فى شروقها غـــير وقـيت الضحـــى والظهيرة حيث تقبل فى شروقها لتهتك ستائر الظلام الذى تراكم فى ســـاعات الليل الدامس الذى يطمس حقائق الأشيـــاء وعلى سبيل المثال .
لا يرى الناظر جمال الخميلة إلا فى ضوء النهـــار .

بهذا المشهد الطبيعى المتمثل فى الشمس الصافية وأنوارها البهية التى تثير فى النفس معالم الجمال يستعد المتلقى لافكار المقال وصوره . والمقدمــه بها عناصر :

- الاعتبار .
- النقل
- التشويق والإثارة .

فالمنشئ فى ذكره للشمس وأنوارها يضع فى اعتباره أن هذا المنظـــر من المناظر المعهودة فى كيفية حدوثها وكيفية تبدل الظلمات بالأنوار وأثر هذا

الحدث على الوجدان الإنسانى والحركة البشرية فاستطاع من هذا المنطلق نقل رؤيته للسامعين ثم انطلق بعد هذا الإلتقاط والتشويق لمشاعر المتلقى بقوله:

(يولد النبى فيوجد فى الإنسانيـــة ينبوع النور المسمى بالدين)

لتبدأ بهذه العبارة عناصر :-

- التفاعل التخيلى والرمـــزى .
- الإحـــــلال .
- الاعتباريـــة المستمده من الحركة الدراميـــة .

فالمقدمـــة شملت التمهيد النفسى والتجهيـــز الوجدانى فـــى المعـــانى والصور الاتية :-

الشمس ، النور ، الضوء ، النهار ، والنبى والدين واليقظـــــة .

واليقظـــة هى اللفظة التى عبر بها الكاتب للعرض والذى تحققت فيها العناصر جميعها بالتفصيل :-

- الاعتبارية
- النقل
- التشويق .
- التفاعل التخيلى والرمزى .
- الاحلال .
- الاعتبارية المستمدة من الحركة الدرامية للنفس والصراع الفكـــرى بيـــن الماضى المستقر والحاضر المضطـــرب

- **فى العرض**

- يشرق العرض بعبارة :-

(والشمس خلقها الله حاملة طابعة الإلهى ... والنبى يرسله الله حاملا مثل ذلك الطابع فى عمله) .

وفى بداية العرض ذكر الكاتب الشمس مرة أخرى فربط بين ذكرها فيه وذكرها فى المقدمة ليضيف فى العرض لها صفة الطابع الإلهى الذى يحيطها بالمعانى الشريفة العالية إلى جانب إثارة النفس والفكر تجاه مالها من منافع ملموسة مرئية ومنافع أخرى كامنة فى سر خلقها وهكذا فالنبى من الله للهداية والنفع العام الملموس إلى جانب أيات أخرى له سوف تتجلى فى الآخرة وعبارة (والنبى يرسله الله حاملا مثل ذلك الطابع فى عمله للروح تترقى فيه وتسمو)

تثير فى النفس التفاعل التخيلى حيث يستطيع الإنسان تخيل آثار الهداية على نفسه وعلى المؤمنين المتمثله فى ألوان العبادات والطاعات والفروض والنوافل وتجنب المعاصى كما تثير فى النفس التخيل الرمزى عند تصور الجنة وما فيها من نعيم وجمال وسحر وأنوار ربانية وسعادة أبدية وخلود سرمدى .

فالقارئ الكريم يستطيع عن طريق التفاعل التخيلى استحضار مشاهد لاقامة الصلاة الجماعية وخاصة فى ليالى شهر رمضان المعظم ، والأعياد كما يتسطيع استحضار هيئة الحجاج يوم عرفه وما هذه المشاهد إلا من باب

العبادة الإيمانية التى نتجت عن طاعة البنى الذى يحمل الطابع الإلـــهى كمـــا يستطيع القارئ عن طريق التفاعل الرمزى استحضار قيم :-

التضحية في ابى بكر .

العدل في عمـــــر

الوفـــاء في علــــى

العطاء في عثمان

الصبر في بـــــلال

الشجاعة في خالــــد

رضى الله عنهم جميعا وأرضاهم وكل هذه الصفات النبيلة وغيرها من الخصال الشريفة غرسها الله سبحانه فى سيد الخلـــق والمرســـيلين ففـــاضت أنوارها على أصحابه وأتباعه واستمدت جلالها من كمال نفسه فهو المفســـــر لكل كمال وجمال فى النفوس البشرية جميعها .

وينساب العرض فى تسلسل وترابط وجدانى وفكرى وتتصعـــــد فيـــه الحركة الدرامية الناتجة عن الشحن الفكرى والعاطفى حيث يتعايش المتلقـــى فى الماضى الإسلامى الكريم ويربط بينه وبين أحوال بعض المسلمين اليـــوم مما يفجر أنسجة الصراع الذى استمر الكاتب فى الضغط عليها ممـــا جعـــل الكاتب يستطيع إحلال ما يدور فى خلدة من مشاعر وأحاسيس ويفرغها فـــى أعماق المتلقى الذى اتحد مع الكاتب .

وقد استمر الرافعى فى العرض بعد ما تحقق لـــدى المتلقـــى النقـــل والإحلال والقدرة على التخيل مع استمرار الحركة الدرامية للصراع النفســـى والفكرى فربط بين رؤية الإشراق وبين ما يلى :-

- النبى ومظاهر الكمال فى الإنسانيـــة .
- النبى والحقيقة الإلهيـــة الواحدة المتمثله فى التوحيد .
- النبى وتفسيـــره لسلبيات وايجابيات الحيـــاة .
- الشهادة وعظمة النبـــوة .
- النبوة والمنهج التربوى للنفس والعقل .
- الإسلام والتجدد الفكـــرى .
- النبى نور لمعانى الفضائل الأرضيـــة .
- استمرار نبوة محمد صلى الله عليه والسلم الدليل على انه الخاتم للأنبياء .
- الإسلام دين الرحمة والعدل والسيادة والمساواة والفضيلة والحريـــة .
- فلسفة الإسلام فى صورة الجنة وصورة النـــار .
- فلسفة السلوك الإنسانى فى إطار خشية الله .
- فلسفة الاسلام فى السلام المكون لملامح الإنسانية .
- فلسفة الإسلام فى كيفية تكوين الفضائل .
- الكمال الإنسانى فى اكتمال الإنسانية والشريفة داخل الإنسان .
- الإسلام والكمال النفسى فى صدق كالسر والعلانيـــــة .
- فلسفة الإســـلام فى يقظـــة النفس والروح .
- فلسفة الإسلام فى النظام والاجتهاد والصبر والطاعـــة .
- الدعوة لتعظيم الشخصية الروحية دون الشخصيـــة المادية .

- احترام الواجبات والحقوق الانسانية . .
- اخضاع ظروف الحياة للعقيدة بفهم صادق وتطبيق ايمانى شريف .
- الإنسانية الإسلامية بين الماضى والحاضر .
- اكتمال معالم الإنسانية فى " محمد " صلى الله عليه وسلم .

وبعد هذا العرض الذى احتوى لقطات مترابطة تفوح بعبير من نـــور وتدور فى فلك الإشراقات الرضوانية وما فيها من معالم إســـلامية وشـــواهد إيمانية لنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم بدأ العـــرض ينســـج إشـــعاعات نهايته .

التى ركز فيها الرافعى على حكمة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى الأذان خمس مرات وحكمة ذكره فى كل صلاة فى فريضة وسنة ونافلة ليصل بهذه الكلمات الإيمانية إلى خاتمة المقـــال الـــذى شـــكله علـــى هيئـــة نـــداء نورانى رفيع .

وفى الخاتمة :-

قال الرافعى :-

أيها المسلم :

(لا تنقطع من نبيك العظيم ، وعش فيه أبدا واجعله مثلـــك الأعلـــى ، وحين تذكره فى كل وقت فكن كأنك بين يديه ، كن دائما كالمسلم الأول كـــن دائما ابن المعجزة) .

جاءت الخاتمة معبرة عن عنوان المقال ومترجمة لمقدمته وناطقة بمـا تناوله الكاتب فى العرض من أفكار فكانت كالثمرة الناضجة التى تفوح بعطر التمام وقد استطاع الكاتب فى الخاتمة جذب السامع وإشعال مشاعره وتحريـك عواطفة وذلك حين عمق المعانى التى عالجها فى العرض بنداء روحى ايمانى رفيـع جعـل مقـال (الإشـراق الإلـهى وفلسـفة الإسـلام) ينطـق بالفنية العالية والإبداع الذى شكله الإلهام الإيمانى فما من مسلم يسمع النـداء الذى نسج خيوط الخاتمـة إلا ويعلن فى السر والعلانية الوسام الربانى والنور الإلهـى المتمثل فى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هذا الوسام هديـة الله لعباده ولهذا يجب حمايته بالعمل والاجتهاد والتمسك بـالقيم الرفيعـه التـى تجسدك فى رسولنا صلى الله عليه وسلم وقد بين الرافعى فى ختام مقاله كيفية التمسك بالإشراقات الإلهيـة .

فالعبارة (لاتنقطع من نبيك العظيم) دعوة حية متجددة ترمـى إلـى استمرار ذكرة صلى الله عليه وسلم لما فى ذلك من ظاهرة فى القلب وسـمو فى اللسان ومحافظة على الحس من التبلد وصيانة الفكر من الانغمـاس فـى ماديات الحياة .

أما عبارة (وعش فيه أبدا فهى دعوة لصفاء السريرة والصدق فـى الأقوال والأعمال والمتأمل للصياغة(عش فيه)يدرك ان دعوة الرافعى تتصف بالعمق فالمراد ان المسلم يجب أن يعرف كل صغيرة وكبـيرة مـن سـلوك الرسول صلى الله عليه وسلم ويتفهم أبعاده ويتمثل به مادامت له الحياة كما ان النداء (واجعله مثلك الأعلى) دعوة صريحة للصحوة الإيمانيـة فالرسـول

صلى الله عليه وسلم غرس فيه الحق سبحانه أعلى القيم وأرفع المثل وجعلـــه للمسلمين مثلاً هاديا ومبشرا ونورا مبينا وقد أمعن الرافعى فى دعوته الإيمانية الصحيحة حين قال لكل مسلم .

(وحين تذكره فى كل وقت فكن كأنك بين يديـــه)

وقد أراد الرافعى استمرار صحوة الضمير ويقظة المشاعر الإيمانيـــة التى تدفع إلى الرقى فى النفوس والأعمال فما رقى النفـــوس والأعمـــال إلا بإخلاص النية لله تبارك وتعالى وقد جعل الحق رسولنا صلى الله عليه وســـلم هاديا لنا فى المعنويات والماديات ولهذا يجب الاقتداء به حتى نصبح كالمســـلم الأول الذى فتح وعمر وانتصر وتقدم وما هذه الفتوحات الا الثمرة الإيمانيـــة الصادقة الواعية بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقد كانت خاتمة الرافعـــى جامعة شاملة لما سردة فى العرض ومن الجدير بالذكر تمتع المقال بصـــدق المشاعر ومهارة العرض مما حقق للتشكيل البنائى الإبداع الفنى الذى تفجرت ينابيعة من إيمان الكاتب بفكرته ومعرفته الزوايا التى ينطلق منـــها ليجــذب القارئ ويشعل وجدانه مما يثير فى نفسه مشاعر المشاركة التى تكون نبضات الألفـــة والاتحادية بين الكاتب والقارئ .

وقد ساعد على نجاح المقال السابق تحقق الصدق الشعورى ووضــوح الصياغة وتناسقها مع عناصر الإثارة والتشويق إلى جانب اســـتخدام الكـــاتب للألفاظ التى تحمل القيم الصوتية المعبرة بعمق عن الأفكار والمشاعر ومـــن هذه القيم الصوتية .

- تفجر ينبوع النور المسمى بالديـــن .

- رعشات الضوء .
- أشعـــة الوحـــى .
- أجرام النور ، وأجرام العقل .
- فن الناس جميعا .. هو الشخص المفســر .
- فتضطـــرب الملايين .
- تنقبض عنـــه .
- تتهالك فيه أطماع الدنيـــا .
- كالشمس فى الأفق الأعلى تنبسط وتضحى .
- سعى ضائـــع .
- لم تجد الظلام إلا ما وراء الحدود التى تنتهى اليها أشعته .
- وأين تجد هذا المحبوب الأعظم إلا فى محمد ودين محمد .
- يهمس باسمه الكريم .

تنطلق القيم الصوتيـــة فى القطاعات والتعبيرات السابقة من التناســـق المشهدى المحسوس والمعنوى .

فعندما يصرح الرافعى بان الرسول صلى الله عليه وسلم فجر ينبـــوع النور يتبادر إلى الخيال تدفق مياه غزيرة عذبة مـــن بـــاطن الأرض تدفقـــا مستمرا قويا وفى هذا منظر للمشهد التعبيرى الذى يتكامل باستحضار المتخيل لهئته الأنوار التى تتصاعد أنوارها واشعاعات لتتصل لعنـــان الســـماء وقـــد تجسدت الملامح الصوتيه من الحروف الآتيـــة :-
الجيم والراء فى تفجـــر .

الواو والعين فى ينبوع .

الواو والراء فى النور .

وتتلاحم أصوات الحروف مع أشكال المعانى وألوانها وحركاتها لتخترق حدود الزمان والمكان وتعمق فى النفوس والخيال معانى الوجود النبيل .

فكل قيمة صوتية عاكسة لقيمة معنوية مجسدة لهيئة أو لحركة أو للون .. الخ عبر أثير التشكيل التعبيرى والصياغات اللغوية فعبـــارة (رعشـــات الضوء) تمثل هيئة وحركة الضوء فى سرعات خاطفة وتبث فى النفس فترات الهدى التى تمثلها دعوة الأنبياء والرسل ، وأشعة الوحى تعطى للمتخيل مـــن خلال صوت الشين انتشار النور إلى جانب معنى الإيمان وعبارة أجرام النور وأجرام العقل تفيض من صوت الراء بتكرار حدوث الضوء مع تخيل هيئـــة الأجرام بالإضافة إلى معنى الإيمان أما (فن الناس جميعا...... هـــو الشـــخص المفسر) .

فتحمل إلى جانب صوت التضعيف الذى يشير إلى الإمعان فى الكمـــال استحضار المعانى الرفيعة وتجسدها ثم ربط كل نبيل فى الكون بأصل منبعـــه الذى يرجع للعامل الإلهى الكامن فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فـــإذا اضطربت الحياة أو انقبضت او تهالكت فالمفســـر الوحيد هو محمد صلى الله عليه وسلم وهنا يدرك المتلقى ان المراد كمال دينه وتمام خلقه ليصبـــح آيـــة للعالمين فالصوت اللغوى فى العبارات . فتضطـــرب الملاييـــن ، تنقبـــض ، تتهالك تدل على التموج العنيف من خلال .

الضار والطاء والراء فى تضطرب والقاف ، والضاد فـــى تنقبـض والهاء والألف والكاف فى تتهالك فالأصوات السابقة تدل على تزاحم الأحداث وتكرارها وارتفاعها إلى جانب الايحاء بانتشار أحزان والمظالم التى لا يمكن القضاء عليها إلا بالرجوع إلى التعاليم التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتمثلة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

ويسبح القارئ الكريم فى نفحات عالية حينما عبر الرافعى عـــن أثـــر الرسول صلى الله عليه وسلم على أتباعه والبشرية فى قوله :-

(كالشمس فى الأفق الأعلـــى تنبسط وتضحى)

فالصورة تحمل القيم الصوتية فى الشيى ، القاف ، والطاء ، والضاد ، والألف المقصورة بالإضافة إلى هيئة الارتفـــاع وتمكـــن الضـــوء وثبـــوت إشعاعاته من غرس الشعور بالعزة والكبرياء بالإسلام ورسولـــه صلى الـــــه عليه وسلم .

<u>وللقيم الصوتية دلالات معنوية وشكلية فلسفية الرؤيـــة مثل</u> :-

(لم تجد الظلام إلا ما وراء الحدود التى تنتهى إليها أشعته)

فمن يعمل بتعاليم المصطفى صلى الله عليه وسلم ينير الله قلبه وفكـــره وبدنه وتشمل الأنوار جانب حياته وتتربع على عرش مكانه وزمانه اما مـــن يتناول من القيم الإسلاميـــة بعضها ويعمل بها ويتغافل البعض فسوف يسيطر الظلام فى أجزاء ويعم النور فى الأخرى التى تتمسك فيها بالقيم الإســــلامية فالمراد بالظلام الجهل والغفلة .

والمراد بما وراء الحدود : معرفة بعض الأحكام والقيم واتقانها هنـــا ينتشر نورها ليقف فيما وراء حدود الغفلـــة .

ومن الجديد بالذكر ان الكاتب استخدم إثارة الفطـــرة الإســـلامية فـــى تعبيره (وأين تجد هذا المحبوب الأعظم إلا فى محمد ودين محمد) حيث جعل المتلقى يعيش فى نفخات من رياض ناطفة بالجمال العلوى فالعبارة تشع بقيـــم معنوية عالية فى صياغة لغوية واضحة نبع جمالها من عمق صدقـــها الـــذى صورة الرافعى فى تنغم خافت وترنم مسموع حين قال (يهمس باسمه الكريم) فنقل للمتلقى قيمة صوتية أوحت بقيم معنوية تعلـــن ذكـــره عليـــه الصـــلاة والسلام وقد استطاع بحاسته الإيمانية العميقة شحذ عواطف القارئ حين جمع ثمار الخاتمة فى (لا تنقطع من نبيك العظيم ، وعش فيه أبدا ، واجعله مثلـــك الأعلى ، وحين تذكره فى كل وقت فكن كأنك بين يديه ، كن دائما كالمســـلم الأول ، كن دائما ابن المعجزة) . فالعبارة تحمل قيمـــا صوتيـــة ومعنويـــة ووجدانية حيث استطاع الكاتب فيها غرس شحنة إيمانية نتج عنها نقل انفعالـــه وإحلاله فى المتلقى مع اعتبارية ايمان المتلقى بما يعلن الرافعى الذى فـــرغ رؤيته فى أعماق المتلقى وذلك عقب حدوث الإثـــارة والتشـــويق والتصـــاعد والدرامى للوجدان مما دفع إلى تكوين التفاعل التخيلـــى والرمـــزى فحدثـــت النتيجة التى سعى من أجلها الكاتب آلا وهى الاتحادية بينه وبين القارئ .

وبهذه الخاتمة النورانية تجمع فى مقال الرافعى (الإشـــراق الإلـــهى وفلسفة الإسلام) خيوط تميز المقال الفنى الناجح من حيث تحقـــق الصـــدق

الشعورى ووضوح عناصر الموضوع فى ذهن الكاتب ممـــا ســاعد علـــى توصيل المعانى بيسر وسهولـــة .

كما تمتع المقال بالدقة فى العرض والتسلســـل والـــترابط والتـــدرج المنطقى فى السرد فكانت المقدمة هادية للعرض الذى مهد بمعانية وصـــورة إلى الخاتمة التى جسدت الثمرة الناضجة للمقال فى تلخيص بين جذاب مركـز فكانت بمثابة اللقطة الحية الأخيرة التى أثارت العواطف الإسلامية مما حقـق ملامح الإبداع الجمالى للمقال الذى جسد قيمة دينيـــة واجتماعيـــة وفكريـــة ووجدانية أدت إلى استمرار القيمة الجمالية للمقال وما ذلك إلا لخلود الإســلام وصدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه الحق :-

(ورفعنا لك ذكرك)[١] .

---

[١] صورة الشرح اية ٤

المبحث الثانى

الأصول الفنيــه لكتابة المقال

الأصول الفنية لكتابة المقال

الأدب فن من الفنون الإنسانية فهو فن الحياة بما فيها من جمال وسحر وتألف وتنازع حيث يجسد معانى الوجود ويتخيل ما وراء حدوده ويصور بالكلمات والعبارات حفيف الأصوات وهمسات العواطف وومضات الفكر ولمحات الخيال .

وللأدب فنونه الحية التى تعد انعكاسات وإشعاعات لرؤى خاصة تتبع من طبيعة الفن الأدبى الذى يضم فى بستانه القصة والمسرحية والمقال ولكل من هذه الفنون أدواته التى توظف لبناء هيكله الفنى أما بالنسبة للمقال موضوع الكتاب فهو فى حاجة إلى تمتع الكاتب بالموهبة الحية المتجددة القادرة على التقاط الأحداث والمواقف وتحليلها تحليلا ينبع من دقة الملاحظة وذكاء الربط بين المقدمات والنتائج إلى جانب الاستعداد النفسى والفكرى الذى يدفع لتشكيل الرؤى وتجسيدها أو تجريدها من واقع الإحساس بمنطقة الخاص أو العام .

ويحتاج إعداد المقال بأنواعه إلى جانب الموهبة والاستعداد إلى الدراسة الواعية الشاملة النظرية والتطبيقية مع استمرار الممارسة التى تساعد على صقل الكاتب حتى يقف على الإدراك الفنى الذى يفصل به بين الأنواع المختلفة لفن المقال فلكل مقال أدواته وصورة وأساليبه فالمقال الاجتماعى فى حاجة إلى التعرف على الأحوال الاجتماعية من حيث التقاليد والعادات والغوص فى أعماق التجارب الاجتماعية وتأمل أبعادها وتحليل مقدماتها والنظر إلى ما فيها من مفارقات بموضوعية ودراسة أسباب حدوث الظاهرة

إلى جانب إيمان الكاتب بما يسجل ويعرض ويناقش حتى يقنع القارئ فالمقـال الاجتماعى يجب أن يشعر بما فى قاع المجتمع وما يطفو على سـطحه ثـم يعرضه فى أسلوب سهل سلسل واضح مرتب الأفكار مع تركيزها وواقعيتـها إلى تجنب الزخرفة اللفظيـة وبهذا فالكاتب الذى يعالج الزوايـا الاجتماعيـة يجب أن يتحلـى :

- بالصدق فى عرض الأفكار والأدلـة والبراهيـن .
- الوضوح فى استنباط الأحكـام .
- الموضوعية الواعيـة التى تتجنب الهوى .

أما المقال الدينى فيجب أن يتصف كاتبه بعمق الإيمـان والمعرفـة الصحيحة للأحكام الشرعية بعيدا عن التعصب والتهكم أو السخرية فيستند فى عرضه على الأدلة القاطعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واجتـهاد الصحابة وينظر فيما يعرض للصالح العام الذى ينشـر الوعى ويهدى النفوس ولعل أبرز الأمثله على ذلك ما يعرض فى صحيفة صوت الأزهـر وعقيدتى من مقالات دينية تجذب القراء وتحرك عواطفهم وتهز فطرتهم الدينيـة .

فكاتب المقال الدينى يحمل مشعل الدعوة ورايـة الصحوة ولهذا يجب أن يكون من الدراسين الذين يتميزون بهدوء الطبع وذكاء العـرض وحسـن التناول وبعد النظر ويتجنب ما يثير الفتنة فى المجتمع ايمانا من قوله تعـالى (ادع الى سبيلك ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) [١] وعلى كـاتب المقـال الدينى ان يلتزم بوضوح العرض وسهولة العبارات مـع سـلامتها اللغويـة

---

(١)سورة النحل جزء من ايـة ١٢٥ .

بالإضافة إلى التركيز المقنع والحجة البليغة إلى جانب الرصد الدقيق لعناصر الفكرة كما يجب أن يتمتع أسلوبه بجذب القارئ وإثـــارة مشــاعره الإيمانيـــة وتشويقه إلى عالم المثل والفضائل .

ويعد المقال الدينى صورة حية من الصور الإعلاميـــة التـــى تحمـــل أمانه الدعوة لصحوة شريفة فهذا النوع من المقالات يتوجه إلى الناس جميعـــا ويعبر عن النظرة الشمولية للدين الإسلامى بطريقة موضوعية مع اســـتخدام كل الوسائل والفنون الصحفية فى اطار الشريعة أو الرؤيـــة الاسلامية (١) .

ومن الجدير بالذكر أن المقالات بأنواعها ترتبط بذوق المجتمع ودرجة انتشار العلوم فيه وعلى سبيل المثال المقال الموضوعى الذى يضم :

النقدى ، والفلسفى ، والسياسى ، والتاريخى ، والاجتماعى والنفســى ، والطبى ، والجيولوجى ، والساخر (الذى يعتمد على التصوير الكاريكاتيرى) والاذاعى والصحفى فلكل منها أفكاره وأدواته ومشاهده وحقائقـــه وأخبـــاره ورواياته ولكنها جميعا تتفق فى ضرورة تحقق الوضوح والإيجـــاز وحســـن العرض ودقة الملاحظة والتسلسل الفكرى وإثارة القارئ وجذبه مـــن خـــلال القدرة اللغوية الصحيحة التى تتطلب من الكاتب استيعاب معانى الألفاظ ومـــا تحمل العبارات من قيم تعبيرية فقد أصبحت المقالات بعد انتشـــار الصحـــف

---

(١)محاضرات فى تطور أساليب الكتابة الصحفية د / جمال النجـــار . ص ٨٣ .

(٢) هناك المقال الصحفى الذى يعرض الاحداث المعاصرة بأنواعها وخاصة السياسية الداخليـــة والخارجيه . وآخر يعرف بمقال الخصومة او الحملات الصحفية التى تعتمد على تبادل الاراء فى الاتجاهات السياسية أو المذهبية أو الأدبيـــة بتصرف : من المقال وتطوره د/ السيد مرسى طبعـــة ١٩٨٢م صفحات متفر قة ٧٨ - ٢٩٩ .

وسيلة إعلاميـــة ايجابيـــة واسعة الانتشار مما يفرض على الكاتب المقالى أن يساير روح العصر بما يلى :-

- كثرة القراءة والإطلاع والإلمام من كل فن بطرف .
- متابعة أحداث العصر واتجاهاته وتياراته ومذاهبه وأحداثه ومخترعاته .
- الرغبة فى المشاركة التى تساعد على بناء المجتمع وتقديم الحلول المناسبة التى تساعد على تحقيق الأمال السياسية او اجتماعية أو فكرية .
- تشجيع المواهب البكر على الكتابة ففى فكرها الواعى رؤى جديدة حيـــث تتجدد الصحوة فى العطاء الفكـــرى والاجتمـــاعى والسياســـى والعلمـــى والوجدانى وثمرة القول أن الكتابة المقالية بأنواعها تبنى على ما يلى:-

- الموهبة والاستعداد والتعلم والممارسة فكتابة المقالات ملكـــه إبداعية.
- ايمان الكاتب بما يناقش ويعالج .
- الصدق النابع من وضوح ملامح التجربـــة وقـــوة العواطـــف واعتـــدال الانفعالات.
- الرغبة فى نشر الحقائق التى تدفع إلى بناء الفضائل الإنسانية .
- غزارة التحصيل والوقوف على كل جديد فى عالم الفكر
- تمتع الكاتب بملامح الشخصية الإعلامية والقيادية .
- الموضوعيـــة وتجنب الهوى فيما يعالج من قضايا .
- معرفة الأصول اللغويـــة الصحيحة والوقوف على أسرارها المعنوية .
- وضوح المعانى وسلاستهـــا .
- الترتيب المنطقى للأفكار .
- التركيز والإيجاز وتجنب الإطالة والاطناب بما لا يؤثر على قيمة النص.

- دقة الملاحظة بوضوح الأدلة والبراهيـــن .
- جمال العرض وتنسيق الأفكــــار والعبــــارات .
- ارتباط العنوان بالمقدمة والعرض والخاتمـــة .
- رصد سبل التقيم والتقويم بإسلوب واقعى معبر هادف .
- تجنب الزخارف اللفظية والشعارات الرنانـــة .
- الاهتمام بالذوق الخاص والعام ومحاولة تغذيته وترقيته بوعى وبصيره .
- الإهتمام بطوائف القراء على جميــع مســتوياتها الفكريـــة والاجتماعيــة والعلمية فلكل طائفـــة أسلوبها التى تخاطب به ويؤثـــر فيها .
- التلاؤم التعبيرى بين الموضوع وأسلوبـــه .
- تمتع الكاتب بالقدرة على اقناع المتلقى بما يعرضه عـــن طريـــق حســـن العرض الذى يفجر بدوره الإثارة والتشويق .
- وبالإضافـــة لما سبق يتصف المقال بالإبداع عندما يجتمع فـــى الكـــاتب والقارئ ما يلى :-
- الاعتبارية حيث يتفهم الكاتب طبيعة وذوق المتلقى ودرجة استيعابه لمـــا يعرضه مع اعتبار درجة استقبال المتلقى للمفاهيم المطروحة .
- النقل والإحلال : حيث يستطيع الكاتب بدرجة ايمانه نقل رؤيته ومشـــاعره للمتلقى واحلالها فى أعماقه فتسرى فى فكرة ووجدانـــــه بنفـــس درجـــة وجودها فى الكاتب .
- التفريغ والتفاعل : فعندما تحدث إثارة لمشاعر القراء بـــالنقل والإحـــلال ينشط الكاتب فى حركة تفريغ رؤيته بأكملها داخل أعماق القـــارئ عـــن

طريق التفاعل التحليلى والرمزى والأول يستحضر به المتلقى المشـــاهد والهيئات والألوان والحركات والأصوات الراسخه فى عقله ووجدانه .

- والثانى يستحضـــر به المعانى الدالـــة على القيم وعلـــى ســبيل المثـال (لاتنقطع من نبيك العظيم ، وعش فيه أبدا واجعله مثلك الأعلى ، وحيـــن تذكره فى كل وقت فكن كأنك بين يديه ، كن دائما كالمســـلم الأول وكـــن دائما ابن المعجزة) .

- ففى التعبير الجليل السابق يستحضر المتلقى تعاليم الرسول صلـــى الله عليه وسلم فى العبادات والطاعات وصور الصـــلاة والســـعى والجـــهاد فالتفاعل التخيلى ما وقع عليه الحس والبصر ويستطيع تجسيم واســتحضار هيئته وأصواته وألوانه وحركاته ... الخ .

- أما التفاعل الرمزى فيتجسد فى معانى انقيم فعندما عبر الرافعى بالعبـــارة (كالمسلم الأول) يتخيل المتلقى الصحابه ومالهم مـــن صفـــات متمـــيزة كالعدل يتذكر عمر رضى الله عنه ... وهكذا لأن المتلقى لم يشاهد الخليفـة ولم يتعامل معه إنما ترسخ فى نفسه قيمة لهذا الخليفة العادل .

- ثم الاتحادية التى تربط المتلقى بالكاتب إلى نهاية المقال فى جذب عميـــق ينطق بالصدق والإبداع .

الخاتمـــــة

تعتمد كتابة المقال على تمتع الكاتب بالموهبة والاستعداد فهى ملكـــــة رفيعة تميز صابحها ولهذا فهو فى حاجة مستمرة للتعلم والممارسة بـــالوجود على ساحة الأحداث والمواقف المحلية والعالمية حتى يتجدد فكره وينطلق قلمه بخصوبة وعطاء ليبنى دعائم مجتمعه الإنسانى ويشييد صرح أمته ولأهميـــــة إعداد المقال رأت الجامعات فى جمهورية مصر العربيـــة تخصيـــص مـــادة دراسية فى برنامجها تتناوله مبينة أنواعه وأهميته وأسس فنيته وذلـــــك فـــى قسمى اللغة العربية والصحافة والإعلام .

وقد من الله على بتدريس هذه المادة (فن المقال) لطالبـــات جامعـــة الأزهر فاستعنت به سبحانه ودعوته التوفيق نعم المولى ونعم النصير ثم بدأت فى إعداد المنهج الدراسى الذى توسمت فيه - بـــإذن الله - الخـــير لطالبـــاتى فتناولت أهمية تدريس المادة فى الجامعة ثم تعرضت لعناصر المقـــــال مـــن مقدمة وعرض وخاتمـــة وأشرت إلى أنواعه فتحدثت عن المقـــال الذاتـــى ، والاجتماعى ، والدينى ، والموضوعى وتعرضت بعد ذلك لسرد عناوين مـــن صحيفة صوت الأزهر حتى تقف الطالبات على طبيعة الصحيفة وهدفها إلـــى جانب الإشارة إلى أسماء بعض الصحف الصادرة بجمهورية مصر العربية .

وامتد البحث ليعرض دراسة تحليلية ونقدية عبر التطبيق الفنى لمقـــال الرافعى (الإشراق الإلهى وفلسفة الإسلام) وذلك بالكشـــف عـــن إســـراره الجمالية التى تجلت فى الانسجام الصوتى والتناسق المعنوى والتكامل الفنـــى

النابع من الصدق الشعورى ثم عقب البحث بالحديث عن الأصول الفنية التـى تشكل نجاح المقال وتبرز قيمته وقد توصل البحث إلى التوصيات الأتية:-

- تشجيع المواهب الشابة على الكتابة المقالية بجميع أنواعـها :- الذاتيـه ، والدينيـة ، والاجتماعيـة ، والنقديـة ، والوصفيـة ، والتأمليـة ، والموضوعيه، لما فى ذلك من تجدد للفكر والوجدان .
- تبادل المقالات بأنواعها بين طلاب جامعات جمهوريـة مصـر العربيـة والجامعات الأجنبية عن طريق شبكة الاتصالات الدوليـة لتوسيع المدارك الفكرية لطلابنا .
- احترام الفكر الشبابى فى حدود القيم الدينية والأصول الاجتماعيـة .
- عقد ندوات لمناقشة المقالات مناقشة ايجابية قبل عرضها لبيان ما فيها من سلبيات وايجابيات مما يدفع إلى الإجادة والابتكار .
- الاهتمام بذوق المجتمع ومحاولة ترقيتـه بما يناسـب الأصـول الدينيـة والقواعد الاجتماعية الصحيحة الخالية من شوائب الجهل .
- تميز المقالات بالشخصية الإسلامية المصرية العربيـة .

وفى نهاية موكب البحث ندعو الله تبارك وتعـالى التوفيـق والسـداد لصحف وكتاب مقالات جمهورية مصر العربيـة ونرسـل تهنئـة صادقـة لصحيفة (صوت الأزهر) بارك الله فيها ولها وبصر كتابها بـأنوار الحـق ودعم بها سبل الإيمان ، والعلم ، والسلام والحرية .

(وما توفيقى الا بالله)

المصار والمراجـــع والكتـــب

القرآن الكريـــــم .

أحمد أميــــن	فيض الخاطـــــر	مكتبة النهضة المصرية
أحمد الشايــب	الإسلـــــــــوب	مكتبة النضة المصرية
أحمد صفــوت	جمهرة رسائل العرب	الطبعة الأولى ١٩٣٧ م
الجاحـــــظ	رسائــل الجاحـــظ	تحقيق عبد السلام هارون الطبعة الأولى ١٩٧٩ م
د.جمال النجار	تطور أساليب الكتابة الصحفيـــة الطبعة الأولــــى	
الرافعــــى	وحى القلم - الطبعة الأولـــــى مطبعة لجنة التأليف والترجمــه والنشــــــر	
الزركلــــــى	الأعلام - بيروت - دار العلم للملايين	
الزيــــــات	وحى الرسالة	مكتبة نهضة مصر ١٩٦٢م

د . طه حسين
الأيام - مطابع الأهرام - مصـــر
حديث الأربعاء - دار المعارف - الطبعة ١٥
المعذبون فى الأرض - دار المعارف - الطبعة العاشـــرة .

عباس العقـــاد
مطالعات فى الكتب والحياة - دار المعارف الطبعـــة الرابعـــة .
الفصـــول - دار المعــــارف .
بيـــن الكتـــب والنـــاس - دار المعارف الطبعة الرابعـــة .

أبو الفــرج - الأغانـــى - طبعة دار الشعب ١٩٧٢ م .
الكتبى - فوات الوفيـــات - مطبعة السعـــادة .
د . محمـــد الحديـــدى - فـــن المقـــال فـــى ضـــوء النقـــد الأدبـــى - الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .
د . محمـــد المويلحـــى - حديث عيسى بن هشـــام طبعـــة ١٩٦٤ م وزارة الثقافـــه والإرشـــاد القومى .
د . محمد نجم - فن المقال - بيروت الطبعة الرابعة .
د . محمود تيمور : ملامح وغضون طبعة ١٩٥٠ م .
عطرود خان - المطبعة النموذجيـــه .

د . مرسى أبو ذكرى :- المقال وتطوره طبعة ١٩٨٢ م .
ابن منظور : لسان العرب - دار المعارف .

المنفلوطى : المختار من نثر المنفلوطى - المكتبة التجارية بمصر .

النظرات - دار الثقافــه بيروت .

ياقـــوت :- معجم الأدبـــاء - الطبعة الأخيـــرة .

أسماء الصحف والمجـــالات

الأهرام	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير ابراهيـــم نافـــع العدد (٤١٣٠٥) ١٨ يناير /٢٠٠٠ م
الأخبـــار	رئيس مجلس الإدارة إبراهيم سعـــدة رئيس التحرير جلال دويدار العدد (١٤٨٨٠) ٧ يناير ٢٠٠٠ م
أخبار اليوم	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير إبراهيم سعـــده العدد (٢٨٨٣) ٥ فبرايـــر ٢٠٠٠ م
عقيدتـــى	رئيس مجلس الإدارة سمير رجب رئيس التحرير السيد عبد الرؤوف

	العدد (٣٧٤) ٢٠٠٠/١/٢٥م
المساء	رئيس مجلس الإدارة سمير رجـــب رئيس التحرير محمد فـــودة العدد (١٥٦١١) ٢٠٠٠/١/٢٦م
الجمهوريــــة	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير سميـــر رجـــب العدد (١٦٨٣٨) ٣ فبراير ٢٠٠٠م
صوت الأزهر	الإشراف العام أ.د أحمد عمر هاشم رئيس التحرير جمال بدوى (من العدد ١:١٨)
اخبار الأدب	رئيس مجلس الادارة ابراهيم سعده رئيس التحرير جمال الغيطانى العدد ٢٠٠٠/١/٩/٢٣٩

وطنى	رئيس التحريـــر يوسف سيدهم مستشار والتحرير د . سامى عزيــز العدد ١٩٨٤ يناير ٢٠٠٠
الشعب	رئيس التحريـــر مجدى أحمد حسين نائب رئيس التحرير طلعت رميـــــح عدد الجمعة ١٤٣٨ ١١فبراير ٢٠٠٠
الحقيقة	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير محمد عامـــر العدد ٥٩٥/١٢/٢/٢٠٠٠
المرأة الجديدة	رئيس التحريـــر بهيرة مختار مدير التحريـــر مجدى حسين العدد الأول ٢٣/١٠/١٩٩٩ م

الأمــــــة	رئيس التحريـــــر محمد حامد عمـــــارة نائب رئيس التحريــــر محيى الديــن السيـــد العدد /٣٢٨/١٠فبراير/٢٠٠٠
أخبار الحوادث	رئيس مجلس الإدارة إبراهيم سعده رئيس التحريـــــر محمد بركـــــات العدد /٤٠٥ /٦ يناير ٢٠٠٠
إشراقات	رئيس مجلس الإ دارة ورئيسلتلحرير ناديـــة حمـــدى العدد (٢٩) ٧ فبراير ٢٠٠٠
الوفـــد	رئيس مجلس الإدارة فؤاد سراج الدين رئيسا التحريـــــر عباس الطرابيلى وسعيد عبد الخالق العدد (٤٠٢٨) ٢١/يناير/٢٠٠٠م

الأزهر والعلوم	تحت رعاية فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم المشرف العـــام الأستاذ الدكتور طه أبو كريشة العدد الثانى مايو ١٩٩٩ م
الأزهـــر	رئيس التحريـــر د / على أحمد الخطيـــب سكرتير التحريــــر عبد الحفيظ محمد عبد الحليـــم ١٩٨٦ م
المنار	رئيس التحريـــر أميـــر أسكنـــدر عدد أبريل ١٩٨٧ م
المجلة العربيـــة	المستشـــار محمد حسن الفقـــى رئيس التحريــــر حمدى عبد الله القاصـــــى (تصدر فى السعوديــــه) عدد اكتوبر ١٩٨٩ م . تصدر فى السعوديه عدد اكتوبر ١٩٨٩ م

إبــــداع	رئيس مجلس الإدارة سمير سرحان عدد نوفمبر ١٩٩٩ م .
السياسة الدوليـــــة	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير إبراهيم نافـــــع العدد ١٣٩ يناير ٢٠٠٠
سطـــــــور	رئيس مجلس الإدارة فاطمـــة نصـــــر العدد ١٣٨ يناير ٢٠٠٠
أدب ونقــــــد	رئيس مجلس الإدارة د / رفعت السعيـــــد رئيس التحريـــــر فريـــدة النقـــاش العدد ١٧٣ يناير ٢٠٠٠
الثقافة الجديدة	رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير على أبو شـــــادى العدد ١٢٦ يناير ٢٠٠٠

الفهـــــرس

رقم الإيداع بدار الكتب
٤٥٩٧ / ٢٠٠٠